كتاب
الموازنة
بين
أبي تمام والبحتري

الشيخ العلامة ابي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الامدي
عن نسخة جارالله بخط المصنف
عبد الكريم بن احمد بن ادريس الحنفي
بتاريخ سنة ٥٢٩

الطبعة الاولى

طبع في مطبعة الجوائب بالاستانة العلية

١٢٨٧

كتاب

أنوار البشر

في

[illegible]

فهرست ما فى هذا الكتاب من المطالب والابواب

صحيفه

٢ صفة ابى تمام
٣ قال صاحب ابى تمام
٣ قال صاحب البحترى
٤ حفظ ابى تمام قصيدة البحترى
٥ قول البحترى ان جيد ابى تمام خير من جيدى وردىء خير من رديه
٥ سئل البحترى عن نفسه وعن ابى تمام
٥ صفة البحترى
٦ قال صاحب ابى تمام
٨ قال صاحب البحترى
٨ اول من افسد الشعر
١٠ دعبل وابن الاعرابى
١١ شغف ابى تمام بالشعر وغرابة الفاظه
١٢ لايكاد احد من الشعراء المحدثين يعرى من اللحن
١٢ خطأ ابى تمام
١٦ تخطئة الشعراء المتقدمين فى المعانى
٢١ رثاء البحترى ابا تمام وتفضيله اياه على الشعراء
٢٢ سرقات الشعر
٢٣ الى ٥٤ سرقات ابى تمام
٥٥ اسراف ابى تمام فى طلب الطباق والتجنيس والاستعارات
٥٧ الى ١٠٥ تخطئة ابى تمام
٨٣ الاستعارة
٨٨ مطلب هل
٨٩ مطلب فى القلب المعنوى

صحيفة

٩٣ اللغة لايقاس عليها
٩٨ مطلب بين ووسط
١٠٥ باب ما فى شعر ابى تمام من قبيح الاستعارات
١١٣ قوله لاتسقنى ماء الملام غيرمعيب
١١٤ ما جاء فى شعر ابى تمام من قبيح التجنيس
١١٦ ما يستكره له من الطباق
١١٧ باب مافى سوء نظمه وتأليف الفاظه فيجعله ووحشى الكلام
١١٨ مطلب الاطالة
١١٩ التباس المعاطاة بالكلام الذى يدل بعضه على بعض
١٢٠ حوشى الكلام
١٢١ الغرابة
١٢٢ باب فيما كثر فى شعر ابى تمام من الزحاف واضطراب الاوزان
١٢٤ سرقات البحترى
١٢٩ الى ١٣٩ ما اخذه من معانى ابى تمام خاصة
١٣٩ السرق انما هو فى البديع المخترع لافى المعانى المشتركة بين الناس
١٥٠ خطأ البحترى فى المعانى
١٥٤ كون المتأخر لايجوز له ما جاز للمتقدمين
١٥٤ ما عيب فيه البحترى وليس بعيب
١٦٣ تعسفه وتعقيده فى اللفظ
١٦٤ ردى تجنيسه
١٦٥ فى اضطراب اوزانه
١٦٧ العلم بالشعر وصعوبة الحكم فيه
١٧٠ باب من فضل ابا تمام
١٧٢ باب فى فضل البحترى
١٧٤ الابتداآت بذكر الوقوف على الديار
١٧٩ التسليم على الديار

١٨٢ ما ابتدآ به من ذكر تعفية الدهور والازمان للديار
١٨٣ فى البكآء على الديار
١٨٤ سؤال الديار واستعجامها عن الجواب
١٨٦ مايحلف الظاعنين فى الديار
١٨٧ الدعآء للديار بالسقيا
١٨٨ فى لوم الاصحاب فى الوقوف على الديار
١٨٩ فى تأنيب العذال
١٩٢ ماقالا فى اوصاف الديار والبكآء عليها
١٩٦ فى وصف اطلال الديار وآثارها

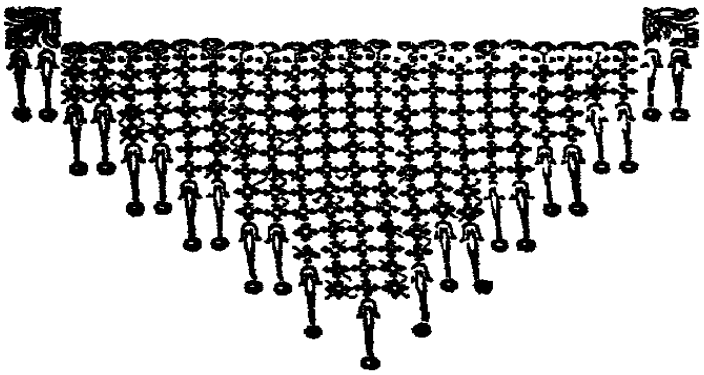

To: www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الامدى هذا ما حثثت ادام الله لك العز والتأييد والتوفيق والتسديد على تقديمه من الموازنة بين ابى تمام حبيب بن اوس الطائى وابى عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى فى سعريهما وقد رسمت من ذلك ما ارجو ان يكون الله عز وجل قد وهب هديه السلامه واحسن فى اعتماد الحق وتجنب الهوى لمعونه منه برحمته ووجدت اطال الله عمرك اكثر من شاهدته ورايته من رواة الاشعار المتأخرين يزعمون ان شعر ابى تمام حبيب بن اوس الطائى لا يتعلق بجيده جيد شاكله ورديه مطروح ومرذول فلهذا كان مختلفا لا يشبه ران شعر الوليد بن عبيد الله البحترى صحيح السبك حسن الديباج ليس فيه سفساف ولا ردى ولا مطروح ولهذا صار مستوايشه بعضه بعضا ووجدتهم خاضوا بينهما لغرارة سعريهما وكثرة حديثهما ورقتهما واتفقوا على ايهما اشعر كما لم يتفقوا على احد ممن وقع التفضيل بينهما من شعراء الجاهلية والاسلام والمتأخرين وذلك لكن فضل البحترى رشبه الى حلاوة نفس وحسن التخلص وروض الكلام فى عرضه وصحة عبارة وقرب متناول ومكشاف المعانى وعم الكلفات والاعراب والشعر المطبوع وعلى الجملة من شان ابا تمام بعد عوض الى وعنها وكثرة بديعه فى استكراه وشرح استكراه وهولاء اهل العنى والشعر قد اسندوا من يميل الى الحق ويؤثر الصدق ويعرف الكلام وان كان كثير من الناس قد اشتبهت عليهم المعرفة بينهما حتى كان البحترى عندهم مفرط البرد وابو تمام مفرط السخن لان البحترى عندهم يقرب من فهم كل احد ويجرى على عمود الشعر المعروف فكان تجنب [illegible] وابو تمام [illegible] بالمعنى الدقيق وتضمن [illegible] فهم من اراد ذلك منه فاما ابو تمام فقد [illegible] الشعر الذى لا يشبه اشعار الرجال

ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعانى المولدة فهو بان يكون فى حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه احق واسبه وعلى انى لا اجد من اقرنه به لانه يحط عن درجة مسلم لسلامة سعر مسلم وحسن سبكه وصحة معانيه ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الاسلوب لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته ولست احب ان اطلق القول بايهما اسعر عندى لتباين الناس فى العلم واختلاف مذاهبهم فى الشعر ولا ارى لاحد ان يفعل ذلك فيستهدف لذم احد الفريقين لان الناس لم يتفقوا على اى الاربعة اشعر فى امرىء القيس والنابغة وزهير والاعشى ولا فى جرير والفرزدق والاخطل ولا فى بشار ومروان ولا فى ابى نواس وابى العتاهية ومسلم لاختلاف آراء الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه فان كنت ادام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويوثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحترى اسعر عندك ضرورة وان كنت تميل الى الصنعة والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوى على غير ذلك فابو تمام عندك اسعر لامحالة فاما انا فاست افضل بتفضيل احدهما على الآخر ولكنى اقارن بين قصيدتين من شعرهما اذا اتفقا فى الوزن والقافية واعراب القافية وبين معنى ومعنى فاقول ايهما اسعر فى تلك القصيدة وفى ذلك المعنى ثم احكم انت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما اذا احطت علما بالجيد والردى وانا ابتدى بما سمعته من احتجاج كل فرقة من اصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الاخرى عند تخاصمهم فى تفضيل احدهما على الآخر وما يتعاه بعض على بعض لتتامل ذلك

(قوله وما يتعاه الخ قال فى القاموس دعى ذنوبه اى اطهرها) (كذا)

وترداد بصيرة وقوة فى حكمك ان شئت ان تحكم واعتقادك فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به قال صاحب ابى تمام كيف يجوز لقائل ان يقول ان البحترى اسعر من ابى تمام وعن ابى تمام اخذ وعلى حذوه احتذى ومن معانيه استقى وباراه حتى ضيل الطائى الاكبر والطائى الاصغر واعرف البحترى ان جيد ابى تمام خير من جيده على كثرة جيد ابى تمام فهو بهذه الخصال ان يكون اشعر من البحترى اولى من ان يكون البحترى اسعر منه قال صاحب البحترى اما الصحة فاصحه ولا تلذه ولا روى ذلك احد عنه ولا نقله ولا راى قط انه محتاج فيه ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند ابى سعيد محمد بن

يوسف الثغرى وقد دخل اليه البحترى بقصيدته التى اولها أفاق صب من هوى فافيقا وابو تمام حاضر فلما انشدها علق ابو تمام ابياتا كثيرة منها فلما فرغ من الانشاد اقبل ابو تمام على محمد بن يوسف فقال ايها الامير ماظننت ان احدا يقدم على ان يسرق شعرى وينشده بحضرتى حتى اليوم ثم اندفع ينشد ما حفظه حتى اتى على ابيات كثيرة من القصيدة فبهت البحترى وراى ابو تمام الانكار فى وجه ابى سعيد محمد بن يوسف فحينئذ قال له ابو تمام ايها الامير والله ما الشعر الا له وانه احسن فيه الاحسان كله واقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه ثم جعل يفخر بالمين وانهم ينبوع الشعر ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى اضعف له الجايزة فهذا الخبر الشنيع يبطل ما ادعيتم اذ كان من (لعله لا) يقول هذه القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه وهو لايعرف ابا تمام الا ان يكون بالخبر يستغنى عن ان يصحبه او يتلمذ له اولغيره فى الشعر وقد اخبرنى انا رجل من اهل الجزيرة ويكنى ابا الوضاح وكان عالما بشعر ابى تمام والبحترى واخبارهما ان القصيدة التى سمع ابو تمام من البحترى عند محمد بن يوسف وكان اجتماعهما وتعارفهما القصيدة التى اولها فسم ابتدار كما الملام ولوعا وانه لما بلغ الى قوله فيها

فى منزل ضنك تخال به القنا بين الضلوع اذا انحنين ضلوعا

نهض اليه ابو تمام فقبل بين عينيه سرورا به وتحققا بالطائية ثم قال ابى الله الا ان يكون الشعر يمنيا قال صاحب البحترى الا ان مع هذا لاينكر ان يكون قد استعار بعض معانى ابى تمام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحترى من شعر ابى تمام فيعلق شيا من معانيه معتمدا للاخذ اوغير معتمد وليس ذلك بمانع من ان يكون البحترى اشعر منه فهذا كثير قد اخذ من جميل وتلمذ له واستقى من معانيه فما رايسا ان احدا اطلق على كثير ان جميلا اشعر منه بل هو عند اهل العلم بالشعر والرواية اشعر من جميل وهذا ابن سلام الجمحى ذكره فى كتاب الطبقات فى الطبقة الثانية من شعراء الاسلام جعله مع البعيث والقطامى وذكر انه عند اهل الحجاز خاصة اشعر من جرير والفرزدق والاخطل وجعل جميلا فى الطبقة السادسة مع عبد الله بن قيس الرقيات والاحوص ونصيب الا انه قال ان جميلا يتقدمه فى النسيب وهذا غير مقبول منه لانه انما يحكيه عن نفسه واهل الحجاز انما قدموا كثيرا من اجل نسيبه وحسن تصرفه فيه وحكى عن جرير انه قال فى بعض الروايات

كثيرا نسيبا ويدل على تقدمه فى النسيب قول ابى تمام فى قصيدة يمدح بها ابا سعيد الكابى اولها من سجايا الطاول ان لاتجيبا

لو يفاجى ركن المديح كثيرا * بمعانيه خالهن نسيبا
طاب فيه المديح والتذحتى * فاق وصف الديار والتشبيبا

اراد ان كثيرا لو فاجاه هذا المديح على حسن نسيبه لحاله نسيبا وخص كثيرا لشهرته بالنسيب وبراعته واحتمل ضرورة الشعر ورد كثيرا الى التكبير فقال كثيرا ولم يقل جميلا ولا جريرا ولا غيرهما مما لاضرورة فى اسمه وعلى ان كثيرا ذكر اسمه مكبرا اما ضرورة واما اعتمادا لتفخيم اسمه وان لاياتى به محقرا فقال

وقال لى الواسون ويحك انها * بغيرك حقا ياكثير تهيم

وقد ذكر ابو تمام كثيرا فى مواضع اخر فجاء به مكبرا فى قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصفه بالبلاغة وهو قوله

فكان مسا فى عكاظ يخطب * وكثير عزة يوم بين ينسب

وذلك لعلم ابى تمام بتقدم كثير فى النسيب على غيره وشهرته بالتجويد فيه على ان جميلا لاسعر له مما يعتد به الا فى النسيب والغزل فقد علمتم الان ان هذه حالة لاتوجب لكم تفضيل ابى تمام على البحترى من اجل انه اخذ سيا من معانيه واما قول البحترى جيده خير من جيدى وردىء خير من رديه فهذا الخبر ان كان صحيحا فهو البحترى لا عليه لان قوله هذا يدل على ان سعر ابى تمام سديد الاختلاف وسعره بديد الاستواء والمستوى الشعر اولى بالتقدمة من المختلف الشعر وقد اجتمعنا نحن وانتم على ان اباتمام يعلو وعلوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا وان البحترى يعلو بتوسط ولايسقط ومن لايسقط ولايسفسف افضل ممن يسقط ويسفسف والذى نرويه عن ابى على محمد بن العلاء السجستانى وكان صديق البحترى انه قال سئل البحترى عن نفسه وعن ابى تمام فقال كان اغوص على المعانى وانا اقوم بعمود الشعر وهذا الخبر هو الذى يعرفه الشاميون دون غيره وسمعت ابا على محمد بن العلا ايضا يقول كان البحترى عند نفسه اسعر من ابى تمام وسائر الشعراء المحدثين وقد ذكر ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه الذى ذكر فيه اخبار الشعرا نحوا من ذلك قال ابو على محمد ابن العلا كان البحترى اذا شرب وانس انشد سعره وقال الا تسمعون الاتجحون قال وكان مع هذا احسن الناس ادب نفس لايذكر ساعر محسن او غير محسن الا فرطه

ومدحه وذكر احسن ما فيه قال ابو علي ولم لايعمل ذلك وقد اصطنعه في ايامه اكثر من خمسة شاعر وذهب شعرهم وانفرد باحد جوائز الخلفاء والملوك سوسهم فلو لم يفعل ذلك الا استكثارا وحفظا من بيت واحد يتدن فيق على الزمان لكان من الحظ له ان يفعله

(اى من بيت واحد ممن يهجونه فيبقى على الزمان متداولا)

وكذلك كان ابو علي دعبل بن علي الخزاعي يهجو الملوك والخلفا ولا يعرض لشاعرهم الا ضرورة وقد حذر في اول كتابه الذي الفه في الشعراء من التعرض لشاعر ولو كان من ادون الناس صنعة في الشعر وقال رب بيت جرى على لسان مفحم قيل فيه رب رمية من غير رام فسارت به الركبان ولذلك يقول في بعض شعره

لاتعرضن بمزح لامرء طبن * ما راضه قلبه اجراه في الشفة

فرب قافية بالمزح جارية * متؤمة لم يرد ايماؤها نمت

ثم نرجع الى قول الخصمين قال صاحب ابي تمام فابو تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه اولا واماما متبوعا وشهر به حتى قيل هذا مذهب ابي تمام وطريقة ابي تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا اثره وهذه فضيلة عرى عن مثلها البحتري قال صاحب البحتري ليس الامر لاختراعه لهذا المذهب على ما وصفته ولا هو باول فيه ولا سابق اليه بل سلك في ذلك سبيل مسلم واحتذى حذوه وافرط واسرف وزال عن النهج المعروف والسنن المالوف وعلى ان مسلما ايضا غير مبتدع لهذا المذهب ولا هو اول فيه ولكنه رأى هذه الانواع التي وقع عليها اسم البديع وهي الاستعارة والطباق والتجنيس منثورة متفرقة في اشعار المتقدمين فقصدها واكثر في شعره منها وهي في كتاب الله عز وجل موجودة قال الله تعالى واشتعل الراس شيبا وقال تبارك وتعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فهذه من الاستعارة التي هي في القران وقال امرؤ القيس

فقلت له لما تمطى بجوزه * واردف اعجازا وناء بكلكل

فجعل الليل يتمطى وجعل له ارداقا وكلكلا وقال زهير

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله * وعرى افراس الصبا ورواحله

فجعل للهوى افراسا ورواحل وقال لبيد الجعفي

[illegible]

يجعل للعادة بدا والجمال زينا فهو كلها الحسارات وهو جلو وعز في الهيئة
وأحلى مع سوء حاله وقبح الغالبين وافع وجهل الذين انعم وقال النبي صلى الله
عليه وسلم عصيه عصت الله ورسوله وشعار حقر الله لها واسبل سلمها الله وقال الضاحي
ولا ردها في الشول شالت * بذيان يكون لها انحطاط (المجفة او الكساء)

وقال ايضا

كنية الحي من ذي القيظ فاحتملوا * مستحصين فوادا ما له فاد

وقال جرير

وما زال مغفولا عقال عن الندى * وما زال محبوسا عن المجد حابس

وقال ذو الرمة

كان البرى والعاج عجب متونه * على عشر نهى به السيل اطلح

(البرى جمع برة وهي على ما في الصحاح حلقة من صفر تجعل في لحم انف البعير
وربما كانت من شعر وقد اهمل القاموس هذا الجمع وعاج عطف والعشر بالضم
النوق التي تنزل الدرة القليلة والنهي اسم ما نهب)

وقال امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد ارضه * ليلبسني من دآئه ما تلبسا

وقال الفرزدق

خفاف اخف الله عنه سحابه * واوسعه من كل ساق وحاصب

ذكر ذلك كله ابو العباس عبد الله بن المعتز في كتاب البديع قال ومن الطباق قول
الله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون
عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما كذب الليث عن اقرانه صدقا

فطابق بين الصدق والكذب وقال طفيل الغنوي

بساهم الوجه لم تقطع اباجله * يصان وهو ليوم الروع مبذول

(عرق مفرده ابجل وهو من الفرس والبعير بمنزلة الاكحل من الانسان)

فطابق بين قوله يصان وبين قوله مبذول فتتبع مسلم بن الوليد هذه الانواع واعتدها
ووشح شعره بها ووضعها في موضعها ثم لم يسلم مع ذلك من الطعن حتى قيل انه

اول من افسد الشعر روى ذلك ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال وحدثنى محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت ابى يقول اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد ثم اتبعه ابو تمام واستحسن مذهبه واحب ان يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الاصناف فسلك طريقا وعرا واستكره الالفاظ والمعانى ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه وقد حكى عبد الله بن المعتز فى هذا الكتاب الذى لقبه البديع ان بشارا وابا نواس ومسلم بن الوليد ومن تقيلهم لم يسقطوا الى هذا الغث ولكنه كثر فى اشعارهم فعرف فى زمانهم ثم ان الطائى تمرغ فيه واكثر منه واحسن فى بعض ذلك واساء فى بعض وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف قال وانما كان الشاعر يقول من هذا الغث البيت والبيتين فى القصيدة وربما قرئ فى شعر احدهم قصائد من غثان توجد فيها بيت واحد بديع وكان يستحسن ذلك منهم اذا اتى قدرا ويزداد حظوة من الكلام المرسل وقد كان بعضهم يشبه الطائى فى البديع بصالح بن عبد القدوس فى الامثال ويقول لوكان صالح نثر امثاله فى تضاعيف شعره وجعل منها فصولا فى ابياته لسبق اهل زمانه وغلب على مدينة بنى المعتز وهذا اول كلام سمعته قال صاحب البحترى وقد سقط الا ان حماقتكم باختراع ابى تمام لهذا المذهب وسعيه اليه وصار استكثاره منه وغزره فيه من اعظم ذنوبه واكبر عيوبه وحمل البحترى اياه ما فارق عمود الشعر وارتكب المجهودة مع ما قد كثرا فى شعر من الاستعارة والتجنيس والمطابقة على حسن الديباجة وجلالة الالفاظ وصحة المعانى وحيث وقع الاجماع على استحسان شعره واستجادة ورى شعره واستحسنه سائر الرواة على طبقاتهم واختلافهم فى نفق (اظهاره من نفق السلعة) على الناس جميعا الى اليوم فهو واحق بالتقديم قال صاحب ابى تمام اذا اعرض عن شعر ابى تمام لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه ووهمه العلماء والنقاد فى علم الشعر واذا شرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه قال صاحب البحترى ان ابن الاعرابى واحمد بن يحيى الشيبانى وقفلهما دعبل بن الخزاعى قد كانوا عالما بالشعر وكلام العرب وقد علمتم مذاهبهم فى ابى تمام وازدرائهم بشعره وطعن دعبل عليه وقولهم ان ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح وروى ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الشعراء عن محمد بن القاسم بن

مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبل انه قال ما جعله الله من الشعر آثر شعره بالخطب والكلام المنثور اسوه منه بالشعر ولم يدخله فى كتابه المؤلف فى الشعر وقال ابن الاعرابى فى شعر ابى تمام ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل روى ذلك ابو عبد الله محمد بن داود عن البحترى عن ابى الاعرابى وحكى محمد بن داود ايضا عن محمد بن القاسم ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد وكان عالما بالشعر انه قال ابوتمام يريد البديع فيخرج الى المحال وروى عنه انه قال دخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الجلس بن وهب وابوتمام ينشده فقال له اسحاق ياهذا لقد شددت على نفسك وذكر ايضا ابوالعباس عبدالله بن المعز فى كتاب البديع وغير هولاء العلماء ممن افسدوا شعره كثير منهم ابو سعيد الضرير وابو العميثل الاعرابى صاحب عبد الله بن طاهر بخراسان وكانا من اعلم الناس بالشعر وكان عبد الله بن طاهر لايسمع من شاعر الا اذا امتحنه وانشدهما شعره ورضياه فقصدهما ابوتمام بقصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر اولها

هن عوادى يوسف وصواحبه * فعزما فقدما ادرك النجح طالبه

فلما سمعا هذا الابتداء اعرضا عنه واسقطا القصيدة حتى عاتبهما ابوتمام وسالهما النظر فيها فاولا انهما طفرا ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر واخذا له الجايزه لكان قد افتضح وخابت سفرته وخسرت صفقته والبيتان

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه
لامر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

اخذ معنى البيت الاول من قول ابى النجيث

اطاف بشعث كالاسنة هجد * بخاسعة الاصوات غر صحونها

واخذ معنى البيت الثانى من قول الاخر

علام وغى تحمحمها قالى * فخان بلاء الدهر الحزون
وكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

(ذكره فى موضع آخر فكان)

ولما اوصلا اليه الجائزة قالا له لم تقول ما لايفهم فقال لهما لم لاتفهمان ما يقال فكان هذا مما استحسن من جوابه وهذا ابو العباس محمد بن يزيد المبرد ما علمناه دون

له كبير شئ وهذه كتبه وامالیه وانشاداته تدل على ذلك وكان يفضل البحترى ويستجيد سعره ويكثر انشاده ولا يستمليه لان البحترى كان باديا فى زمانه اخبرنا ابو الحسن الاخفش قال سمعت ابا العباس محمد بن يزيد المبرد يقول ما رايت اسعر من هذا الرجل يعنى البحترى لولا انه ينشدنى لما انشدكم لملات كتبى من امالى سعره قال صاحب ابى تمام فقد بطل احتجاجكم بالعلماء وتفضيلكم لشعره عليه لان دعبلا كان يتنقص ابا تمام ويحسده وذلك مشهور معلوم منه فلا يقبل قول شاعر فى شاعر واما ابن الاعرابى فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه ولانه كان يرد عليه من معانيه ما لايفهمه ولا يعلمه فكان اذا سئل عن شئ منها يأنف ان يقول لا ادرى فيعدل الى الطعن عليه والدليل على ذلك انه انشد يوما ابياتا من شعره وهو لايعلم قائلها فاستحسنها وامر بكتبها فلما عرف انه قائلها قال خرقوه والابيات من ارجوزته التى اولها

وعاذل عدلته فى عذله * فظن انى جاهل من جهله

وكان ابن الاعرابى على علمه وتقدمه قد جعل نفسه على هذا الظلم الصريح والتعصب الظاهر فاتكرون ايضا ان يكون حال سائر من ذكرتموه مثل حاله قال صاحب البحترى لايلزم ابن الاعرابى من الظلم والتعصب ما ادعيتم ولا يلحقه نقص فى قصور فهمه عن معانى شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام الى الخطأ والاحالة والعيب والنقص فى ذلك يلحقان ابا تمام اذ عدل عن المحجة الى طريقة يجهلها ابن الاعرابى وامثاله واما ما استحسنه ابن الاعرابى من شعر ابى تمام فامر بكتبه ثم امر بتخريقه لما علم انه قائله فذلك غير منكر ولا يدخل ابن الاعرابى فى التعصب والظلم لان الذى يورده الاعرابى وهو محتذ على غير مثال احلى فى النفوس واسهى الى الاسماع واحق بالزيادة والاستجادة مما يورده المحتذى على الامثله وعذر ابن الاعرابى فى هذا اذا قدصح وقد سقه الاصمعى وذلك ان اسحاق بن ابراهيم الموصلى انشد الاصمعى

هل الى نظرة اليك سبيل * فيروى الصدى ويشفى العليل

ان ما قل منك يكثر عندى * وكثير ممن تحب القليل

فقال لمن تنشدنى فقال لبعض الاعراب فقال والله هذا هو الديباج الخسروانى قال انهما لابياتهما فقال لاجرم والله ان اثر الصنعة والتكلف بين عليهما حدثنا

بهذا الحديث ابو الحسن علي بن سليمان الاخفش النحوي قال حدثنا ابو الحسن البهراني قال حدثني ابوخالد يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال انشدت الاصمعي الا انه ذكر عن اسحاق انه قال له انهما لليلتهما فقال الاصمعي افسدتهما فالاصمعي في هذا غير ظالم لان اسحاق مع علمه بالشعر وكثرة روايته لاينكر له ان يورد مثل هذا لانه يقوم في النفس انه قد احتذاه على مثال واخذه عن متقدم وانما يستطرف مثله من الاعرابي الذي لايعول الا على طبعه وسليقته وابن الاعرابي في ابي تمام اعذر من الاصمعي في اسحاق لان ابا تمام كان مغرما مشغوفا بالشعر وانفرد به وجعله وكده والف كتبا فيه واقتصر من كل علم عليه فاذا اورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك ببدع له لانه ياخذ المعاني ويحتذيها فليس لها في النفوس حلاوة ما يورده الاعرابي قال صاحب ابي تمام فقد امرتم لابي تمام بالعلم والشعر والرواية ولا محالة ان العلم في سعره اظهر منه في شعر البحتري والشاعر العالم افضل من الشاعر غير العالم قال صاحب البحتري فقد كان الخليل بن احمد عالما شاعرا وكان الاصمعي شاعرا عالما وكان الكسائي كذلك وكان خلف بن حيان الاحمر اشعر العلماء وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء فقد كان التجويد في الشعر ليست علته العلم ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء اشعر ممن ليس بعالم فقد سقط فضل ابي تمام من هذا الوجه على البحتري وصار افضل واولى بالسبق اذ كان معلوما شائعا ان شعر العلماء دون شعر الشعراء ومع ذلك فان ابا تمام يعمل ان يدل في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب فيعمد لادخال الفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره وذلك نحو قوله هل البحار يا بحر * اهدى لها الابوس العوير وقوله فدك انت اربيت في العلوآء وقوله اقسم بدر تباري ايها الحفض وهذا في شعره كثير موجود والبحتري لم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان له عنده فضيله ولا راى انه علم لانه نشأ ببادية منبج وكان يتعمد حذف الغريب والوحشي من شعره ليقرب به من فهم من يمتدحه الا ان ياتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها ويرى ان ذلك انفق له فتفق وبلغ المراد والغرض ويدلك على ذلك انه كان يكنى ابا عبادة ولما دخل العراق تكنى ابا الحسن ليزيل الغنجهية والاعرابية ويساوي في مذاهبه اهل الحاضرة ويقرب بهذه الكنية الى اهل البادية والكتاب

من الشيعة وقد ذكر بعضهم انه كان يكنى ابا الحسن وانه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه عدل الى ابى عبادة والاول اثبت وقد حكى ابوعبد الله محمد بن داود بن الجراح ان ابا عبادة سكنية البحترى القديمة فنشأ ما بينهما من حضرى تشبه باهل البدو فلم يتفق بالبادية ولا عند اكثر الحاضرة وبدوى تحضر فتفق فى البدو والحضر قال صاحب ابى تمام فقد عرفناكم ان ابا تمام اتى فى شعره بمعان فلسفية والفاظ غريبة فاذا سمع بعض شعره الاعرابى لم يفهمه فاذا فسر له فهمه واستحسنه قال صاحب البحترى هذه دعاوى منكم على الاعراب فى استحسان شعر صاحبكم اذا فهموه ولا يصح ذلك الا بالامتحان ولكنكم معترفون ومجمعون مع من هو معكم وعليكم ان لصاحبكم احسانات واساآة وان الاحسان للبحترى دون الاساآة ومن احسن ولم يسئ افضل ممن احسن واساآ قال صاحب ابى تمام ما اجمعنا معكم ان صاحبكم لم يسىء بل هو محسن فى قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناآء

(سيذكره فيما بعد برواية تخفى الزجاجة)

وهذا وصف للاناآ لا للشراب لانه لو ملا الاناآء دبسا لكان هذا صفته وقال

ضحكات فى ارهن العطايا * وبروق السحاب قبل رعوده

فاقام البرق مقام الضحك والرعد مقام العطايا وانما كان يجب ان يقيم الغيث مقام العطايا لا الرعد وله لحون فى شعره معروفة نحو قوله ونصبته علما بسامرآء وقوله ببرات معد فى انتقيل الاول وقوله هرج على حلب واساءه لهذا كثيرة فقد تساووا فى الغلط قال صاحب البحترى ما نعينا على ابى تمام اللحن وهو فى شعره كثير لو تتبع فتتبعوا منه على البحترى لان اللحن لايكاد يعرى منه احد من الشعرآء المحدثين ولا يسلم منه شاعر من الشعرآء الاسلاميين وقد جآء فى اشعار المتقدمين ما علمتم من الالفاظ ممن لايقوم العذر فيه الا بالتاويلات البعيدة وعلى انه ليس شئ مما عتم به البحترى خارجا عن مقاييس العربية ولا بعيدا من الصواب بل قد جآء منه كثير فى اشعار القدمآء والاعراب والفصحآ ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه ونحن لو رمنا ان نشرح ما فى شعر ابى تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ولا يجد المتاول له مخرجا منه الا بالطلب والحيلة والحمل الشديد وذلك مثل قوله

ثانيه فى كبد السمآء ولم يكن * لاثنين ثان اذ هما فى الغار

معنى هذا البيت ان بابك صار جارا فى الصلب لمازيار وهو ثانيه فى كبد السمآء ولم يكن ثانيا لاثنين اذ هما فى الغار اى هو ثانى اثنين فى الصلب لما زيار الذى هو رذيلة وليس هو ثانيا فى الغار لان هذه فضيلة فكان يجب ان يقول فى البيت ولم يكن لاثنين ثانيا لانه خبر يكن واسمها هو اسم بابك مضمر فيها فليس الى غير النصب سبيل فى البيت والا بطل المعنى وفسد وفساده انك اذا اخليت يكن من ضمير بابك وجعلت قوله ثان اسمها كان ذلك خطا ظاهرا قبيحا لانك اذا قلت كان زيد وعمرو اثنين ولم يكن لهما ثان كنت مخطئا لان اثنين احدهما ثان الآخر وكذلك اذا قلت كانوا ثلاثة ولم يكن لهم ثان كنت مخطئا لان احد الثلاثة هو ثانيهم وانما يكون مصيبا اذا قلت كانا اثنين ولم يكن لهما ثالث وثلاثة ولم يكن لهما رابع وايضا فانه لو اراد هذا المعنى لم يكن فى البيت فائدة البتة لانه كان يكون المعنى حينئذ ان بابك ثانى مازيار فاى فائدة فى هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش واى تعلق لهذا المعنى بما قبله فى البيت وقال فى اخر قصيدة

سامت بروقك آمال بمصر ولو * اصحت على الطوس لم تستعد الطوسا

(وهذه الاعتراضات من العت المحض لان لها اوجها فى العربية)

فادخل فى طوس الالف واللام وهى اسم بلدة معروفة وقال احدى بنى بكر بن عبد مناه وانما هى مناة فى الادراج كما قال الله تبارك وتعالى ومناة الثالثة الاخرى وانما يكون بالهآء فى الوقف لا فى الحركة والدرج وقال فى هذه القصيدة لولا صفات فى كتاب الباه وانما هى الماآة بالمد فى تقدير الساعة وان كان قد حكى الباه فى بعض اللغات الرديئة والردى لايعتد به وقال فكم من هوآ فيك صاف غذى جؤه وهوى وبى فقال غذى وهو غذ بالتخفيف وقال فى قصيدة على الاعادى ميكال وجبريل فاوقع الاعراب على الاعادى وذلك غير جايز لمتاخر وقال

ستين الفا وسعينا ومثلهما * كتائب الخيل تحميها الاراجيل

(يحتمل انه الاراجيل اى الاراجل فزاد الباآ كما زادها الشاعر فى قوله فى الدراهم الخ او جمع ارحل بالهآء للابيض الطهر من الخيل)

فنون النون من سعين وهذا لايسوغه محدث ونحو هذا مما ليست بنا حاجة الى ذكره لانا لم نتبعه ولا عرفناه به لما وصفنا فى باب اللحن وكثرته فى اسعار المتاخرين

وانما عنناه بخطسانه فى معانيه واصالته فى استعاراته وكثرة ما يورده من الساقط والغث البارد مع سوء سبكه ورداءة طبعه وسخافة لفظه مما سنذكره فى باب آخر من الاحتجاج عليكم فاما ما عنيتم به البحترى من قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

فما زالت الرواة وشيوخ اهل الادب والعلم يستحسنون هذا البيت ويستجيدونه له وذكره عبد الله بن المعتز وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر فى باب ما اختاره من التشبيه فى كتابه الذى نسبه الى البديع ولكنكم ابيتم الا افساده ثم اجلتم واكثرتم ان تنعوا على شاعر محسن بيتا واحدا فما زلتم تمنون وتحملون حتى وجدتم ابياتا تحتمل من التاويل ما يحتمله الاول وهو قوله ضحكات فى اثر هن العطايا * وبروق السحاب قبل رعوده وكلا البيتين الى الصواب اقرب ومن الخطا ابعد فاما قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

فانما قصد الى وصف هيئة الشراب فى الاناء ولم يقصد الى وصف الشراب خاصة ولا الى الاناء كما ادعيتم ولو اراد وصف الاناء لكان مصيبا لان الزجاجة ايضا يوصف ما فيها وتقع المبالغة فى نعتها وقد جاء فى وصف اوانى الشراب ما جاء ومن احسن ما قيل فى ذلك قول على بن العباس بن جريج الرومى يصف قدحا

تنفذ العين فيه حتى تراها * اخطاته من رقة المستنف

كهواء بلا هواء منوب * بضياء ارقق بذاك واصف

وسط القدر لم يكبر لجرع * متوال ولم يصغر لسف

لايجول على العقول جهول * بل حليم عنهن من غير ضعف

فالزجاجة اذا رقت وصفت وسلمت من الكدر استد صفاؤها وبريقها فاذا وقع فيها الشراب ارقيق اتصل الشعاعان وامتزج الضوءان فلم يكد الزجاجة تتبين للناظر ولو جعلها دبسا او عسلا او لبنا وماء كدرا فى اناء هذه صفته فى الرقة لما خفى الاناء على الناظر لان هذه الاشياء لاشعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الاناء وضوءه وقد سبقه الى هذا المعنى على بن جبله فقال

كان يد النديم تدير منها * سعاعا لاتحيط عليه كاس

وقال اخر انشده ابو الحسن على بن سليمان الاخفش

واذا ما مزجت فى كاسها * فهى والكاس معا شئ احد

(سيرويه بعد هذا واذا ما نزلت فى كاسها)

فانتم فى هذه المعارضة بالخطا اجدر وبالعيب احرى فاما قوله وبروق السحاب قبل رعوده فانه اقام الرعد مقام الغيث لانه مقدمة له وعلم من اعلامه ودليل من اقوى دلائله الا ترى ان برق الخلب لا رعد معه وقد قال الاعشى

والشعر يستنزل الكريم كما * استنزل رعد السحابة السبلا

فجعل الرعد هو الذى يستنزل المطر وقال الكميت

وانت فى الندوة الجماد اذا * اخلف من انجم رواعدها

واذا كان البرق ذا رعد فقلما يخلف ومثل هذا فى كلام العرب مما ينوب الشى عن الشى اذا كان متصلا به او سببا من اسبابه او مجاورا له كثير فمن ذلك قولهم للمطر سماء ومنه قولهم ما زلنا نطأ السماء حتى اتيناكم قال الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

يريد اذا سقط المطر رعيناه يريد رعينا النبت الذى يكون عنه ولهذا سمى النبت ندى لانه عن الندى يكون وقالوا ما به طرق اى ما به قوة والطرق التحم فوضعوه موضع القوة لان القوة عنه تكون وقولهم للزادة راوية وانما الراوية البعير الذى يسقى عليه الماء فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه ومن ذلك الحفض متاع البيت فسمى البعير الذى يحمله حفضا ومن ذلك قول المسيب بن علس وتمد ثنى جديلها بشراع اراد بدقل فقال بشراع لان الشراع عليه يكون وهذا باب واسع وايسر من ان يحتاج الى استقصائه وبعد فلو كان هذان البيتان خطأ كما ادعيتم واخذتم على هذا الشاعر المجتمع على احسانه غلطا من غيرهما فى سعره لما كان بذلك داخلا فى جملة المسوءين ولا الحائفين فى الشعر لجودة نظمه واستواء نسجه ووقوع لفظه فى مواقعه ولان معانيه تصح بالنقد وتخلص على السك وابو تمام يتهرج سعره عند التفتيش والبحث ولا تصح معانيه على التفسير والشرح قال صاحب ابى تمام لئن اسرقتم فى الذم وبالغتم على صاحبنا فى الطعن وتجاوزتم الحد الذى يقف عنده المحتج المناظر الى مذهب المسقط المغالط والمتعصب المتحامل فلسنا نمنع ان يكون صاحبنا قد وهم فى بعض سعره وعدا عن الوجه الاوضح فى كثير من معانيه وغير منكر لفكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد ان يلحقه الكلال فى الاوقات والزلل فى الاحيان بل من الواجب لمن احسن احسانه ان يسامح

فى سهوه ويتجاوز له عن زلله فما راينا احدا من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ولا من اخذ الرواة عليه الغلط والعيب هذا الاصمعى قد عاب امرء القيس بقوله

واركب فى الروع خيفانة * كسا وجهها سعف منتشر

(اركب فعل مضارع وخيفانة هى فى الاصل الجرادة ثم تشبه بها الفرس فى الخفة) وقال شبه شعر الناصية بسعف النخلة والشعر اذا غطى العين لم يكن الفرس كريما وذلك هو الغمم والذى يحمد فى الناصية الجثلة وهى التى لم تفرط فى الكثرة فتكون الفرس غمآ والغمم مكروه ولم تفرط فى الخفة فتكون الفرس سفوآ والسفا ايضا مكروه فى الخيل والجيد ما قال عبيد

مضبر خلقها تضبيرا * ينشق عن وجهها السبيب

(المضبر الملزز الخلق المكتنز اللحم والسبيب الذنب والعرف والناصية) وروى ذلك عنه ابو حاتم سهل بن محمد السجستانى وقال ايضا سمعت الاصمعى يقول اخطا امرؤ القيس فى قوله

لها متنان خطاتا كما * اكب على ساعديه النمر

لان المتن لايوصف بكثرة اللحم ويستحب منه التعريق وكذلك الوجه كما قال طفيل معرقة الالحى تاوح متونها واخذ عليه فى قوله فى وصف الفرس

فللسوط الهوب وللساق درة * وللزجر منه وقع اخرج مذهب

وقال هذه الفرس بطيئة لانها تحوج الى السوط والى ان تركض بالرجل وتزجر ويقال ان اول من عابه بهذا البيت زوجته لما احتكم اليها هو وعلقمة الفحل فغلبت علقمة فطلقها وقد اخذ ايضا عليه قوله اغرك منى ان حبك قاتلى وقال اذا لم يغرها فاى شئ يغر وعيب زهير ابن ابى سلمى بقوله

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن الغم والغرقا

وقالوا ليس خروج الضفادع من الماء خوف الغم والغرق وانما ذلك لانها تبيض فى الشطوط وعيب على كعب ابنه قوله ضخم مقلدها فم مقيدها وقالوا انما توصف النجائب برقة المذبح واخذ على النابغة قوله يصف عنق المرأة بالطول

اذا ارتعنت خاف الجبان رعانها * ومن يتعلق حين علق يفرق

وهذا قريب من قول ابى نواس لتخافك النطف التى لم تخلق بل ابو نواس اعذر لقوله لتخافك يريد لتكاد تخافك والشعر تسفط تكاد فى الشعر وهى تريدها

وجاء فى القرآن مثل ذلك قال الله عز وجل وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقال الشاعر يتقارضون اذا التقوا فى موطن * نظرا يزيل مواطىء الاقدام
اى نظرا يكاد يزيل فاضمر يكاد واللام اذا جاءت كانت ادل عليها قال الله جل وعز وبلغت القلوب الحناجر اى كادت واخذ على النابغة قوله

الكنى ياعيين اليك قولا * ستحمله الرواة اليك عنى

وقالوا قوله الكنى اى كن لى رسولا فكيف يكون الكنى اليك عنى فاعتذر له الاصمعى وقال هذا مما حملته الرواة على النابغة كانه يدفع ان يكون قاله واخذ على المسيب قوله

وقد اتناسى الهم عند احضاره * بناجية كأنها الصيعرية مكدم

قال الصيعرية صفة للنوق لا للتحول فسمه طريفة بن العبد وهو صبى فقال استنوق الجمل وضحك منه ويقال ان المسيب قال اخرج لسانك فاخرجه فقال ويل لهذا من هذا يعنى راسه من لسانه واخذ على الفرزدق قوله

صحا قلبه عنها سوى ان ذكره * اذا خطرت دارت به الارض قائما

قالوا من اذا ذكر دارت به الارض ليس بسايغ واخذ على عدى بن زيد قوله يبد الجياد فارها متتابعا وقالوا لايقال للفرس فاره وانما يقال له جواد وكريم والفاره البغل والحمار واخذ عليه ايضا قوله فى صفة الخمر

والمشرف الهندى يسقى به * اخضر مطمونا بماء الحريض

الحريض سحابة تحرض وجه الارض اى تغشره لندتها ويقال الحريض اسم نهر بناحية الحيرة فوصف الخمر بالخضرة وما وصفها بذلك احد غيره واخذ على الاعشى قوله

وقد عدوت الى الحانوت يتبعنى * شاو شلول مثل شلشل شول

وقالوا هذه الالفاظ كلها التى بعد شاو متقاربة فى المعنى وقرى على الاصمعى قول ابى ذؤيب الهذلى

قصر الصبوح لها فشرح لحمها * بالنىء فهى تنوخ فيها الاصبع
ناب بدرتها اذا ما استكرهت * الا الحميم فانه يتبضع

فقال هذه الفرس تساوى درهمين لانه جعلها كثيرة اللحم رخوة يدخل فيها الاصبع حرونا اذا حركت قامت الا العرق فانه يسيل وقرى على الاصمعى قول ابى

النجم يسبح اخراه ويطفو اوله فقال حمار الكساح اذا افره مثه وعاب الاصمعي ذا الرمة بقوله

حتى اذا دومت في الارض ادركها * كبر ولو ولو شاء نجى نفسه الهرب

وقال الفصحاء لايقولون دوم في الارض وانما يقولون دوم في الهواء اذا حلق ودوى في الارض اذا ذهب وكان الاصمعي ايضا يعيبه في قوله وتفرى غبيط التحم والماء جامس وقال انما يقال للجامد من السمن وما اشبه جامس وروى ذلك عنه ابو حاتم وحكى ابو نصر عن الاصمعي قال كنا نظن الطرماح شيئا حتى قال

واكره ان يعيب على قومي * هجاي الارذلين ذوي الحنات

لانها احنة واحن ولا يقال حنات واخذ على الاخر قوله

فما رقد الوالدان حتى رايته * على البكر يمريه بساق وحافر

فسمى رجل الانسان حافرا وهذه استعارة في نهاية القبح وكذلك قول الآخر

قد افنى انامله عتمه * فاضحى يعض على الوظيفا

فجعل له وظيفا مكان الرجل وكذلك قول الآخر

سامنعها او سوف ابعد امرها * الى ملك اظلافه لم تشقق

وقال الحطيئة

قروا جارك العيمان لما جفوته * وقلص عن برد الشباب مشافره

وعيب على ايمن بن خزيم قوله يمدح بشر بن مروان

فانا قد وجدنا ام بشر * كام الاسد مذكارا ولودا

وقالوا اخطأ في ان جعل ام الاسد واودا لان الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج والصواب قول كثير بغمات الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقلات نزور وقال جرير صارت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها فقيل لرجل من بني حنيفة من اي الاثلاث انت فقال من الثلث الملغى وسمع اسحاق بن ابراهيم الموصلي عمارة بن عقيل ينشد لجرير

لما تذكرت بالديرين ارقني * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقال اخطا والله ابوك التاذين لايكون في اول الليل وقال من طلب العذر لجرير ارقني انتظار صوت الدجاج وعاب الاخطل الفرزدق في قوله

ابني غدانة انني حررتكم * فوهبتكم لعطية بن جعال

لو لاعطية لاجتذعت انوفكم * من بين الأم اعين وسبال

قال وكيف وهبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء وقال عطية حين بلغه الشعر ما اسرع ما رجع اخى فى هبته ومدح الفرزدق الحجاج وقد دخل عليه ببيت واحد فقال

ومن يأمن الحجاج والطير تتقى * عقوبته الا ضعيف العزائم

فقال له الحجاج الطير تتقى الثور وتتقى الظبى ما جئت بشئ وانما اراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يد واخذ على الاخطل قوله فى عبد الملك ابن مروان

وقد جعل الله الخلافة منهم * لابيض لاعارى الخوان ولا جدب

وهذا لايمدح به خليفة واراد ان يمدح رجلا من بنى اسد كان اجاره فهجاه وكان يقال لقوم الرجل القيون يعيرون بذلك فقال

قد كنت احسبه قينا وانبأه * فاليوم طير عن اثوابه الشرر

اى فاليوم نفى ذلك عن نفسه فما زاد على ان نبه عليه وقد كان له فى الممادح متسع واراد ان يهجو سويد بن منجوف فمدحه وذلك قوله

فما جزع سوء ضرب السوس وسطه * لما حملته وائل بمطيق

واخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن ابى سويد

اذا التقت الابطال ابصرت وجهه * مضيئا واعناق الكماة خضوع

فقبلوا اساء القسمة واخطأ الترتيب وانما كان يجب ان يقول ابصرته ساميا واعناق الملوك خضوع او ابصرت لونه مضيئا والوان الكماة كاسفة ومن خطا الشعر قول عدى بن الرقاع يذكر البارى تبارك وتعالى

وكفك بسطة وندالك سمح * وانت المرء تفعل ما تقول

فجعل ربه مرءا وعابه الاصمعى فى قوله

لهم رابة تهدى الجموع كانها * اذا خطرت فى لعلب الرمح طائر

وقال الراية لاتخطر انما الخطران للرمح ومن فاسد اللفظ وقبيحه قول ذى الرمة

فاضحت مناديها قفارا رسومها * كان لم سوى اهل من الوحش توهل

اراد كان لم توهل سوى اهل من الوحش ومن خطا المديح قول الكميت يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

الى السراج المنير احمد لا * تعدل بى رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو ربع النا * س الى العيون وارتقبوا
وقيل افرطت بل قصدت ولو * عنفنى القائلون او ثلبوا
لج بتفضيلك اللسان ولو * اكثر فيك الضجاج واللجب

فمن يعنفه ويونبه على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكثر عليه فيه الضجاج واللجب وهذا لو كان قاله بين المشركين وفى صدر الاسلام لعل العذر كان يتسع له فيه وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بان قال لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم مناصة بهذا الخطاب وانما اراد اهل بيته لانه قد قال فيهم من الشعر ما قال ولان بنى امية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر اشد الانكار على من يمدحهم ويغرق فى الثنآء عليهم وايده بان لهم وعيب ايضا الكميت بان جمع كلمتين لا تشبه احداهما الاخرى وذلك قوله

وقد رأينا بها حوراً منعمة * رود تكامل فيها الدل والشنب

وقال الدل انما يكون مع الغنج او نحوه والشنب انما يكون مع اللعس او ما يجرى مجراه من اوصاف الثغر والفم والجيد ما نأله ذو الرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى انيابها شنب

ولو استقصينا هذا الباب لطال جدا وانما اوردنا ههنا منه مثالا لتعلموا ان فحول الشعراء الذين علموا عليه وافتحموا معانيه وصاروا قدوة واتبعهم الشعراء واحتذوا على حذوهم وبنوا على اصولهم ما عصموا من الزلل ولا سلموا من الغلط هذا فى المعانى فمن معى المقصد والمرمى والغرض فاما ما يوبه النحويون من عيوب الشعر فى الاعراب والاكفاء والسناد وغير ذلك مما هو عيب فى اللفظ دون المعنى فليست بنا حاجة الى ذكره لكثرته وشهرته وكذلك ما اخذته الرواة على المحدثين المتاخرين من الغلط واخذنا واللحن اشهر ايضا من ان يحتاج الى ان نبرهنه او ندل على ذلك فلم يك احد من متقدم ولا متاخر فى خطائه ولا سهوه وغلطه مجهول الحق ولا بمجحود الفضل بل عفى عنكم احسانه على اساءته وعلا تجويده على تقصيره فكيف خصصتم ابا تمام دون غيره بالطعن وعبتموه دون من سواه بالزلل والوهن ولم يك بذلك بدعا ولا متفردا ولا اليه سابقا فبخستم حق الاحسان الذى انتشر فى الافاق وسارت به الركبان وتمثل به المتمثل وتادب بحفظه

وانشاده المتادب مما ان ذكرناه لم تنكروه واقررتم بفضله واجمعتم على استجادته واستحسانه فهل الظلم المستقبح والتعصب المستهجن الا ما انتم مرتكبوه وخابطون فيه قال صاحب البحترى اما اخذ السهو والغلط على من اخذ من المتقدمين والمتاخرين ففى البيت الواحد والبيتين والثلاثة وربما سلم الشاعر المكثر من ذلك تة وتعرى منه حتى لاتوخذ عليه لفظة وابو تمام لانكاد نخلو له قصيدة واحدة من عدة ابيات يكون فيها مخطئا او محيلا او عن الغرض عادلا او مستعيرا استعارة قبيحة او مفسدا للمعنى الذى يقصد بطلب الطباق والتجنيس اومبهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لايفهم ولا يوجد له مخرج مما لو عددناه لكان كثيرا فاحشا فكيف يكون ما اخذ على الشعرآء من الوهم وقليل الغلط عذرا لمن لا تحصى معايبه ومواقع الخطأ فى شعره وعلى ان اكثر ما عددتموه مما اخذته الرواة على الشعرآء صحيح والسهو فيه انما دخل على الرواة ولو استقصينا هذا موضع ذكره لذكرناه قال صاحب ابى تمام الطآى فبم تدافعون قول البحترى يرثى ابا تمام ودعبلا ويذم من بقى بعدهما من الشعرآء

قد زاد فى حزنى واوقد لوعتى * مثوى حبيب يوم مات ودعبل
وتقاصرت بالجمعى وشبهه * من كل مطسرب القريحة مخبل
اهل المعانى المستحيلة ان هم * طلبوا البراعة بالكلام المقفل
اخوى لاتزل السمآء مخيلة * تغشاكما بحيا السحاب المسبل
جدثن لدى الاهواز يبعد دونه * مسرى الثنى ورمة بالموصل

فحال ان يرثى البحترى ابا تمام ويذكر من بعده من الشعرآء بان قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة وعنده ان ابا تمام تلك صفته فلم تنكرون فضل من يعترف البحترى بفضله ويشهد فى الشعر له وتنسبون العيب اليه وهذه صفته عنده وتلحقونه به وهو يبرئه منه قال صاحب البحترى ولم لايفعل البحترى ذلك وقد كان هو وابو تمام بعد اجتماعهما وتفارقهما متصافيين على القرب والبعد متحابين متلائمين على الدنو والتبحط يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب ولم يكن فى زمانهما شاعر مشهور يفد على الملوك ويجتدى بالشعر وينتسب الى طى سواهما فليس بمنكر ان يشهد احدهما لصاحبه بالفضل ويصفه باحسن ما فيه وينحله ما ليس فيه وخاصة فى الشعر ثم تابين البيت فان العادة جرت بان يعطى من التقريظ والوصف وجميل

الذكر اضعاف ما كان يستحقه فلا تدفعوا العيان فلن يحق وصف البحترى ابا تمام فى حياته وتابينه اياه بعد وفاته ما ظهر من مقابحه وفضائح شعره

قال صاحب ابى تمام فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيرا من العلماء بالشعر يتولون جيد ابى تمام لايتعلق به جيد امثاله واذا كان كل جيد دون جيده لم يضر ما يوثر من رديئه قال صاحب البحترى انما صار جيد ابى تمام موصوفا لانه ياتى فى تضاعيف الردى الساقط فيجىء رائقا لندة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالاضافة ولهذا قال له ابو هفان اذا طرحت درة فى بحر خرء فمن الذى يغوص عليها ويخرجها غيرك والمطبوع الذى هو مستوى الشعر قليل السقط لايتبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة ومن اجل ذلك صار جيد ابى تمام معاوما وعدده محصورا وهذا عندى انا هو الصحيح لانى نظرت فى شعر ابى تمام والبحترى وتقطت محاسنهما ثم تصفحت شعرهما بعد ذلك على مر الاوقات فما من مرة الا وانا الحق فى اختيار شعر البحترى ما لم اكن اخترته من قبل وما اعلم انى زدت فى اختيار شعر ابى تمام ثلثين بيتا على ما كنت اخترته قديما قال صاحب ابى تمام افتنكرون كثرة ما اخذه البحترى من ابى تمام واغراقه فى الاستعارة من معانيه فايهما اولى بالتقدمة المستعير او المستعار منه وقد ابتدأنا بالجواب عن هذا فى صدر كلامنا ونحن نتمه فى هذا الموضع ان شاء الله تعالى اما ادعاوكم كثرة الاخذ منه فقد قلنا انه غير منكر ان يكون اخذ منه من كثرة ما كان يرد على سمع البحترى من شعر ابى تمام فيحتذى معناه قاصدا الاخذ او غير قاصد لكن ليس كما ادعيتم وادعاه ابو الضيا بشر بن تميم فى كتابه لانا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه وتجرى طباع الشعراء عليه فجعله مسروقا وانما السرق يكون فى البديع الذى ليس للناس فيه اشتراك فما كان من هذا الباب فهو الذى ذكره البحترى من ابى تمام لا ما ذكره ابو الضيا وحشا به كتابه وانا اذكر هذين البيتين فى موضعهما من الكتاب وابين ما اخذه البحترى من ابى تمام على الصحة دون ما اشتركا فيه اذ كان غير منكر لشاعرين متناسبين من اهل بلدين متقاربين ان يتفقا فى كثير من المعانى لا سيما ما تقدم الناس فيه وتردد فى الاسمار ذكره وجرى فى الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله وبعد فينبغى ان تتاملوا محاسن البحترى ومختار شعره والبارع من معانيه والفاخر من كلامه فانكم لاتجدون فيه على غزره وكثرته

حرفا واحدا مما اخذه من ابى تمام واذا كان ذلك انما يوجد فى المتوسط من شعره فقد قام الدليل على انه لم يعتمد اخذه وانه انما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده (تم احتجاج الخصمين بحمد الله) وانا ابتدى بذكر مساوى هذين الشاعرين لاختم بذكر محاسنهما واذكر طرفا من سرقات ابى تمام واحالاته وغلطه وساقط شعره ومساوى البحترى فى اخذ ما اخذه من معانى ابى تمام وغير ذلك من غلط فى بعض معانيه ثم اوازن من شعريهما بين قصيدتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية ثم بين معنى ومعنى فان محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك وتتكشف ثم اذكر ما انفرد به كل واحد منهما فخود من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه وافرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه وبابا للامثال اختم بهما الرسالة واضع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما واجعله مولفا على حروف المعجم ليقرب متناوله وتسهل حفظه وتقع الاحاطة به ان شا الله تعالى (سرقات ابى تمام) كان ابو تمام مشتهرا بالشعر مشغوفا به مشغولا مدة عمره بتخميره ودراسته وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة فمنها الاختيار القبائلى الاكبر اختار فيه من كل قصيدة وقد مر على يدى هذا الاختيار ومنها اختيار آخر ترجمته القبائلى اختار فيه قطعا من محاسن اشعار القبائل ولم يورد فيه كبير شئ للمشهورين ومنها الاختيار الذى تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والاسلام واخذ من كل قصيدة شيا حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمة وهو اختيار مشهور معروف باختيار سرآء النحول ومنها اختيار تلقط فيه اشيا من الشعرآ المقلين والشعرآء المغمورين غير المشهورين وبوبه ابوابا وصدره بما قيل فى التجماعة وهو اسهر اختياراته واكثرها فى ايدى الناس ويلقب بالحماسة ومنها اختيار المقطعات وهو مبوب على ترتيب الحماسة الا انه يذكر فيه اشعار المشهورين وغيرهم والقدمآء والمتاخرين وصدره بذكر الغزل وقد قرأت هذا الاختيار ونقطت منه نتفا وابياتا كثيرة وليس بمشهور شهرة غيره ومنها اختيار مجرد فى اشعار المحدثين وهو موجود فى ايدى الناس وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وانه استغل به وجعله وكده واقتصر من كل الاداب والعلوم عليه فانه ما شئ كبير من شعر جاهلى ولا اسلامى ولا محدث الا قراه واطلع عليه ولهذا اقول ان الذى خفى من سرقاته اكثر مما قام منها على كثرتها وانا اذكر ما وقع الى فى كتب الناس من سرقاته وما استنبطته انا

To: www.al-mostafa.com

منها واستخرجته فانك تظفر بعد ذلك منها على شئ الحقته بها ان شا الله قال الكميت الاكبر وهو الكميت بن ثعلبة

ولا تكنزوا فيها المجاج فانه * محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا

اخذه الطائي فقال السيف اصدق انباء من الكتب وذلك ان اهل التنجيم كانوا حكموا بان المعتصم لايفتح عمورية وراسلته الروم انا نجد في كتبنا ان مدينتنا هذه لاتفتح الا في وقت ادراك التين والضب وبيننا وبين ذلك الوقت شهور يمنعك من المقام فيها البرد والثلج فابى ان ينصرف واكب عليها حتى فتحها وابطل ما قالوه فلذلك قال الطائي السيف اصدق انباء من الكتب وهو احسن ابتدائه

وقال النابغة يصف يوم الحرب

تبدو كواكبه والشمس طالعة * لا النور نور ولا الاظلام اظلام

اخذه الطائي فقال وذكر ضوء النهار وظلمة الدخان في الحريق الذي وصفه

ضوء من النار والظلماء عاكفة * وظلمة من دخان في ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد افلت * والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وقال الاعشى وان صدور الخيس سوف يزوركم * ثناء على اعجازهن معلق

اخذه الطائي فقال من القلاص اللواتي في حقائبها * بضاعة غير مزجاة من الكلم

وقال مسلم بن الوليد في صفة الخمر

قتلت وعاجلها المدير ولم يتد * فاذا به قد صيرته قتيلا

اخذه الطائي واحسن الاخذ فقال

اذا اليد نالتها بوتر توقدت * على ضغنها ثم استقادت من الرجل

وان كان اخذها من ديك الجن فلا احسان له لانه اتى بالمعنى بعينه قال ديك الجن

تمز بايدينا تقعقع روحها * وتأخذ من اقدامنا الراح نارها

كذا وجدته فيما نقلته وليس ينبغي ان يقطع على ايهما اخذ من صاحبه لانهما كانا في عصر واحد وقال الاعشى

وارى الغواني لايواصلن امرءا * فقد الشباب وقد يصلن الامردا

اخذ الطائي المعنى والصفة فقال

احلى الرجال من النسا مواقعا * من كان اشيبهم بهن خدودا

وقال البحتري

وانا لنعطى المشرفية حقها * فتقطع فى ايماننا وتقطع

فقال الطائى

فما كنت الا السيف لا فى ضريبة * فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وقال الطائى

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

لامر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

اخذ صدر البيت من قول كثير

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * قلائص فى اصلابهن تحول

ويشبه قول البعيث

اطاف يشعث كالاسنة هجد * بخاشعة الاصوآء غبر صحونها

واخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر

غلام وغى تقحمها فابلى * فحان بلاه الدهر الخوون

فكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

وقال جران العود يصف الخيال

سقيا لزورك من زور أتاك به * حديث نفسك عنه وهو مشغول

فذكر العلة فى طروق الخيال وهو السابق لهذا المعنى فاخذه العباس ابن الاحنف فقال

خيالك حين ارقد تنصب عينى * الى وقت انتباهى ما يزول

وليس يزورنى صلة ولكن * حديث النفس عنك هو الوصول

فتبعه الطائى فقال

زار الخيال لها لابل ازاركه * فكر اذا نام فكر الخاو لم ينم

وقال فى هذا المعنى ايضا

نم فما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقال ابو تمام الطائى

اما الهجآ فدق عرضك دونه * والمدح فيك كما علمت جليل

فاذهب فانت طارق عرضك انه * عرض عززت به وانت ذليل

اخذه من قول هشام المعروف بالخاو احد الشعرآء البصريين يهجو بشار بن برد

بذلة والديك كسبت عزا * وبالمؤم اجترأت على الجواب

فاخذه ابراهيم بن العباس فاجاد واحسن

نجا بك عرضك منجى الذباب جنه معاذره ان ينالا

وقال الطائى

والشيب ان طرد الشباب بياضه * كالصبح احدث للظلام افولا

اراد قول القردق

والشيب ينهض فى الشباب كانه * ليل يصيح بجانبيه نهارا

فقصر عنه وقال قيس بن ذريح

بليغ اذا يشكو الى غيرها الهوى * وان هو لاقاها فغير بليغ

اخذه الطائى فقال

لم تنكرين مع الفراق تبلدى * وبراعة المشتاق ان يتبلدا

وقال الحطيئة

اذا هم بالاعداء لم يثن همه * حصان عليها لواؤ وشنوف

فاخذه كثير فقال

اذا هم بالاعداء لم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها

اخذه الطائى فخلط لقصده الى مجانسة اللفظ فقال

عداك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

وقال مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

اخذه الطائى فقال

وقد ظلت عقبان اعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل

اقامت مع الرايات حتى كانها * من الجيش الا انها لم تقاتل

ذاتى فى المعنى زيادة وهى قوله الا انها لم تقاتل وجاء به فى بيتين وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى تاول من سبق اليه الافوه الاودى وذلك قوله

وترى الطير على آثارنا * رأى عين ثقة ان ستمار

فجعه النابغة فقال

اذا ما غزوا بالجيش حاف فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانح قد ايقن ان قبيله * اذا ما التقى الجمعان اول غالبه

فاخذه حميد ابن ثور فقال يصف الذئب

اذا ما غزا يوما رايت غيابة * من الطير ينظرن الذى هو صانع

وقال ابو نواس تتأى الطير غزوته * ثقة بالشبع من جزره

اى تتعمد وتتقصد وقال منصور النمرى يمدح الرشيد

وعين محيط بالبرية طرفها * سواء عليه قربها وبعيدها

اخذه ابو تمام فقال

اطل على كلا الافاق حتى * كان الارض فى عينيه دار

عجز هذا البيت حسن جدا وبيت النمرى احب الى لان معناه اشرح

وقال مسلم بن الوليد

فلما انقضى الليل الصباح وصلته * بحاشية من لونه المتورد

اخذه ابو تمام فقال

حطت على قبة الاسلام راحله * والشمس قد نفضت ورسا على الاصل

هذا ما ذكره ابن المنجم والذى اظنه انه اخذه من قول الآخر والشمس صفراء كلون الورس وقال مزار الفقعسى فى وصف الاثافى

آثر الوقود على جوانبها * بخدودهن كانه لطم

اخذه ابو تمام فقال

آثاف كالخدود لطمن حزنا * ونؤى مثلما انفصم السوار

اورد المعنى فى مصراع واتى بالمصراع الثانى بمعنى آخر يلبق به فاجاد الا ان بيت المزار اشرح واوضح معنى لانه اثر الوقود على جوانبها فابان المعنى الذى من اجله اشبه الخدود الملطومة وقال ابو نواس

فامطر ياقوتة والكأس لؤلؤة * من كف لؤلؤة معشوقة القد

اخذه ابو تمام فقال واساء

او درة بيضاء بكرا طبقت * حبلا على ياقوتة حمراء

لان قوله حبلا كلام قبيح مستكره جدا وقال ابو تمام

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

اخذه من قول كثير

اذا وصلتنا خلة كى تزيلها * ابينا وقلنا الحاجبية اول

وذكر محمد بن داود بن الجراح فى كتابه انه اخذ المعنى من قول الطثرية اذ يقول

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وهذا اجود ما قيل فى هذا المعنى لانه ذكر العلة وقال ابو تمام

وما سافرت فى الافاق الا * ومن جدواك راحلتى وزادى

مقيم الظن عندك والاماني * وان قلقت ركابى فى البلاد

اخذه من قول ابى نواس

وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

وقد كان ابن ابى داود ساله عن هذ المعنى حين انشده القصيدة فقال اهو مما اخترعته فقال اخذته من قول ابن هانى وان جرت الالفاظ يوما بمدحة وقال ابن الخياط فى قصيدة يمدح بها المهدى فاجازه بجائزة ففرقها فى الدار فبلغه فاضعف له الجائزة فقال

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى * ولم ادر ان الجود من كفه يعدى

اخذه ابو تمام فقال

علمنى جودك السماح فما * ابقيت شيئا لدى من صلتك

وبيت ابن الخياط ابلغ واجود وقال دعبل بن على

وان امرءا اسدى الى بنافع * لدى يرجى الشكر منى لاحمق

شقيعك فانكر فى الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق

اخذه ابو تمام فقال والطف المعنى واحسن اللفظ

فلقيت بين يديك حلو عطائه * ولقيت بين يدى مر سؤاله

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة * من جاهه فكانها من ماله

وقال مسلم بن الوليد فى الحجاب واخطا فى المعنى

كذلك الغيث يرجى فى تحجبه * حتى يرى مسفرا عن وابل المطر

اخذه ابو تمام فقال

ليس الحجاب بمقص عنك لى املا * ان السماء ترجى حين تحتجب

الا ان لبيت ابى تمام وجها من الصواب وقد ذكرته فى باب فى هذا الكتاب مع ما اخذ على مسلم فى بيته من العيب

وقال النابغة الجعدى

* وتستلب الدهم التى كان ربها * ضنينا بها والحرب فيها الحرائب

فاخذه ابو تمام فقال وقصر عنه

لما راى الحرب راى العين توفلس * والحرب منتقة المعنى من الحرب

او اخذه من قول ابراهيم بن المهدى

ومسعر الحرب واسم الحرب قد علموا * لو ينفع العلم منتق من الحرب

وقالت مريم بنت طارق ترثى اخاها فى ابيات انشدها ابن الانبارى فى اماليه

كنا كانجم ليل بينها قمر * يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

اخذ ابو تمام اللفظ والمعنى فقال

كان بنى نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

او اخذه من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك

امسى بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من بينها القمر

ولست ادرى ايهما اخذ من صاحبه امريم اخذت من جرير ام جرير اخذ منها

وروى دعبل بن على الخزاعى لابى سلمى المزنى من ولد زهير واسمه مكنف الذى يجمع بنى القعقاع آل ذفافة العنبسى فيقول * ان الضراط به تعاظم مجدكم

فتعاظموا ضرطا بنى القعقاع

قال دعبل فلما مات ذفافه رثاه ابوسلمى فقال

ابعد ابى العباس يستعتب الدهر * وما بعده للدهر عتبى ولا عذر

الا ايها الناعى ذفافة ذا الندى * تعست وسلت من اناملك العشر

ولا مطرت ارضا سماء ولا جرت * نجوم ولا لذت لنازبها الخمر

كان بنى القعقاع بعد وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

توفيت الامال بعد ذفافة * فاصبح فى شغل عن السفر السفر

يعزون عن تاو تعزى به العلا * ويبكى عليه الباس والمجد والشعر

وما كان الا مال من قل ماله * وذخرا لمن امسى وليس له ذخر

قال ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال ابو محمد اليزيدى انشدنى دعبل هذه القصيدة وجعل يعجبنى من الطائى فى ادعائه اياها وتغييره بعض ابياتها

وقال مسلم بن الوليد يرثى

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * اثنى عليها السهل والاجبال

اخذ ابو تمام المعنى وقصر فى العبارة فقال

وقفنا فقلنا بعد ان افرد النوى * به ما يقال فى السحابة تقلع

وتقصيره عن مسلم ان مسلما قال اثنى عليها السهل والاجبال فاراد ان هذه السحابة عمت بنفعها وفى قول ابى تمام ما يقال فى السحابة تقلع ابهام لانه لم يفصح بالثناء عليها وانها نفعت وقد يقال فى السحابة اذا اقلعت ما هو غير المدح والثناء اذا نزلت فى غير حينها وفى غير وقت الحاجة اليها وكثيرا ما يضر المطر اذا كانت هذه حاله وان كان ابو تمام لم يرد هذا القسم وانما اراد القسم الآخر فقط فقصر فى العبارة والشرح الاترى الى قول الشاعر الاول ما احسن ما شرط وهو طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

قال غير مفسدها لما دعا لها بالسقيا الذى يدوم وقال البحترى

الخ جودا فلم تضرر سحائبه * وربما ضر عند الحاجة المطر

وقول ابى تمام ما يقال فى السحابة تقلع يحتاج الى تفسير مع سرقته

وقال العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

اخذه الطائى فقال

آلفة النجيب كم افتراق * اظل فكان داعية اجتماع

وبيت الاعرابى وهو عروة بن الورد اجود من بيتهما وهو قوله

تقول سليمى لو اقمت بارضنا * ولم تدر انى للمقام اطوف

وقال ابو تمام

اسربل هجر القول من لو هجرته * اذا لتجافى عنه معروفه عندى

اخذ المعنى من قول بعض الخوارج وساعده قطرى بن الفجاءة قال الحجاج فابى لان الحجاج كان من عادته فقال

اقاتل الحجاج عن سلطانه * يبدو تقربانها مولاته

انى انا ماخو استتابه والذى * خلت على احسانه جهلاته

هذا اوان شددت ازرى فى الصفا فتجلت له فعلاته

انى جار على من انا ذاك انا انحق من جار عليه ولاته

وتحدث الاقوام ان صنائعا * غرست لدى فحنظلت نخلاته

وقال قيس بن الخطيم

وقضى الله حين صورها الخالق ان لايكنها سدف

اخذه ابو تمام فقال

فتجبت من شمس اذا حجبت بدت * من نورها فكانها لم تحجب

او اخذه من قول ابى نواس

ترى ضوءها من ظاهر الكاس ظاهرا * عليك ولو غطيتها بغطاء

وقال مسلم بن الوليد

يصيب منك مع الآمال طالبها * حلما وعلما ومعروفا واسلاما

اخذه ابو تمام فقال وبرز عليه وان كان بيت مسلم اجمع للمعنى

ترمى باسباحنا الى ملك * نأخذ من ماله ومن أدبه

وقال ابونواس

تبكى البدور لضحكه * والسيف يضحك ان عبس

اراد بالبدور جمع بدرة فاخذه ابو تمام فقال وقصر عنه

كل يوم له وكل آوان * خلق ضاحك ومال كئيب

فبازآ هذا البيت قول ابى نواس تبكى البدور لضحكه وقوله والسيف يضحك ان عبس فضل وقال جرير وهن اضعف خلق الله اركانا اخذه ابو تمام فجعله فى الخير فقال وضعيفة فاذا اصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء

وقال رجل من بنى اسد وكان ابو عبدالله البرقى احد شعراء الشاميين انتسبنيه لبعض شعراء بنى اسد

تغيبت كى لاتحزنونى دياركم * ولو لم تغب شمس النهار لمالت

اخذه الطائى فقال

فانى رايت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

فاما قول الابادى

فانى رايت الغيث يسأم دائما * ويسأل بالايدى اذا هو أسكبا

فمن ابى تمام اخذه لانه متأخر بعده وقال مسلم بن الوليد

موف على نهج والوم ذى رمح * كانه اجل يسعى الى امد

فاخذه الطائى فقال وقصر

راه العلج مقتحما عليه * كما اقتحم الفناء على الخلود

وقال قطرى بن الفجاة

ثم انثنيت وقد اصبت ولم اصب * جذع البصيرة قارح الاقدام

اخذه ابو تمام فقال

ومجربون سقاهم من بأسه * فاذا لقوا فكانهم اغمار

وقد ذكر هذا المعنى فى بيت آخر فقال

كهل الاناة فتى النشاة اذا غدا * للحرب كان الماجد الغطريفا

وقال آخر

يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار

ويروى بالرماح اخذه الطائى فقال وقصر وغير المعنى وجاء بغرض آخر

لقط لاخلاق التجار وانهم * لغدا بما ادخروا له لتجار

وقال ابو نواس يمدح الخصيب

ما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

وقال جرير يهجو الاخطل

ما زلت تحسب كل شئ بعدهم * خيلا تكر عليكم ورجالا

اخذه ابو تمام فقال

حيران يحسب سجف النقع من دهش نقى يحاذر ان ينقض او جرفا

واخذ جرير المعنى من قول الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم وقال مسلم يرثى

سلكت بك العرب السبيل الى العلى * حتى اذا سبق ازدى بك داروا

نفضت بك الامال احلاس المنى * واسترجعت نزاعها الامصار

اخذه ابو تمام فقال

توفيت الآمال بعد محمد * فاصبح مشغولا عن السفر السفر

او اخذ ذلك من قول ابى سلمى يرثى ذفافة العبسى كما حكى دعبل

وقال نوبة بن الحمير

يقول الناس لا يدرك ثأرها * بلى كل ما سف النفوس يضيرها

اخذه ابو تمام فقال وزاد فيه

لاشئ ضائر عاشق فاذا نأى * عنه الحبيب فكل شئ ضائر

وقال عنتره

فشككت بالرمح الطويل ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

اخذه ابو تمام فقال

يحملن كل مدجج سمر القنا * باهابه اول من السربال

قال ذلك لانه ظن ان عنترة اراد السياب نفسها وانما اراد عنترة بقوله ثيابه نفسه

وقال مسلم بن الوليد

يكسو السيوف نفوس التاركين به * ويجعل الهام نيجان القنا الذبل

اخذه ابو تمام واساء الاخذ وتعسف اللفظ فقال

ابدلت رؤسهم يوم الكريهة من * قنا الظهور قنا الحطى مدعما

او اخذ المعنى جميعا من قول جرير

كان رؤس القوم فرق رماحنا * غداة الوغى نيجان كسرى وقيصرا

وقال امرؤ القيس

سموت اليها بعد ما نام اهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

اخذه ابو تمام وعدل به الى وجه المديح فقال

سما للعلا من جانبيه كليهما * سمو حباب الماء جاشت غواربه

وما قيل فى اخفاء الحركة والدبيب ابلغ ولا ابرع من بيت امرء القيس هذا

وقال الفرزدق يهجو جريرا

انتم فرارة كل مدفع سوءة * ولكل سائلة تسير قرار

اخذ ابو تمام اللفظ والمعنى جميعا فقال

وكانت لوعة ثم اطمانت * كذاك لكل سائلة قرار

وقال محمد بن بشير الخارجى من خارجة عدوان

واذا رايت صديقه وشقيقه * لم تدر ايهما اخو الارحام

اخذه ابو تمام فقال

فاو ابصرتهم والنار تزهم * لما مزت الحميم من البعيد

فقصر عن الاول وقال بعض الاعراب يصف المصاوب انشده ثعلب

قام ولما يستعن بساقه * الف مثواه على فرافه * كانما يضحك فى اشراقه *

أخذ ابو تمام قوله الف مثواه على فراقه فقال

لا يبرحون ومن وراهم خالهم * ابدا على سفر من الاسفار

وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سبق اليه

لا يستطيع يزيد من طبيعته * عن المروة والمعروف احجاما

اخذ ابو تمام المعنى فكنفه واحسن اللفظ واجاده فقال

تعود بسط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه انامله

وقال ذو الرمه

وليل كجلباب العروس ادرعته * باربعة والشخص فى العين واحد

احم علافى وابيض صارم * واعيس مهرى واروع ماجد

اخذه ابو تمام فقصر وليس هو المعنى بعينه فقال

البيد والعيس والليل التمام معا * ثلاثة ابدا يقرن فى قرن

والذى اتبع ذا الرمة فاحسن الاتباع البحترى فى قوله

ياخليلى بالسواحر من ادبن معن وبحتر بن عتود

اطلبا نائلا الى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

وقال النابغة الذبيانى وكان الاصمعى يتعجب من جودته

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته * وهل على بان اخشاك من عار

اخذه ابو تمام فقال وزاد ذكر الموت

خضعوا لصولتك التى هى عندهم * كالموت ياتى ليس فيه عار

وقال كعب بن زهير يمدح قرينا

لايقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

اخذه ابو تمام كما قال لى بعض الرواة فقال يرثى حيدا

لو خر سيف من العيوق منصلتا * ما كان الا على هاماتهم يقع

روى التناميون ان ابا تمام سئل عن هذا المعنى فقال اخذته من قول نادبة لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما اخطأ فاما قول كعب لايقع الطعن الا فى نحورهم فانما اراد انهم لايولون الدبر وليس من معنى ابى تمام فى شئ وقال يصف الراية

تخفق اثناؤها على ملك * يرى طراد الابطال من طرده

اخذه من قول ابى نواس تعد عين الوحش من اتوائها واخذه ابو نواس

من قول ابى النجم تعد عاثات اللوى من مالها وقال ابو تمام يستهدى نيرذا

وهى نزر لو انها من دموع الصب لم يشف منه حر الغليل

اخذه من قول الآخر واخذه الآخر منه والمعنيان متشابهان

لو كان ما اهديته اثمدا * لم يكف الا مقلة واحده

وقال يصف مغنية تغنى بالفارسية

ولم افهم معانيها ولكن * شجت كبدى فلم اجهل شجاها

اخذه من قول الحصين بن الضحاك على ما فى قول الخليع من المناقضه

وما افهم ما يعنى * مغنينا اذا غنى

سوى انى من حبى * له استحسن المعنى

لانه قال ما افهم ما يعنى ثم قال استحسن المعنى وانما اراد بالمعنى اللحن لامعنى القول واجود من ذلك كله قول حميد بن ثور يصف الحمامة

ولم ار مثلى شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت اعجما

وقال الفرزدق يرثى امراة له ماتت حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم انح * عليه ولم ابعث عليه البواكيا

وفى بطنه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا امهلته لياليا

فقال ابو تمام واجاد اللفظ واحسن الاخذ واصاب التمثيل فقال يرثى ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر

لهفى على تلك المخايل فيهما * لو امهلت حتى تكون شمائلا

ان الهلال اذا رايت نموه * ايقنت ان سيكون بدرا كاملا

وقال ابو تمام

صلتان اعداؤه حيث كانوا * فى حديث من ذكره مستفاض

فاخطا فى قوله مستفاض وانما هو مستفيض وقد احتج له محتج بان قال اراد مستفاض فيه وانما جعلهم يفيضون فى ذكره لانهم ابدا على حال وجل واحتراس من ايقاعه بهم فهم لايقطعون ذكره من شدة الخوف منه الا تراه قال حيث حلوا اى هم بهذه الحال قريبا كانت دراهم منه او بعيدا واخذ هذا المعنى من قول اعشى باهلة يرثى اخاه لامه المنتشر

لايامن القوم ممساه ومصبحه * فى كل فج وان لم يغز ينتظر

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين
يسوقه من قرار * الى قرار مكين
حتى بدت حركات * مخلوقة من سكون

وقال ابو العتاهيه

كم نعمة لا يستقل بنكرها * لله فى طى المكاره كامنه

اخذه الطآى فقال واحسن لانه جآ بالزيادة التى هى عكس الشى الاول

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقال اخر ولست ادرى اهو قبل الطآى او فى ايامه

ما كنت احسب ان بحرا زاخرا * عم البرية كلها اروآء
اضحى دفينا فى ذراع واحد * من بعد ما ملك الفضآ فضآء

فقال الطآى وابر عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة * باسقآئها قبرا وفى لحده القبر (لعله ء

وقال آخر

نؤى كما نقص الهلال محاقه * اومثل ما فصم السوار المفصم ـ

اخذه ابو تمام فقال ونوى مثلما انفصم السوار وقال اخر فى السحاب

كان عينين باتا طول ليلهما * يستمطران على غدرانه المقلا

فقال الطآى وحول المعنى واجاد

كان الغمام الغر غين تحتها * حبيا فما ترقى لهن مدافع

وقال الطآى

وليست بالعوان العنس عندى * ولاهى منك بالبكر الكعاب

اخذه من قول الفرزوق

وعند زياد لو يريد عطآهم * رجال كثير قد ترى بهم فقرا
قعود لدى الابواب طالب حاجة * عوان من الحاجات اوحاجة بكرا

وقال الآخر وهو معبد الهذلى

اى عيش عيشى اذا كنت منه * بين حل و بين وقت الرحيل
كل فج من البلاد كانى * طالب بعض اهله بذحول

فقال الطاى

كان له دينا على كل مشرق * من الارض اوثارا لدى كل مغرب

وقال اخر وانشده ابن ابي طاهر والاخفش الارقط بن دعبل

نهنه دموعك من سح وتسجام * البين اكثر من شوق واسقام

وما اظن دموع العين راضية * حتى تسح دما هطلا بتسجام

اخذ الطائي معنى البيتين ولفظهما فقال

ما اليوم اول توديعي ولا الثاني * البين اكثر من شوقي واحزاني

وما اظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغني اقصى خراسان

وانشدني ابن طاهر لدعبل

ان جاء مرتغبا سائل * آلت عليه رغبة السائل

اخذه ابو تمام فقال

واني لارجو عاجلا ان تردني * مواهبه بحرا ترجى مواهبي

وقال دعبل بن علي

واسمر في راسه ازرق * مثل لسان الحية الصادي

اخذه الطائي فقال

مثقفات سلبن الروم زرقتها * والعرب ادمتها والعاشق القضفا

فزاد المعنى بان شبه زرقتها بزرقة الروم وسمرتها بسمرة العرب ولكن قول دعبل مثل لسان الحية الصادي ليس لحسنه نهاية وقال ابونواس

واطعم حتى ما بمكة اكل * واعطي عطاء لم يكن بضمان

اخذ الطائي معنى صدر البيت فقال

فنول حتى لم يجد من ينيله * وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وقال ابونواس في ارجوزة يصف فيها الحمام ويمدح فيها قوما

يسكرهم قبل النوال اللاحق * كالبرق يبدو قبل جود دافق

والغيث يخفى وقعه للرامق * ان لم يجده بدليل البارق

اخذ المعنى ابو تمام فقال

يستنزل الامل البعيد ببشره * بشر الخليفة بالربيع المغدق

وكذا السحائب فلما تدعو الى * معروفها الرواد ما لم تبرق

وقال ابو العتاهيه

وانا اذا ما تركنا السوال * منه فلم نبغه يبتدينا
وان نحن لم نبغ معروفه * لمعروفه ابدا يبتغينا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت ابى العتاهيه الاول

اخ لى يعطينى اذا ما سالته * ولو لم اعرض بالسوال ابتدانيا

اخذه ابو تمام معنى البيت ومعنى بيت ابى العتاهية الاول فقال

ورايتنى فسالت نفسك سيبها * لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى

او لعله اخذه من قول منصور النمرى

رايت المصطفى هارون يعطى * عطاء ليس ينتظر السوالا

واجود من هذا كله قول سلم الخاسر

اعطاك قبل سؤاله * فكفاك مكروه السؤال

واخذ ابو تمام معنى بيت ابى العتاهيه الثانى فقال

كالغيث ان جئته واعالك ريقه * وان تحملت عنه كان فى الطلب

وقال مسلم

وما كان مثلى يعتريك رجاؤه * ولكن اساءت شيمة من فتى محض

اخذه ابو تمام وزاد زيادة حسنة فقال

فان كان ذنبى ان احسن مطلبى * اساء فنى سوء القضاء لى العذر

وانشد ابو تمام فى الحماسه

ترد السباع معى فالفى كالمدل من السباع

اخذ المعنى من فيه فقال

ابن مع السباع الماء حتى * لحالته السباع من السباع

وقال النطار بن هاشم الازدى

يعف المرؤ ما استحيا ويبقى * نبات العود ما بقى اللحاء
وما فى ان يعيش المرؤ خير * اذا ما المرؤ زايله الحياء

اخذ ابو تمام معنى البيتين واكثر لفظهما فقال

يعيش المرؤ ما استحيا بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء
فلا والله ما فى العيس خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال ابو نواس

ابن لى كيف صرت الى حريمى * ونجم الليل مكتحل بقار

اخذه الطائى فقال

اليك هتكتنا جنح لبل كانه * قد اكتحلت منه البلاد بانمد

وسمع ابونواس يقول

تبكى فتذرى الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

فقال واساء كل الاساءة وقبح صدر البيت

ملطومة بالورد اطلق طرفها * فى الخلق فهو مع المنون محكم

وقال ابو تمام

ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خدم الفواد

اخذه من الجعد بن ضمام احد بنى عامر بن سنان ذكره ابو تمام فى اختيارات القبائل

ان البيان مع الفواد وانما * جعل اللسان بما يقول رسولا

وقال طريح الثقفى يرثى قوما

فلله عينا من رأى قط حادثا * كفرس الكلاب الاسد يوم المنازل

اخذه ابو تمام فاجاد الاخذ فقال

من لم يعاين ابا نصر وقاتله * فما رأى ضبعا فى سندقها سبع

وهذا معنى متداول وقد يجوز ان يكون اخذه الطائى من غير هذا الموضع وقال مروان بن ابى حفصة

ما ضرنى حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

اخذه ابو تمام فقال وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع

وقال ابو ذهيل الجمحى

ما زلت فى العفو للذنوب واطلاق لعان بجرمه غلق

حتى تمنى البراة انهم عندك امسوا فى القد والحلق

اخذه ابو تمام ففال

ونكفل الايتام عن اباتهم * حتى وددنا اننا ايتام

وقال زيد الخيل الطائى

واسمر مربوع يرى ما رأيته * بصير اذا صوبته بالمقاتل

اخذه ابو تمام فقال

مَن كَل اسمر نظار بلا نظر * الى المقاتل ما فى مشيه اود

وقال ابو نخيلة فى مسلمة بن عبد الملك

ونوهت من ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر انبه من بعض

اخذه ابو تمام فقال

لقد زدت اوضاحى امتدادا ولم اكن * بهيما ولا ارعى من الارض مجهلا

ولكن اياد صادفتنى جسامها * اغر فوافت بى اغر محجلا

وقال المسيب بن علس

هم الربيع على من كان حلهم * وفى العدو منا كيد مشائيم

وقال غلاقة بن عركى التميمى يرثى قوما

وكنتم قديما فى الحروب وغيرها * ميامين للادنى لاعدائكم نكدا

ومثله قول كعب بن الجرم

بنو رافع قوم منائيم للعدى * ميامين للمولى وللمتحرم

اخذ الطائى هذا المعنى فقال فى مدح ابى سعيد

اذا ما دعوناه باجلح ايمن * دعاه ولم يظلم باصلع انكد

وقال دكين الراجز عارى الحصى يدرس ما لم يلبس فقال ابوتمام

تجدد كلما لبست وتبقى * اذا ابتذلت وتخلق فى الحجاب

او اخذه من قول الراجز

عود على عود من القدم الاول * بميته الترك ويحييه العمل

يعنى طريقا وقال تميم بن ابى بن مقبل

قد كنت راعى ابكار منعمة * فاليوم اصبحت ارعى جله شرفا

يريد عجائز اخذه الطائى فقال وعدل بشطر البيت الى وجه اخر فاحسن

كنت ارعى الحدود حتى اذاما * فارقونى بقيت ارعى النجوما

وقال حسان بن ثابت الانصارى

والمال يغشى رجالا لاطباخ لهم * كالسيل يغشى اصول الدندن البالى

اخذه الطائى فقال

لاتنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

وقال ابو تمام فى وصف الشعر

ولكنه صوب العقول اذا انجلت * سحائب منه اعقبت بسحائب

اخذه من قول اوس

اقول بما صبت على غمامتى * ودهرى وفى حبل العشيرة احطب

وقال امية بن ابى الصلت

عطاؤك زين لامرء ان حبوته * بخير وما كل العطاء يزين

اخذه الطائى فقال

ما زلت منتظرا اعجوبة زمنا * حتى رايت سوالا يجتنى شرفا

وقال كثير

ونازعنى الى مدح ابن ليلى * قوافيها منازعة الغراب

اخذه الطائى فقال

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقالت محياه بنت طليق من بنى تيم الله بن ثعلبة

نعى ابنى محل صوت ناع اصمنى * فلا آب محمودا يريد نعاهما

وقال سفيان بن عبد يغوث النصرى

صمت له اذنائى حين نعيته * ووجدت حزنا دائما لم يذهب

اخذه الطائى فقال

اصم بك الناعى وان كان اسمعا * واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

ونحوه قول الحارث بن نهيك الدارمى

ففقأ عينى تبكاوه * واورث فى السمع منى صمم

وقال سعران بن عرباض القسرى

فما السائل المحروم يرجع خائبا * ولكن بخيل الاغنياء نجيب

وقال آخر وهو الشجاع القائق فى خبر عن ابن الكلبى ورواه ابن دريد

لاتزهدن فى اصطناع العرف من احد * ان الذى يحرم المعروف محروم

اخذه ابو تمام فقال

وانى ما حورفت فى طلب الغنى * ولكننا حورقنا فى المكارم

وقال عنترة والطعن منى سابق الآجال وانما اراد الاجال سابقة طعنى لشدة خوفه اذا سدد سنانه للطعن اخذه الطائى فغيره تغييرا حسنا فقال

يكاد حين يلاقى القرن من حنق * قبل السنان على حوبائه يرد

وقال عدى بن الرقاع يمدح بعض بنى مروان

واذا رايت جماعة هو فيهم * نبئت سؤدده وان لم تسأل

اخذه الطائى فقال

يحميه لالاوه ولوذعيته * عن ان يذال بمن اومن الرجل

فقصر عدى بالممدوح اذ جعله اذا كان فى جماعة لم يعرف حتى تنبىء عنه شمائله وتبعه ابو تمام فى التقصير وقال

طلب المجد يورث المرء خبلا * وهموما تقضقض الحيزوما

فتراه وهو الخلى شجيا * وتراه وهو الصحيح سقيما

اخذ قوله وهموما تقضقض الحيزوما من قول لقيط الايادى

لا يطعم النوم الاريب يبعثه * هم يكاد حشاه يحطم الضلعا

واخذ معنى قوله

ولهته العلى فليس يعد البوس بوسا ولا النعيم نعيما

من قول لقيط ايضا

لامترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا

وقال ابو العارم الطائى

غبى العين اوفهم تغابى * عن الندات والفكر التواصى

اخذه ابو تمام فقال وزاد عليه واحسن

ليس الغبى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

او اخذه من قول دعبل * تخال احيانا به غفله * من كرم النفس وما اعلمه

وتمثلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته عليه السلام فيما روى عنها ولا اعلم صحته * صبت على مصائب لو انها * صبت على الايام عدن لياليا

ومثله قول الطائى

عادت له ايامه مسودة * حتى توهم انهن ليالى

وقال ابو ذئيبة

اسعى له فيعنينى تطلبه * ولو قعدت اتانى لا يعنينى

اخذه الطائى فقال

الرزق لاتكمد عليه فانه * ياتى ولم تبعث اليه رسولا

وقال الطائى

وجه العيس وهى عيس الى الله فاضت من الهواجر شيبا

اخذه من قول ابن هرمه

بدات عليها وهى عيس فاصبحت * من السبر جونا لاحقات الغوارب

وانشد الاسنانداني فى المعانى يذكر الابل

ردت عواري غيطان الفلا ونجت * بمثل امثاله من حائل العشر

اخذه ابو تمام فقال

فكم جذع وادجب ذروة غارب * وبالامس كانت انهكته مذانبه

وقال ابو تمام

لو اصخنا من بعده لسمعنا * لقلوب الايام منك وجيبا

اخذه من قول ابى نواس

حتى الذى فى الرحم لم يك نطفة * لفواده من خوفه خفقان

وقال اخر

يا حبذا ريح الجنوب اذا غدت * بالفجر وهى ضعيفة الانفاس

قد حملت برد الثرى وتحملت * عبقا من الجلجاب والبسباس

اخذه الطائى فقال

ارسى بناديك الندى وتنفست * نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

وقال نصيب

وقد عاد ماء الارض ملحا فزادنى * على طمأى ان ابحر المشرب العذب

اخذه ابو تمام فقال

كانت مجاورة الطلول واهلها * زمنا عذاب الورد فهى بحار

وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرسا

نهد كتيس اقب معتدل * كانما فى صهيله جرس

اخذه ابو تمام فقال

صهصلق فى الصهيل تحسبه - اشرح حلقومه على جرس

وقال الفرزدق

قيام ينظرون الى سعيد * كانهم يرون به هلا لا

اخذه ابو تمام فقال

رمقوا اعالى جذعه فكانما * رمقوا الهلال عشية الافطار

وقال ابن منادر فى البرامكة

اذا وردوا بطحآ مكة اشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

لهم رحلة فى كل يوم الى العدى * واخرى الى البيت العتيق المستر

اخذه ابو تمام فقال

حين عفى مقام ابليس سامى * بالمطايا مقام ابراهيما

وقال ابو تمام

فحيوا بالاسنة ثم ثنوا * مصافحة باطراف الرماح

اخذ قوله فحيوا بالاسنة من قول مسلم

فحيوا باطراف القنا وتعانقوا * معانقة البغضآ غير التودد

واخذ قوله مصافحة باطراف من قول ابى اسحاق التغلبي

دنوت له بابيض مشرفى * كما يدنو المصافح للسلام

وقال جرير فى يزيد بن معاوية

الحزم والجود والايمان قد نزلوا * على يزيد امين الله فاختلفوا

الم به ابو تمام فقال

من الباس والمعروف والجود والتقى * عيال عليه رزقهن شمائله

فقال عيال عليه وهو نحو قول جرير نزلوا على يزيد ولعل ابا تمام اخذه من قول دعبل

تنافس فيه الحزم والباس والتقى * وبذل اللهى حتى اصطبحن ضرائرا

وقال الكميت يصف الخيل

يفقهن عنهم اذا قالوا ويفقههم * مستطعم صاهل منهم ومتحم

اخذه ابو تمام فقال

وهو اذا ما ناجاه فارسه * يفهم عنه ما تفهم الانس

وقال الكميت ايضا

والقين البرود على خدود * يزين الفدافم بالاسيل

يريد بالفدافم الرخوة اللحيمة فقال ابو تمام

وثنوا على وشى الخدود صيانة * وشى البرود بمسجف ومعهد

وقال الابيرد الرياحى

وكنت ارى هجرا فراقك ساعة * الا لابل الموت التفرق والهجر

اخذه ابو تمام فقال

الموت عندى والفراق كلاهما ما لا يطاق

وانشد ابو العباس المبرد للعتبى

اضحت بخدى للدموع رسوم * اسفا عليك وفى الفواد كلوم

والصبر يحسن فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

قال واخذه الطائى فقال فى ادريس بن بدر الشامى

دموع اجابت داعى الحزن همع * توصل منا عن قلوب تقطع

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فاصبح يدعى حازما حين يجزع

قال وجاء به الطائى فى موضع آخر فقال

الصبر اجمل غير ان تلذذى * فى الحب احرى ان يكون جميلا

وقال الراجز انشده يعقوب بن السكيت

قد اضحت العقدة صلعاء اللحم * واصبح الاسود مخضوبا بدم

العقدة موضع ذو شجر لا يفنى فيذهب وصلعاء اللحم الجماجم وهو جمع لمة فجعله مثلا لرؤوس النبت اكلته الابل فصارت لممه صلعا والاسود الحية تطأه الابل فتقتله فتظفر بهذا ابو تمام فقال * حتى تعمم صلع هامات الربى * من نوره وتازر الاهضام

الاهضام ما انخفض من الارض ووجدت ابن ابى طاهر خرج سرقات ابى تمام فاصاب فى بعضها واخطأ فى البعض لانه خلط الخاص من المعانى بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا فمن السرق قوله ابى تمام

كما كاد ينسى عهد ظمياء بالنوى * لديه ولكن املته عليه الحمائم

اخذه من قول العتابى

بكى واستمل الشوق من فى حمامة * ابت فى غصون الايك الا الترنما

ظن قوله فى حمامة اراد من صوت حمامة دعته اليه الضرورة وليس هذا موضع فى وقوله املته من قول العتابى واستمل وقد جاء مثله فى اشعارهم وقال اخذ قوله

لا تتهجن لها فان بكاءها * ضحك وان بكاءك استغرام

من قول الاخر فانى ان بكيت بكيت حقا * وانك فى بكائك تكذبنا
وقال فتول حتى لم يجد من ينيله اخذه من قول على بن جبله
اعطيت حتى لم تجدلك سائلا * وبدأت اذ قطع العفاة سؤالها
وقد ذكرت اخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير ابن حبله وقال
انى لاعجب ممن فى حقيبته * من المنى بحور كيف لا يلد
اخذه من مروان فى قوله
لوكان يحمل من هذا الورى ذكر * لكنت اول خلق الله بالولد
ومن قوله ايضا لوكان يخلق فى بطن امرء ولد * لاصبح البطن منه ضامنا ولدا
وقال يحميه لالاؤه ولوذ عيته * عن ان يدان بمن اوبمن الرجل
اخذه من حسان اذا ما ترعرع فينا العلام * فما ان يقال له من هوه
وقد ذكرت اخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير حسان (قال)
فلا تضلبوا اسادهم فى جنونها * فقد اسكنت بين الطلى والجماجم
اخذه من قول عنترة ولم يعلم حزية ان تبلى * يكون جفرها الطل النجيد
وقال يتجنب الاثام ثم يخافها * فكانما حسناته آثام
اخذه من قول ابى العتاهية * لم تنقصنى اذ اسأت وزدتنى حتى كان اسأتى احسان
وقال الطائى احل ايها الربع الذى بان آهله * لقد ادركت فيك النوى ما تحاول
وقال لاتدبلى مصون همك وادطر * كم يذى الايك دوحة من قضيب
اخذه من قول الاسهب
عل بنى يشد الله ازرهم * والدوح ينبت عدانا فيكتهل
وقال اطله الين حتى انه رجل * لومات من سعله بالين ما علما
اخذه من قول ابى الشيص
وكم من ميتة قدمت فيه * ولكن كان ذالك وما سعرت
وقال فى وصف الرماح
كانما وهى فى الاكباد والعة * وفى الكلى تجد العيط الذى تجد
اخذه من قول النمرى
ومصانات كان حقدا * منها على الهام والرقاب
وقال اذا ما اغاروا فاحتووا ما ن معشر * اغار علهم فاحتوته الصنائع

اذا اسلقتهن الملاتم مغنما * دعاهن من كسب المكارم مغرم

وقال وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطوغياهبه

وقد ذكرت اخذ هذا المعنى فيما تقدم من كثير (قال)

توفيت الآمال بعد محمد * فاصبح مشغولا عن السفر السفر

اخذه من قول عصام الجرجانى

الا فى سبيل الله آمالك التى * توفين لما اغتالك الحدثان

وقد تقدم ذكر هذا وانه اخذه من موضع آخر وقال تعليفها الاسراح والالجام اخذه من قول جرير

حراجيج يعلفن الذميل كانها * معاطف ظبى اوحنى الشراجع

وقال ذاك الذى كان لو ان الانام له * نسل لما عابهم جبن ولا بخل

اخذه من قول ابى الشمقمق

لوكان جدكم شريك والدا * للناس لم تلد النساء بخيلا

وقال حمراً من حلب العصير كسوتها * بيضاً من حلب العمام الزرق

اخذه من قول مسلم

صفراً من حلب العصير كسوتها * بيضاً من حلب الغيوم البجس

وقال اخذ قوله بياض العطايا فى سواد المطالب من قول الاخطل

رأين بياضا فى سواد كانه * بياض العطايا فى سواد المطالب

واخذ قوله ناجيت ذكرك والظلماء عاكفة * فكان ياسيدى احلى من الشهد

من قول ابن ابى امية

كم ليلة نادمنى ذكره * يسعدنى المثلث والزير

واخذ قوله والعيش غض والزمان غلام من قول الاخطل

سعيت سعاب الدهر لم تستطعهم * افالآن لما اصبح الدهر فانيا

واخذ قوله ذاك الذى احصى الشهور وعدها * طمعا ليتبع سقبة من حائل

من قول اعرابى انا وجدنا طرد الهوامل * خيرا من التاتان والمسائل

وعدة العام وعام قابل * ملقوحة فى ناب بطن حائل

واخذ قوله يعلون حتى ما ينك عدوهم * ان المنايا الحمر حى منهم

من قول مسلم بن الوليد

لو ان قوما يخلقون مثية * من بأسهم كانوا بنى جبريلا

واخذ قوله لوكان فى الدنيا قتيل آخر * بالآثهم ما كان فيها معدم

من قول بشار لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير

وقال فى قوله ذقنا الصدود فلما اعتاد اوسنتا * حنت حنين عجول بيننا الرحم

من قول الاسود بن يعفر

سما بصرى لما عرفت مكانه * واطت الى الواشجات اطيطا

واخذ قوله صفراً صفرة صحة قد ركبت * جثمانه فى ثوب سقم اصفر

من قول على بن رزين الكوفى بيضاً رعوبة صفراء من غير

وقال فى قوله لم نكمدى فظننت ان لم نكمدى من قولهم

لا تنكرى جزع المحب فانه * يطوى على الزفرات غير حشا

وقال فى قوله

سقى الغيث غيثا وارت الارض شخصه * وان لم يكن فيه سحاب ولا مطر

من قول عقيق بن سليك العامرى سقاك الغيث انك كنت غيثا

وقال فى قوله أمن بعد طى الحادثات محمدا * يكون لا نواب العلى ابدا نشر

من قول ابى نواس طوى الموت ما بينى وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر

وقوله ايضا ومن العجائب ناصح لاينفق من قول المخبل ايضا

ولا يعدم الغاوى على الغى لائما * وان هو لم ينفق عليه ياوم

واخذ قوله من شرد الاعدام عن اوطانه * بالذل حتى استطرف الاعدام

من قول الاعشى هم يطردون الفقر عن جارهم * حتى يرى كالغصن الناضر

وفى قول ابى تمام زيادة حسنة وهى قوله حتى استطرف الاعدام

واخذ قوله حلفت ان لم تئبت ان حافره * من صخر تدمر او من وجه عثمان

من قول الآخر لوكان حافر يرذونى كاوجهكم * بنى بديل لما انعلته ابدا

ومما نسبه فيه ابن ابى طاهر الى السرق وليس بمسروق لانه مما تشترك فيه الناس من المعانى والجرى على السنهم ومنه ما نسبه الى السرق والمعنيان مختلفان قول ابى تمام

الم تمت ياسقيق الجود مذ زمن فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه

وقال اخذه من العشابي

ردت صنائعه اليه حياته * فكانه من نشرها منشور

ومن هذا لايقال له مسروق لانه قد جرى فى عادات الناس اذا مات الرجل من اهل الخير والفضل واثنى عليه بالجميل ان يقولوا ما مات من خلف مثل هذا الثناء ولا من ذكر بهذا الذكر وذلك شائع فى كل امة وفى كل لسان وقال ابو تمام

اذا عنيت بشى خلت انى قد * ادركته ادركتنى حرفة الادب

وقال اخذه من الجريمى

ادركتنى بذاك اول دأبى * بسجستان حرفة الآداب

وحرفة الآداب لفظة قد استرك الناس فيها وكثرت على الافواه حتى قد سقط ان واحدا يستملها من اخر هذا قول ابن ابى طاهر ولم يقل ابو تمام ادركتنى حرفة الادب انما قال ادركتنى حرفة العرب وقد ذكر غلطه فى هذه اللفظة عند ذكر البيت فى الموازنة

وقال فى قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى * من لذة وقريحة لم تحمد

اخذه من بشار ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء

وما اخاله احتذى فى هذا البيت على قول بشار لان بشارا قال ليس يعطيك رغبة فى جزاء يرجوه ولا خوفا من مكروه ولكن لالتذاذه العطية واراد ابو تمام ان الطالبين لو علموا التذاذه الندى لم يحمدوه والمعنيان انما اتفقا فى طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط وهذا ليس من بديع المعانى التى يختص بها شاعر فيقال ان واحدا اخذه من الآخر لان العادة جارية بان يقال فلان لايعطى متكارها ولامتكلفا بل يعطى عن نية صادقة ومحبة لبذل المعروف تامة ونحو هذا من القول وقال فى قوله لوكان ينفخ قين الحى فى فحم من قول الاغلب

قد قاتلوا لو ينفخون فى فحم * ماجبنوا ولا تولوا من امم

وهذا معنى شائع من معانى العرب وجاز فى الامثال ان يقولوا قد فعلت كذا واجتهدت فى كذا لوكنت تنفخ فى فحم لان النفخ فى الفحم يحيى النار ويشعلها والنفخ فى حطب ليس بفحم اذا اخذت النار فيه لايورى نارا وقال فى قوله والموت خير من سؤال سؤول من قول محمود وارغب الى ملك الملوك ولاكن بادى الضراعة

طالبا من طالب ومثل هذا لا يكون مسروقا لانه جار على الالسن ان يقال وقع سائل على سائل ومجتهد على مجتهد ووقع البائس على الفقير وامثال هذا وقال في قوله

همة تطمح النجوم وجد * آلف للحضيض فهو حضيض

من قول اعرابي همته قد علت وقدرته * في اللحد بين الثرى مع الكفن

وهذا ايضا من المعاني المشتركة الجارية في العادة ان يقولوا همته في علاً وجده في سفال وهمته ناطقة وجده اخرس وهمة ذات حراك وجد ساكن وهمة فلان ترفعه وجده يضعه وما اشبه هذا وقال في قوله

تقبل الركن ركن البيت نافلة * وطهر كفك معمور من القبل

من قول عبد الله بن طاهر اعلنت له ذكره مكاءاة * بان توالى في طهرها القبل

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر قبل الكف وهذا ليس من المعاني المبتدعة لان الناس ابدا يقولون ما خلق وجهه الا للتحية وكفه الا للقبل كما قال دعبل

فباطنها للندى * وظاهرها للقبل

ومثل هذا مما نطقوا به كثيرا فلا يكون عندي مسروقا وقال في قوله

نظرت فالتفت منها الى احلى سواد رايته في بياض

من قول كثير

وعن نجلاً تدمع في بياض * اذا دمعت وتنظر في سواد

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر البياض والسواد والالفاظ غير محظورة وابو تمام انما قال فالتفت منها الى احلى سواد يعني حدقتها في بياض يعني شحمة عينها وهذا هو الصحيح وقد قيل سواد عينها في بياض وجهها وكثير اراد ان عينها تدمع في بياض اذا دمعت يريد خدها وتنظر في سواد يعني حدقتها وهذا المعنى غير ذاك وقال في قوله

كم من يد لك لولا ما اخفقها * به من الشكر لم تحمل ولم تطق

بالله ادفع عني ثقل فادحها * فاني خائف منها على عنق

من قول ابي نواس والمعنيان مختلفان لان ابا نواس قال

لا تسدين الى عارفة * حتى اهوم بشكر ما سلفا

انت امرؤ جللتني نعما * اوهت قوى سكري فقد ضعفا

فذكر ان نعم الممدوح قد غلبت الشكر فاستعفاه من نعمة اخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة وابو تمام قال لولا ما اخففها به من الشكر لم اطق حملها ثم احسن والطف فى قوله فانني خائف منها على عنقي ومعنى ابى نواس اجود وابرع وقال فى قوله

اعلى الشتف واطلى وقد بيا * كان صعبا ان تشعب القاروره

من قول الاعشى

كصدع الزجاجة ما تستطيع * كف الصناع لها ان تحيرا

قلت ووقع فى شعر الاعشى ايضا قوله

فبانت وفى الصدر صدع لها * كصدع الزجاجة لايلتئم

وهذا معنى متداول مشهور مبذول من معانيهم فى الزجاج قد نطق به الناس واكثروا فيه حتى سقط ان يقال ان ابا تمام اخذه من الاعشى وقد تقدم فيه المسيب بن علس فقال

بانت وصدع القلب كان لها * صدع الزجاجة ليس يتفق

وقال اخر

وتفرقت نياتهم فتصدعوا * صدع الزجاجة ما لها تيفاق

ومثله كثير وقال فى قوله

اذا سيفه اضحى على الهام حاكما * غدا العفو منه وهو فى السيف حاكم

من قول مسلم بن الوليد

يعدو عدوك خائفا فاذا رأى * ان قد قدرت على العقاب رجا كا

والمعنيان مختلفان لان ابا تمام قال اذا حكم سيف الممدوح على الهام حكم عفوه على السيف ومسلم قال ان عدو الممدوح يخافه فاذا راى ان قد قدر على العقاب رجاه فليس هذا المعنى من ذلك فى شئ وقال فى قوله

فان هز تم سلناها وقد غنيت * دهرا وهام بنى بكر لها غمد

من قول سعيد بن ناسب

فان اسيافنا بيض مهندة * عتق وآثارها فى هامهم جدد

والمعنيان مختلفان لان ابا تمام قال وهام بنى بكر لها غمد وهذا قال وآثارها فى هامهم جدد فهذا غير ذلك وقال فى قوله

فلو كانت الارزاق تجرى على الحجى * هلكن اذا من جهلهن البهائم

من قول ابى العتاهيه

انما الناس كالبهائم فى الرزق سوآ جهولهم والحليم

وبين المعنيين خلاف لان ابا العتاهية اراد ان رزق كل نفس يأتيها جاهلة كانت او عالمة كما ياتى البهائم وهذا قائم فى الفطرة والعقول فتتفق الخواطر فى مثله وابو تمام قال ان الرزق لوجرى على قدر العقل لهلكت البهائم وهذه زيادة فى المعنى حسنة وان كان الى مذهب ابى العتاهية يؤول وقال فى قوله

واشجيت ايامى بصبر حلون لى * عواقبه والصبر عند اسمه صبر

من قول ابى النشيص

يصبرنى قوم برآء من الهوى * وللصبر تارات امر من الصبر

فقول الناس الصبر مر والصبر كاسمه صبر وقولهم الصبر محمود العاقبة وان كان مرا لايكون مسروقا فيقال ان واحدا اخذه من آخر وقول ابى النشيص ان للصبر تارات يكون فيها امر من الصبر اى له تارات يكون فيها شديد المرارة وقول ابى تمام اشجيت ايامى بصبر حلت لى عواقبه ثم قال والصبر مر عواقبه يريد فى الخلق لو جرعته لكان مقطعه شديد المرارة وانما قال هذا ليجتمع له فى البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه هذا تفسير على ما رواه ابن ابى طاهر ولم يقل ابو تمام والصبر مر عواقبه وانما قال والصبر عند اسمه صبر وقال فى قوله

لئن ذمت الاعدآء سوء صباحها * فليس يودى شكرها الذئب والنسر

من قول مسلم لو حاكمتك فطالبتك بذحلها * شهدت عليك ثعالب ونسور

وذكر وقوع الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على القتلى معنى متداول ومعروف وهو فى بيت ابى تمام غيره فى بيت مسلم لان مسلما قال لممدوحه ان حاكمتك يريد الفرقة والعصب التى لقيتك فى مطالبك من قتلت منها لشهدت عليك الثعالب والنسور وابو تمام قال على سبيل الاستهزآء لئن ذمت الاعدآء سوء صباحها فليس يودى الذئب والنسر شكرها لكثرة ما اكلا منها وهذا المعنى غير ذاك والله اعلم

﴿ تم الجزء الاول من الموازنة على ما جزاه مولفه والحمد لله ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال ابو القاسم

الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى عفا الله عنه قد ذكرت فى الجزء الاول احتجاج كل فرقة من اصحاب ابى تمام حبيب بن اوس الطائى وابى عبادة الوليد ابن عبيد الله البحترى على الاخرى فى تفضيل احدهما على الآخر وقلت انى ابتدى بعد هذا الباب بذكر معايبهما لاختم الكتاب بوصف محاسنهما فاتبعت ذلك بما خرجته من سرقات ابى تمام وبينت آخر الجزء لالحق به ما وجدته منها فى دواوين الشعراء فعلت عليه وما اجده بعد ذلك فانه كثير السرقة وقد سمعت ابا على محمد بن العلا السجستانى يقول انه ليس له معنى انفرد به فاخترعه الا ثلاثة معان وهى قوله

تابى على التصريد الا نائلا * الا يكن ماء قراحا يمزق

نزرا كما استكرهت عاير نفحة * من فارة المسك التى لم تفتق

وقوله بنى مالك قد نبهت خامل الثرى * قبور لكم مستشرفات المعالم

رواكد قيس الكف من متناول * وفيها على لاترتقى بالسلالم

وقوله واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

ولست ارى الامر على ما ذكره ابوعلى بل ارى ان له على كثرة ماخذه من اشعار الناس ومعانيهم مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة وانا اذكرها عند ذكر محاسنه ان شاء الله تعالى ومع هذا فلم ار المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير عيوبه لانه باب ما يعرى منه احد من الشعراء الا القليل بل الذى وجدتهم ينعونه عليه كثرة غلطه واحالته واغاليطه فى المعانى والالفاظ وتاملت الاسباب التى ادته الى ذلك فاذا هى ما رواه ابوعبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الورقه عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن احمد ان ابا تمام يريد البديع فيخرج الى المحال وبهذا نحو ما قاله ابو العباس عبد الله ابن المعتز بالله فى كتابه الذى ذكر فيه البديع وكذلك ما رواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم ابن مهرويه عن ابيه ان اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وان ابا تمام تبعه فسلك فى البديع مذهبه فتحير فيه كانهم يريدون اسرافه فى طلب الطباق والتجنيس والاستعارات واسرافه فى التماس هذه الابواب وتوشيح شعره بها حتى صار كثير مما اتى من المعانى لايعرف ولا يعلم غرضه فيها الا مع الكد والفكر وطول التامل

ومنه ما لايعرف معناه الا بالظن والحدس ولوكان اخذ عفو هذه الاشياء ولم يوغل فيها ولم يجاذب الالفاظ والمعانى مجاذبة ويقتسرها مكارهة وتناول ما يسمح به خاطره وهو يجهامه غير متعب ولا مكدود واورد من الاستعارات ما قرب فى حسن ولم يفحش واقتصر من القول على ما كان محذوا حذو الشعراء المحسنين ليسلم من هذه الاشياء التى تهجن الشعر وتذهب ماءه ورونقه ولعل ذلك ان يكون ثلث شعره او اكثر منه لظننته كان يتقدم عند اهل العلم بالشعر اكثر الشعراء المتاخرين وكان قليله حينئذ يقوم مقام كثير غيره لما فيه من لطيف المعانى ومستغرب الالفاظ لكن شره الى ايراد كل ما جاش به خاطره وبلجلجة فكره فخلط الجيد بالردى والعين النادر بالرذل الساقط والصواب بالخطا وافرط المتعصبون له فى تفضيله وقدموه على من هو فوقه من اجل جيده وسامحوه فى رديئه وتجاوزوا له عن خطائه وتاولوا له التاول البعيد فيه وقابل المنحرفون عنه افراطا فبخسوه حقه واطرحوا احسانه ونعوا سيئاته وقدموا عليه من هو دونه وتجاوز ذلك بعضهم الى القدح فى الجيد من شعره وطعن فيما لا يطعن عليه واحتج بما لا تقوم حجة به ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولا حتى الف فى ذلك كتابا وهو ابو العباس احمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف بالفريد ثم ما علمته وضع يده من غلطه وخطئه الا على ابيات يسيرة ولم يقم على ذلك الحجة ولم يهتد لشرح العلة ولم يتجاوز فيما نعاه بعدها عليه الابيات التى تضمن بعد الاستعارة وهجين اللفظ وقد بينت خطاه فيما انكر من الصواب فى جزء مفرد ان احب القارى ان يجعله من جملة هذا الكتاب ويصله باجزائه فعل ذلك ان شاء الله تعالى فالذى تضمن (اى الجزء) يدخل فى محاسن ابى تمام التى ذكرت انى اختم كتابى هذا بها و بمحاسن البحترى وانا الان اذكر ما غلط فيه ابو تمام من المعانى والالفاظ مما اخذته من افواه الرجال واهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة وما استخرجته انا من ذلك واستنبطته بعد ان اسقطت منه كل ما احتمل التاويل ودخل تحت المجاز ولاحت له ادنى علة وانا ابتدى بالابيات التى ذكرت ان ابا العباس انكرها ولم يقم الحجة على تبيين عيبها واظهار الخطأ فيها ثم استقصى الاحتجاج فى جميع ذلك لعلمى بكثرة من لايجوزه على الشاعر ويوقع له التاويل البعيد ويورد الشبه والتمويه وبالله استعين وهوحسبى ونعم الوكيل

انكار ابي العباس احمد بن عبيد الله على ابي تمام قوله

هاديه جذع من الاراك وما * تحت الصلا منه صخرة جلس

قال هذا من بعيد خطائه ان شبه عنق الفرس بالجذع ثم قال جذع من الاراك ومتى رأى عيدان الاراك تكون جذوعا وتنسبه بها اعناق الخيل واخطا ابو العباس فى انكاره على ابى تمام ان شبه عنق الفرس بالجذع وذلك عادة العرب وهو فى اشعارها اكثر من ان يحصى وقد بينت ذلك فيما غلط فيه ابو العباس على ابى تمام واصاب ابو العباس فى انكاره ان تكون عيدان الاراك جذوعا وان لم يلخص المعنى لان عيدان الاراك لاتغلظ حتى تصير كالجذوع ولاتقاربها فان قيل ان الشجرة من الاراك قد تعظم حتى تصير دوحة يستظل بها الجماعة من الناس والسرب من الوحوش وذلك معروف موجود وقد قال الراعى

غذاه وحولى الثرى فوق متنه * مدب الاتى والاراك الدوائح

والدوائح العظام منه جمع دوحة قيل ان الامر وان كان كذلك فى بعض شجر الاراك من علوها وتشعب اغصانها فان قائم الشجرة وعيدانها لاتغلظ ولا تمتلى امتلاء قارب الجذوع ولاما هو دونها فى الغلظ ولو انتهت الى هذه الحالة وذلك غير معلوم لما قيل لها ايضا جذوع لان الجذع انما هو للنخله فقط وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخله قال الراجز

بكل طرف اعوجى صهال * يمشى اذا ما قيد مشى المختال

تحت هواد كجذوع الاوقال

فقال كجذوع الاوقال جمع وقلة وهى شجرة المقل لان فيها سبها من النخل من جهة الخوص والليف فان قيل فقد قال ذو الرمة

وهاد كجذع الساج سام يقوده * معرف احناء الصبيين اسدق

قيل ذو الرمة انما قال ذلك على التشبيه لان العود من الساج يشبه الجذع المنحوت فى غلظه وهيئته وعود الاراك من ابعد شى من ذلك لانه لا يمتد ولايستوى استواء الجذع ولاغيره من اجناس الشجر التى تمتد ابدانها علوا امتدادا مستويا وذلك لرفته وسدة التوائه وتشعبه وانكر ابوالعباس قول ابى تمام

رفيق حواشى الحلم ان لوحلمه * بكفيك ما ماريت فى انه برد

وقال هذا الذى اضحك الناس منذ سمعوه الى هذا الوقت ولم يزد على هذا شيا

To: www.al-mostafa.com

والخطأ في هذا ظاهر لاني ما علمت احدا من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرقة وانما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ونحو ذلك كما قال النابغة

واعظم احلاما واكبر سيدا * وافضل مشفوعا اليه وشافعا

وكما قال الاخطل

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * واعظم الناس احلاما اذا قدروا

وكما قال ابو ذويب

وصبر على حدث النائبات وحلم رزين وقلب ذكي

وكما قال عدي الرقاع في مثل ذلك

في شدة العقد والحلم الرزين وفي القول الثبيت اذا ما استنصت الكلم

وقال ايضا

ابت لكم مواطن طيبات * واحلام لكم ترن الجبالا

وكما قال عدي ايضا

الجامع الحلم الاصيل وسؤددا * غمرا يقاس به وحكمة حازم

وكما قال ايضا

قرم له مع دينه وتمامه * حلم اذا وزن الحلوم ثقيل

وقال الفرزدق

احلامنا تزن الجبال رزانة * وتخالنا جنا اذا ما نجهل

وقال ايضا

انا لنوزن بالجبال حلومنا * ويزيد جاهلنا على الجهال

وكما قال الاخر

وعظيم الحلم لو وازنته * بثبير او برضوى لرجح

ومثل هذا كثير في اشعارهم الا ترى انهم اذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون خفيف الحلم وقد خف حلمه وقال عياض بن كثير الضبي

قبائله سود خفاف حلومهم * ذووا نيرب في الحي يعدو ويطرق

وقال علقمة بن هبيرة الاسدي

كان جرادة صفرآ طارت * باحلام الغواضر اجمعينا

جعلها صفرا لانها ذكر وهي اسرع من الانثى واخف وقال ابن قيس

الرقيات ووجدتهما في ديوانه وصحيح انهما لابي العباس الاعمى

بحلوم اذا الحلوم استخفت * ووجوه مثل الدنانير ملس

وقال قيس بن عمير الكناني

كمثل الحصى بكر ولكن خيانة * وغدر واحلام خفاف عوازب

فهذه طريقة وصفهم الحلم انما مدحوه بالثقل والرزانة وذموه بالطيش والخفة وايضا فان البرد لايوصف بالرقة وانما يوصف بالمتانة والصفاقة واكثر مايكون الوانا مختلفة كما قال يزيد ابن الطثريه

اشاقتك اطلال الديار كانما * معارفها بالابرقين برود

والابرق والبرقاء من الارض ما كان فيها حجارة ورمل فقيل برقا لاختلاف الالوان فيها ومن ذلك الحبل الابرق الذى فتل من قوى مختلفة الالوان فلذلك شبه الشاعر معارف الديار بالبرود لاختلاف الوان البرود ولولا انه قال رقيق حواشي الحلم ما ظننت انه سبهه بالبرد الا لمتانته وهذا عندى من افحش الخطأ ثم قوله بكفيك كلام فى غاية السخافة واظن ابا العباس بن عمار انما انكر هذه اللفظة فقط واني لاعجب من اتباع البحترى اياه فى البرد مع شدة تجنبه الاسيا المنكرة عليه حيث يقول

وليال كسين من رقة الصيف فخيلن انهن برود

وكيف لم يجد سيا يجعله مثلا فى الرقة غير البرد ولكن الجيد فى وصف الحلم قوله متبعا للمذهب الصحيح المعروف خفت الى السودد المجفو نهضته ولو يوازن رضوى حلمه رجحا وقوله فلو وزنت اركان رضوى ويذبل * وقيس بها فى الحلم خف ثقيلها وابوتمام لايجهل هذا من امر الحلم ويعلم ان الشعرا اليه تقصد واياه تعتمد ولعله قد اورد مثله ولكنه يريد ان يبتدع فيقع فى الخطا وانكر ابوالعباس على ابى تمام قوله

من الهيف لو ان الخلاخل صورت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

ولم يذكر موضع العيب فيه ولا اراه علمه وهذا الذى وصفه ابوتمام ضد ما نطقت به العرب وهو اقبح ما وصف به النساء لان من سان الخلاخيل والبرين ان توصف بانها تعض فى الاعضاد والسواعد وتضيق فى الأسوق فاذا جعل خلاخيلها وشحا تجول عليها فقد اخطأ الوصف لانه لايجوز ان يكون الخلخال الذى من شانه ان يعض بالساق وشاحا جائلا على جسدها لان الوشاح هو ما تقلده المراة متشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب

جانبه الاخر على الظهر حتى ينتهى الى العجب وتلتق طرفاه على الكشح الايسر فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرجل واذا كانت هذه صورة الوساح فغير جائز ان يوصف بالسعة والطول ليدل على تمام المراة وطولها ويكون ذلك لانقا بتشبيه السماء فى البيت الثانى بقنا الخط وانما يوصف الوساح بالتلق والحركة ليستدل بذلك على دقة الحصر لانه يتلق هنا اذا كان الحصر دقيقا والبطن ضامرا بل حركته تدل على ضمر البطن اكثر وليس قوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خمص واذا كان الخلخال وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها وساعا للمراة فانه ياخذ اعلى جسدها كله واذا كانت كذلك فقد مسخت الى غاية القماءة والصغر وصارت فى هيئة الجعل وقد تصف العرب الحصر بالدقة ولكن تعطى كل جزء من الجسد قسطه من الوصف كما قال امرؤ القيس

طوال المتون والعرانين والقنا * لطاف الحصور فى تمام واكمال

الا تراه لما قال لطاف الحصور قال فى تمام واكمال ولو قال هذا الشاعر لو ان الخلاخيل صيرت لها حقبا لصح له المعنى كما قال منصور النمرى

فلو قست يوما جلها بحقابها * لكانا سواء لابل الحجل اوسع

فجعل جلها وهو الخلخال اوسع من حقابها والحقاب ما تديره المراة على خصرها فهو يختص بالحصر وكذلك النطاق والوساح لايختص بالحصر وانما يعلق حتى ينتهى اليه اذا كان الحصر دقيقا والبطن ضامرا فاتبع ابو تمام منصورا فى المعنى فاخطا ومن عادة العرب انها لاتكاد تذكر الهيف وطى الكشح ودقة الحصر الا اذا ذكرت معه من الاعضاء ما يستحب فيه الامتلاء والرى والغلظ على ما عرفتك كما قال ذو الرمة

عجزاء مكورة خصانة وملق * منها الوساح وتم الجسم والقصب

وكما قال ايضا

اناة ناوب المرط منها بدعصة * ركام وتجتاب الوساح فيقلق

وكما قال

ترى خلفها نصفا فناة مهيمة * ونصفا نقا يرتج او يتمرمر

وكما قال الشنفرى

فدقت وجلت واسبكرت واكملت * فاوجن انسان من الحسن جنت

اى دق منها ما ينبغي ان يدق وجل منهـا ما ينبغى ان يجل فهذا هو تمام الوصف
وقال تميم بن ابى بن مقبل

هيف المرى رداح فى تاودهـا * مخطوفة منتهى الاحشـاء عطبول

فقـال هيف المرى ثم قال رداح وارداح العظيمة العجز وهذا كقول ذى الرمـة خلقهـا نصفا قناة قويمة وحوله عطول فويمة العنق وقال ايضـا تميم

من الهيف ميدان ترى نطقاتها * يهلكـه اخـراصهن تدبذب

فجعلها هيفاء وهى الخميصة البطن ثم قال ميدان فصار البدن لايمنع من الهيف ولا يضاده وقال تميم ايضـا

ومن دق منها الحصر حتى وشـاحها * يجول وقـد عم الحـلاخيل والقلبـا

وقال على بن ابى علقمة الجرى

ترى بجانها ملأى لين يزائد * يجول ولم يملك وسـاحا ولا عقدا

قال ذلك من سـان الوساح لان من سايله ان يكون حائلا اذا انتهى الى خصرها لدقته ومن سـان العقد ان يجول ايضـا على عنفها وتراجعها لقلة اللحم هناك وذلك المحمود من الوصف وقال امرؤ القيس على هضيم الكشح ريا المخلخل

وقال طرفة بن العبد

وملأى السوار مع الدملجين * واما الوساح عليها فجـالا

وقال علقمة بن عبدة

صفر الوساحين ملأى القرط خرعبة * كانهـا رسـا فى البيت ملروم

وقال المرار

بيض العوارض بدن ابدانها * رجح الروادف ضمر الاخصـار

وقـال كثير

كسون الريط ذا الهدب اليمانى * خصـورا فوق اعجـاز نقـال

وقال كثير ايضـا

يجول الوسـاح باعرابهـا * وتابى خلاخلها ان تجولا

وقال اخر

عقابية اما مـلاء ازارهـا * فدعص واما خصرها فتتيل

يريد كانه لدقته مقطوع مما يليه وهذا كله ضد ما قاله ابوتمام فان حمل بعض من

يريد اقامة العذر له نفسه على ان يقول انما ذهب فى قوله جالت عليها الخلاخل الى قولهم فلان يدخل فى الخاتم لطرفه ولين اخلاقه لا لضيق مفاصله فيل هذا من كلام العامة وقول ابى تمام من الهيف يمنع هذا التأول ويحجز عنه لان الهيف الحميصات البطون الواحدة هيفاء والى هذا ذهب لا الى وصف الاخلاق والطباع فان قال قائل انما قال لو ان الخلاخيل صيرت لها وشحا اى لو ساغ ذلك وجاز كما يقال لو دخل احد فى سم الخياط لرقته وحسن اخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر لو كان ذو حافر من سرعة طارا وكما قال الآخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لسوددهم او مجدهم قعدوا

قيل هذا مذهب حسن معروف من مذاهبهم ولكن ليس بينه وبين قول ابى تمام شبه وانما كان يشبهه لو قال لو ان الخلاخيل تكون مكان الوشاح لجال عليها ولو قال هذا ايضا لكان بعد مخطئاً لانه سوّاه عليه قال هذا او قال قصر طهرها او بعض خلقها او ضم بعض اعضائها الى بعض حتى يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها ومثل هذا لايقوله احد الا الكميت وابو العيروفظ بيته اقبح من هذا واسمج لانه انما اخرجه مخرج الحقيقة او ما يقارب الحقيقة نحو قول القائل لو تغطت هند بشعرها لغطاها ولو سترت وجهها بذراعها لسترته ولو مستها لتاحب الاصبع فيها او لادمتها وهذا ضرب من المبالغة وهو الى الحقيقة اقرب وليس من الابيات المذكورة فى شى ولا على سياقة ذلك اللفظ والاحالة فيما مخرجه مخرج الحقيقة اقبح من الاحالة فيما مخرجه مخرج التوسع وكان ينبغى لابى تمام لما وصف الساق فى البيت الثانى بالطول والتمام فقال * فنا الخط الا ان تلك ذوابل * ان يصف الوشح بالطول والتمام لان الوشاح من المراة فى موضع حمائل السيف فكيف يجعلها مثل الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلها وقد يبالغ الشاعر فى اشياء حتى يخرج متها الى المحال ويخرج بعضهم مخرج النادر فيستحسن ولا يستقبح نحو قول الشاعر

من راى مثل حتى * تشبه البدر اذ بدا
يدخل اليوم خصرها * ثم اردافها غدا

ومثل هذا كثير وقد قال النابغة فى وصف عنق المراة بالطول فقال * اذا ارتعثت خاف الجبان رعاها * ومن يتعلق حبب علق يفرق * جعل القرط يخاف ان يسقط

من هناك قيهلك وانما الخريج بهذا كالمثل اى لو كان مما يقع منه الخوف لحاق
وقال ذو الرمة * والقرط فى حرة الدفرى معلقة * تباعد الحبل منه فهو يضطرب
فدل بقوله تباعد الحبل منه على طول عنق المراة فهذه المبالغة لائقة مستحسنة
لانه دل على الوصف بالشيء الذى يخص الموصوف لا بالشيء الذى يخص غيره
ولو كان ابو تمام قال لو ان الخلاخيل صيرت لها نطقا لكان اتى بالصواب لان
النطاق هو كل ما يدار على الحصر مثل المنطقة من سير كان او ثوب اوغيرهما او
لو قال حقبا لان الحقاب والنطاق بمنزلة واحدة واظنه اراد ان يقول هذا فغلط
فجعل مكانه الوساح وقد بالغ ابو العتاهية فى وصف الحصور بالدقة فقال

ومحصرات زرننا * بعد الهدو من الحدور
نفح روادفهن يلسن الخواتم فى الحصور

لم يرد ان خواتمهن فى خصورهن لان هذا محال وانما ذهب الى مثل قولهم جفنة
يقعد فيها خمسة اى لوقعدوا فيها لوسعتهم وقال الآخر

لها حافر مثل قعب الوليد يتخذ الفأر فيه مغارا

اى لو اتخذ فيه مغارا لوسعه فكذلك قوله يلسن الخواتم فى الحصور اى مصلح
خصورهن ان تدخل فى خواتمهن لدقتها وكل ما دنا من المعانى بالحقائق كان الوط
بالنفس واحلى فى السمع فهذا ما انكره ابو العباس مما ابوتمام فيه غالط وهوثلاثة
ابيات ومما اخطافيه الطائى السيت الذى بعد قوله

من الهيف لوان الخلاخل صيرت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

وهوقوله مها الوحش الا ان هاتا اوانس * قنا الخط الا ان تلك ذوابل
وانما قيل للقنا ذوابل للينها وتثنيها فنفى ذلك عن قدود النساء التى من اكمل صفاتها
التثنى واللين والانعطاف كما قال تميم بن ابى بن مقبل

يهززن للمشى اوصالا منعمة * هز الجنوب نخى عيدان يبرينا
اوكاهتزاز ردينى تداوله * ايدى التجار فرادوا متنه لينا

فشبه تميم قدودهن بالردينى للينه وتثنيه لاغير وهذا اجود من كل ما قاله الناس فى
مشى النساء وحسن قدودهن وقوله مها الوحش اراد كمها الوحش الا ان هاتا
اوانس فوضع المشبه به فى مكان المشبه وهذا فى كلامهم سائغ مستفيض
ومما اخطا فيه الطائى اقبح خطأ قوله

قسم الزمان ربوعها بين الصبا * وقبولها ودبورها اثلاثا

لان الصبا هى القبول وليس بين اهل اللغة وغيرهم فى ذلك خلاف فان قيل انما سميت الصبا قبولا لانها تقابل الدبور فلعله استعار هذا الاسم للدبور فقال بين الصبا وقبولها يريد الدبور لانها تقابل الصبا ومقابلتها اى الريح المقابلة لها قيل هذا غلط من وجوه منها انه قد ذكر الدبور فى البيت مرة فلا يجوز ان يأتى بها مرة ثانية ومنها انه ما سمع من العرب زيد قبولك اى مقابلك ولا دار زيد قبول دار عمرو بمعنى مقابلتها فانما خصت الصبا وحدها بهذا الاسم لانها تاتى من الموضع الذى يقبل منه النهار وهو مطلع الشمس وقيل لها دبور لانها ضدها اخذه من اقبل وادبر ولو جاز هذا فى كلامهم وساغ فى لغتهم اوكان منله مسموعا منهم لساغ ان تسمى الشمال ايضا قبولا لانها تقابل الجنوب وان تسمى الجنوب قبولا لانها تقابل الشمال وما اظن احدا يدعى هذا ولا يستجيز ان يعارض بمثل هذه المعارضة ولا ان يحدث لغة غير معروفة وينسب الى العرب ما لم تعلمه ولم تنطق به ومنها وهى اولاها فى فساد هذا التاويل انه قال بين الصبا وقبولها ودبورها اثلاثا وقوله اثلاثا يدلك انه اراد ثلاث رياح وانه توهم ان القبول ريح غير الصبا وهذا واضح والجيد قول البحترى

متروكة الريح بين شمالها * وجنوبها ودبورها وقبولها

فجاء بالرياح الاربع وقال البحترى ايضا

سئلت الصبا اذ قيل وجهن فصدها وعاديت من بين الرياح قبولها

فقوله وجهن يعنى الحمول والهاء فى قولها راجعة الى الرياح وهذا مما يوهمك انه اراد ريحين وانما اراد ريحا واحدة وسماها باسميها فقال سئلت الصبا وعاديت القبول اى ابغضت هذين الاسمين لان حمول الظاعنين توجهت نحوها ولم يقل ان الحمول توجهن الى وجهين مختلفين وحكى ابن الاعرابى اوحكى عنه انه قال القبول كل ريح طيبة المس لينة اذا فيها سميت قبولا لان النفس تقابلها واظن الاخفش ان كانت الرواية الصحيحة لهذا قال

فان يبخل سدوس بدرهميها * فان الريح طيبة قبول

اى طيبة لا تمنعها الانصراف والسير وهذه ليست من الريح التى ذكرها ابو تمام فى شئ لان هذه على هذا الوصف قد تكون الشمال وتكون الجنوب وتكون

الصبا وذلك انما اراد ريحا بعينها لانه قال بين الصبا وقبولها فجعلها مضافة اليها كما لو قال بين الشمال وجنوبها لانهما ريحان معروفتان وهما اختان مختلفتان تعتقبان وكذلك لوقال بين الصبا ودبورها وكذلك لوقال بين القبول ودبورها اوبين القبول وشمالها فاذا ذكرت القبول مع هذه الرياح المعروفة التى هى الصبا وليس هذا موضع القبول التى هى الريح اللينة المس الطيبة على ما ذكر لانه وصف مجهول ويجوز ان يكون لكل ريح ولايقع فى هذا الموضع لانك اذا عنيتها بقولك قد نفيت الصبا وقبولها لم يدر اى ريح هى فى معنى اضافتها الى الريح المعروفة التى هى اذا لان مسها جاز ان تسمى بذلك الاسم هذا خلف من القول اذا قيل وايضا ان ابا تمام انما اراد ان هذه الرياح عفت هذه الديار وذهبت بها فما وجه ذكره لريح طيبة لينة المس مع الدبور هذا محال ان يكون اراده كيف والديار يدعى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة ليلا تعفوها الا ترى قول ابى تمام

ارسى بناديك الندى وتنفست * نفسا بعفوتك الرياح ضعيفا

وقال البحترى

واذا هبت الرياح نسيما * فعلى ربع دارها والجناب

فشرط ان تكون الرياح مريضة ليلا تعفوها وتمحوها فان قيل فلعله اراد بين الصبا وقبولها اى بين الصبا وسهلها ولينها ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف وانما يريد الاسم الذى يقع للريح اللينة المس فكانه قال بين القبول وقبولها يقال جاءنا عباس وعباسه اى ووجهه العباس واتانا الضحاك وضحاكه اى ووجهه الضحاك لان التعبيس والضحك فى الوجه وقد فتنتنا حورآ بحورآئها اى بعينها الحورآء قيل هذا كله لفظ سائغ مستقيم غير انا ما سمعنا مثل هذا فى الريح ولا علمناه فى اللغة ولا وجدنا فى الشعرآء احدا قال الصبا وقبولها ولا الجنوب وقبولها ولا الشمال وقبولها اى سهلها ولينها ولو اراد الطآئى ذلك كان ايضا مخطئا لان الريح لينها وسديدها ريح واحدة وقد قال ابو تمام اثلاثا فدل على انه اراد ثلاث رياح وان كان اراد ريحا اخرى غير الصبا فقد قدمت القول فى ان ذلك غير سائغ ولا مستقيم وقد استقصى اصحاب الانوآ فى كتبهم ذكر الرياح واوصافها ونعوتها واستشهدوا باكثر ما سمعوه من اشعار العرب فيها وبالغ ابو حنيفة الدينورى فى ذلك فما منهم احد ذكر ان القبول غير الصبا وانما قال ابن الاعرابى فى نوادره ان العرب

تسمى كل ريح طيبة لينة المس قبولا قال الاخطل

فان تجعل سدوس بدرهميها * فان الريح طيبة قبول

فانما اراد الصبا لانها ريح محبوبة تنسب الى الطيب وهى دائمة الهبوب لينة المس معتدلة فى اكثر اوقاتها اى فان منعت سدوس نائلها فان الريح طيبة قبول اى هى صبا ما تمنعنا من الانصراف والرحيل فان كان ما ذكره ابن الاعرابى صحيحا وهو الصحيح ان شاء الله فانهم انما قالوه لكل ريح طيبة لينة قالوا هذه الصبا وهذه القبول اى كالصبا او كالقبول فاسقطوا حرف التشبيه وجعلوا المشبه فى مكان المشبه به كما تقول شممت رائحة طيبة العرف هذه المسك واذا رايت وجها جميلا قلت هذا هو البدر وان شئت كان المعنى هذه المسك حقا وهذا هو البدر يقينا ولوهبت شمال شديدة مرزعجة حتى تقول هذه هى الدبور بعينها لكان هذا من اسوغ كلام وافصحه وان كانت العرب سمت الشمال والجنوب اذا هبتا هبوبا سهلا لينا قبولا فانما شبهوها بالصبا واعاروها اسمها وانما قيل لها قبول لانها تاتى من مطلع الشمس وهو الموضع الذى يقبل منه النهار وقيل للدبور دبورا لانها تهب من حيث يدبر وقد قيل غير ذلك وهذا هو الصحيح وقد قيل عن النضر بن شميل انه قال القبول ريح تلى الصبا ما بينها وبين الجنوب وهذا غير معروف ولا معول عليه الا ان يكون قاله على هذا الذى ذكرته والله اعلم وبيت ابى تمام لا يحتمل ان يتاول فيه هذه الريح لانه اراد محو الديار ولا تذكر فى محو الديار القبول الحقيقة الهبوب الطيبة المس مع الدبور التى لا تكاد تهب فان هبت لم تات الا شديدة مرزعجة وقال آخر ممن لا تمييز له اراد بين الصبا وقبولها اى الريح التى قبلتها كانها قابلتها فقبلتها فهى قبولها يعنى ريحا من الرياح كما يقال فاخرته ففخرته وخاصمته فخصمته قيل هذا خطا من وجوه منها ان الريح التى تقابل الصبا مقابلة صحيحة هى الدبور وقد ذكرت فى البيت فلا يجوز ان يرددها ومنها انك لا تقول قابلت زيدا فقبلته مثل فاخرته ففخرته لانك اذا قابلته فقد صرت قبالته وصار قبالتك فليس احدكما فى هذا بافضل من الآخر وذلك مثل قوله واجهته وآزيته وساويته وحاذيته لانك فى هذه الاحوال مثله وهو مثلك فلا يجوز ان تقول فيه فعلته اى غلبته ومنها انك اذا قلت زيد ضارب عمرو او ضروب عمرو وقاتل بكر او قتول بكر لم تدل على انه كانت مضاربة بينهما او مقاتلة لانه يجوز ان يكون الضرب

وقع من احدهما ولم يقع من الآخر ولذلك اصل فلذلك لايدل قولك قبولها انه كانت هنالك مقابلة كما لايدل قولك زيد ضارب عمرو على انه كانت مضاربة بينهما حتى غلب زيد عمرا بالضرب واذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة ومن خطائه قوله

وصنيعة لك ثيب اهديتها * وهى الكعاب لعائذ بك مصرم
حلت محل البكر من معطى وقد * زفت من المعطى زفاف الأيم

غلطه وقع فى البيتين جميعا وقالوا اراد بقوله وصنيعة لك اى للممدوح ثيب اى قد افترعت اهديتها وهى الكعاب لعائذ بك اى لعائذ بك مصرم اى قليل المال وجاء بالكعاب على انها تقوم مقام البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصح له القسمة اى هذه الصنيعة ثيب عندك اى قد اصطنعت مثلها مرارا وهى الكعاب يريد البكر عند هذا العائذ بك لانه اول ما اصطنعته اليه او لانها اكبر صنيعة صنعتها عنده قالوا والكعاب التى كعب ثديها وقد تكون بكرا وتكون ثيبا فليست ضدا للبكر فى البيت ولا تصح بها قسمته لان اسم الكعاب لايزول عنها اذا افترعت حتى ينهد ثديها ويرتفع قالوا واعتمد ان يشرح هذا فى البيت الثانى فقال

حلت محل البكر من معطى وقد * زفت من المعطى زفاف الايم

وذلك معنى قوله وهى الكعاب لعائذ بك ثم قال زفت من المعطى زفاف الايم وهو يريد معنى قوله وصنيعة لك ثيب على ان الايم هى الثيب وقالوا هذا خطا لان الايم هى التى لازوج لها بكرا كانت او ثيبا قال الله عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم افتراه قال انكحوا الثيبات من النساء دون الابكار انما اراد تبارك اسمه انكحوا النساء اللواتى لا ازواج لهن فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل فى الآية قال الشماخ

يقر بعينى ان احدث انها * وان لم انلها ايم لم تزوج

وهذا هو المعروف فى كلامهم وهذا الذى ذكروه من غلطه فى الايم هو كما ذكروه فاما ما ادعوه فى البيت الاول من الغلط فى الكعاب لمن اقامها مقام البكر فليس ذلك بغلط والمعنى صحيح وقد جاء مثله فى اشعار العرب قال قدامة بن ضرار الخنى

غداة خطبنا البيض بالبيض عنوة * وابن الينا ثيبات وكعبا

اراد بالكعب الابكار وقال جرير يهجو امراة

وقد حملت عمانيه وتمت * لتاسعة وتحسبها كعابا

فاقام الكعاب مقام البكر وجعلها ضد الثيب ومثله فى كلامهم موجود وانما فعلوا ذلك وان كان الكاعب قد تكون بكرا وتكون ثيبا لان اول احوال الكواعب ان يكن قد ناهزن حد البلوغ وبدأت ثديهن بالتكعيب فهن فى هذه الحال اكثر ما يكن ابكارا وغير ذات ازواج قال عمرو بن معدى كرب

تركوا السوام لنا وكل خريدة * بيضاء خرعبة واخرى ثيب

فاقام الخريدة مقام البكر وجعلها ضد الثيب فى البيت والخريدة هى الحيية حكى اللحيانى قال سمعت اعرابيا من كلب يقول الخريده الدرة التى لم تثقب وهى من النساء البكر والخرعبة اللينة المفاصل الطويلة وهذه قد تكون ثيبا الا انه جعلها بكرا لان الحيا اكثر ما يكون فى الابكار فقد صح معنى بيت ابى تمام الاول فى الكعاب وبقى الغلط قائما فى الايم وجعلها فى البيت الثانى ضد الثيب فان قيل فلم لايكون لابى تمام اقامة الايم فى البيت الثانى مقام الثيب اذ كانت الايم قد تكون ثيبا كما اقمت الكعاب فى البيت الثانى مقام البكر اذ كانت الكعاب قد تكون بكرا وتتجاوز له فى هذا كما تجاوزت فى تلك قيل لفظة كعاب تدل بصيغتها على صغر السن كما عرفتك فهى فى الاكثر تكون بكرا غير مفترعة فلذلك استحسنوا ان اقاموا الكعاب مقام البكر ولفظة ايم لاتدل على حد فى السن من صغر ولا كبر ولا بكورة ولا افتراع فلايجوز اقامتها مقام الثيب بحال وقد غلط فى الايم بعض كبار الفقها فجعلها مكان الثيب وذلك لحديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم على انه لحقه السهو فى تاويله فحمله على غير معناه فلعل ابا تمام من هذا الوجه قد لحقه الغلط وقد ذكر ابو تمام معنى هذين البيتين فى موضع آخر فقال وقد ذكر صنيعة ايضا

وليست بالعوان العنس عندى * ولا هى منك بالبكر الكعاب

والعوان هى التى بين المسنة والصغيرة السن وهى التى قد عرفت الامور وجربت عليها التجربة فلذلك قيل العوان لاتعلم الخبرة ومنه قيل حرب عوان وهى التى قوتل فيها مرة بعد مرة وانما استعير لها اسم المراة فى هذه الحال كما قال الشاعر الحرب اول ما تكون فتية * فاستعار لها اول ما تبدا وتنشا اسم الفتاة واراد ابوتمام ان هذه الصنيعة ليست بالعوان عندى اى ليست صنيعة قد تقدمتها لك لدى صنائع تشبهها لعظمها وجلالها ولا هى بالبكر التى ليست مع ذلك لكبر صنائعك

بل اسديت كثيرا مثلها الى غيرى وهذا هو المعنى الذى قصده فى البيتين المتقدمين الا انه جعل العنس هنا فى موضع العانس فغلط فقال العنس والعانس هى التى حبسها اهلها عن التزويج حتى تجاوزت حد الفتاة والعنس اسم من اسماء الناقة وهى التى قد انتهت فى شدتها وقوتها فاين وصف الناقة من وصف المراة فان قيل ان ابا تمام لم يرد غير العنس ولم يرد العانس لانه لو اراد العانس لكان مخطئا من وجه غير الذى ذكرته وهو ان العوان فيما ذكر بعض اهل اللغة الثيب وقيل انها التى كان لها زوج وجرير قد افصح انها ذات الزوج فى قوله

واعطوا كما اعطت عوان حليها * اقرت لبعل بعد بعل تراسله

فكيف يكون العانس وصفا للعوان والعانس هى التى حبست عن التزويج قال عامر بن جوين الطائى ووالله ما احببت حبك عانسا * ولا ثيبا لو ان ذاك اتانى

فجعلها ضد الثيب والعنس اولى بان تكون وصفا للعوان من العانس ويكونان جميعا من اوصاف الناقة وهى دون المسنة وفوق الفتية فهى حينئذ الكاملة والعنس الناقة التى قد انتهت فى قوتها فهما صفتان متغقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من اوصاف النوق كما استعار البكر الكعاب من اوصاف النساء قيل هذا غلط من الاحتجاج وتعسف من التاول وانما يستدل ببعض الالفاظ على بعض كما يستدل على المعنى بما يقترن ويتصل به فيكون فى ذلك بيان وايضاح اما العوان والبكر وان كان قد وصف بهما غير المراة من البهائم وغير البهائم فان البكر فى البيت لايكون مستعارة الا من اوصاف النساء من اجل ما اقترن بها من لفظ الكعاب التى هى مخصوصة بوصف الجارية التى كعب ثديها فلا تكون العوان فى صدر البيت من اوصاف النوق والبكر فى آخره من اوصاف النساء فعلمنا انه لم يرد بالعنس الا العانس فغلط كانه اراد هذه الصنيعة ليست فى حال ما هى عندى بالعوان العانس ولا فى حال ما هى عندك بالبكر الكعاب لان المراة تكون كاعبا وبكرا فى حال وعوانا عانسا فى حال اخرى فتنتقل فى هذه الاوصاف والعنس لا موضع لها ههنا واما قوله انه لو اراد العانس كان مخطئا لان العانس هى التى حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة فلا يكون وصفا للعوان لان العوان عند اهل اللغة الثيب فيقال انما انه كان يسوغ لك هذا التاويل لو زال اسم العنوس عن المراة اذا تزوجت فاما وهو باق عليها بعد التزويج التى صارت به ثيبا

فلم لايكون وصفا للعوان التى هى ايضا ثيب عندك الا ترى الى قول كثير

فان طلابى عانسا ام ولدة * لمما تمنينى النفوس الكواذب

فقال عانسا وجعلها ام ولدة فان قال فلعل ابا تمام لم يرد هذا وانما اراد بالعنس مصدر عنست المراة تعنس عنسا وعنوسا فجعل المصدر وهو عنس وصفا للعوان مكان العانس والمصادر قد تجعل اوصافا فى مكان اسماء الفاعلين قيل له المصدر المعروف فى مصدر عنست المراة هو العنوس ولم يسمع العنس وعلى ان الاصمعى قد انكر عنست مخففا وقال انما هو عنست تعنس تعنيسا حكى ذلك عنه يعقوب بن السكيت وهب قد جاء العنس مصدر عنست فليس فى كل موضع يسوغ ان تكون المصادر اوصافا وانما تكون اوصافا على وجه من الوجوه وطريقة من اللفظ وهى قولهم انما زيد دهره اكل ونوم وانما عمرو ابدا قيام وقعود فتقيم المضاف اليه مقام المضاف لانه يدل عليه او تجعل زيدا نفسه الاكل والنوم وعمرا القيام والقعود على المبالغة لان ذلك كثير منهما كما قالت الخنساء

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار

فجعلت الناقة هى الادبار والاقبال لان ذلك كثر منها وان شئت كان المعنى ذات اقبال وادبار فاقمت المضاف اليه مقام المضاف فهذه طريقة الوصف بالمصادر واذا تاولته بالعنس المصدر فى قوله وليست بالعوان العنس كان ذلك كقولك ليست هند بالصبية الصغر تريد الصغيرة ولا دعد بالهرمة الكبر تريد الكبيرة فهذا لايسوغ فى منطق ولا يعد فى لغة ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفا على نحو ما ذكرته فيقال هند الحسن كله ودعد الجمال اجمعه وزيد الهرم اقصاه وعبد الله البغض نفسه والتيه عينه وان شئت كان المعنى هند صاحبة الحسن كله ودعد ذات الجمال اجمعه وزيد اخو الهرم وعبد الله ذو التيه فاقمت المضاف اليه مقام المضاف كما قال الله عز وجل واسئل القرية التى كنا فيها يريد اهل القرية وان شئت جعلت هندا هى الحسن ودعدا هى الجمال على المبالغة لما كانتا متناهيتين فى هذين الوصفين ولوكان ابوتمام اقتصر على ذكر العوان والبكر وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء فى هذا المعنى ولم يخلط بهما العنس والكعاب والثيب والايم لكان قد سلك الطريق المستقيم فاتى باللفظ المالوف المستعمل وتخلص من فاحش الخطا وانما اراد معنى قول الفرزدق

وعند زياد لو تريد عطاءه * رجال كثير قد ترى بهم فقرا

قعود لدى الابواب طالب حاجة * عوان من الحاجات او حاجة بكرا

اى منهم طالب حاجة عوان اى حاجة قد عرفها وصارت عادة له ورسما يتطلبه فى كل حين ومنهم طالب حاجة بكر اى اول ما يلتمسه منه ويترجاه عنده فاحب ابوتمام ان يزيد على هذا المعنى ويغرب فاخرجه ذلك الى الخطا وقد احسن محمد ابن حازم الباهلى فى قوله

ابا جعفر يابن الحجاجحة الغر * بدت حاجة والحر ياوى الى الحر

وقد لبستنى منك بالامس نعمة * فهل لك فى اخرى عوان الى بكر

على انه ان امكنت او تعذرت * فانك بين النكر منى والعذر

فهذه طريقة الشعرآ فى العوان والبكر ومن خطائه قوله

الود للقربى ولكن عرفه * للابعد الاوطان دون الاقرب

لانه نقص الممدوح مرتبة من الفضل وجعل وده لذوى قرابته ومنعهم عرفه وجعله فى الابعدين دونهم ولا اعرف له فى هذا عذرا يتوجه وقد عارضنى فى هذا البيت غير واحد ممن ينتحل نصرة ابى تمام فقال بعضهم ان العرف ما يتبرع به الانسان فلذلك جعله فى الاباعد فاما الاقارب فان برهم وصلتهم من الحقوق الواجبة اللازمة قلت ان كنت تريد الحقوق التى تلزم فان ذلك انما هو للاباء والاجداد والامهات والاولاد والاعمام والاخوال والاخوة والاخوات اذا كانوا فقرآء محتاجين فيجب لهم من الانفاق عليهم بقدر القوت والكفاية وهذا لايخرج ان يسمى معروفا الا تراهم يقولون انل اباك من معروفك او انل امك من معروفك فلا يكون هذا قبيحا بل حقا وقال الله عز وجل فيما فرض على النسآ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فقد صار الفرض ههنا معروفا لان المعروف هو الحسن الجميل من القول والفعل الذى قد عرفت المصلحة فيه فصار معهودا اذا اورد لم تنفر النفوس منه فتنكره وهذا لايكون الانسان محمودا به اذا اعطاه هذه الطبقة من اهله حتى يمدح به ويفتخر له به بل يكون مذموما اذا اقتصر عليه ولم يتجاوزه من الاقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم وهم بنوا الاعمام الذين هم الاعضاد والعدة وبهم تكون النصرة وكذلك بنوا الاخوات وبنوا الاخوال لم يجعل المعروف الذى هو يتبرع به فى الاباعد دونهم ويخرجون منه وان اردت الحقوق التى يلزمها الانسان نفسه تكرما وتفضلا فذلك حقيقة العرف الذى يتبرع المرء به ويحمد

عليه ويمدح بفعله اياه واعطائه له ويذم اذا منعه والاقارب على الاختلاف فى طبقاتهم وانسابهم اولى به من الاباعد فمن جعله فى الاباعد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ونهاية العقوق وعين الحمق وان وصفه واصف فقد بالغ فى ذمه وتناهى فى هجائه فقال قوله الود للقربى قد جمع لهم الود والعرف وغيره لان المودة تشتمل على ذلك كله والعرف الذى خص به الابعدين لايجمع الوداد اذ ليس كل من اسديت اليه معروفا فقد وددته فقد اعطى ذوى القربى اكثر مما اعطى الابعدين فقلت له وليس كل من وددته ايضا فقد اسديت اليه نائلا ولا معروفا ولا يتضمن لفظ الود غير المحبة فقط وعلى ان قوله دون الاقرب توكيد يوجب اخراج الاقارب عن العرف وتخليصه للابعدين فما معنى هذا التاويل الذى تاولته فاقام على ان الود يجمع العرف والصلة وهذا غير معروف ولا موجود فى كلام الناس وقال المقنع الكندى

فان الذى بينى وبين بنى ابى * وبين بنى عمى لمختلف جدا
اذا جمعوا صرمى معا وقطيعتى * جعت لهم منى مع الصلة الودا

فافصح هذا بانه يجمع لهم بين الصلة والود وقال البحترى

مودة وعطاء منك نلتهما * ورب معطى نوال غير مودود

فقال مودة وعطاء منك نلتهما فلو كانت المودة لاتكون الا ومعها عطاء لم يكن لهذا القول معنى وكذلك البيت قبله وقال رب معطى غير مودود ورب مودود غير معطى نوال الا ترى الى قول الاعشى

بانت وقد اسأرت فى النفس حاجتها * بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا

فاراد ان الود قد يكون ولا نفع معه وقال ابو تمام

قرانى اللهى والود حتى كانما * افاد الغنى من نائلى وفوائدى

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء فاجبته بمثل هذا الجواب وقلت له ان كان الامر على ما تزعم وتركناك على شهوتك فى ان الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض اذا هذا الشاعر نفسه فى البيت فانه ان كان اراد بقوله الود للقربى المحبة والمعروف جميعا فقد قال فى عجز البيت ولكن عرفه فى الابعد دون الاقرب فاخرج الاقرب بقوله دون فلو كنت تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الاقرب كان ذلك اقل قبحا من المناقضة فقال انما اراد بقوله ولكن عرفه فى الابعد الاولان دون

الاقرب افراد العرف للابعد والا فجمعه له مع الود كما جمعهما للاقرب فقلت قوله دون يفسد عليك هذا التاول وما اراك الا قد اوضحت فيه الاحالة والمناقضة وبينتهما لانك فى هذا كقائل قال الود والمال جميعا لزيد والمال لعمرو مفردا دون زيد فكيف يجمع المال مع الود لزيد اولا ويفرد عمرا به دون زيد آخرا وهذا اقبح ما يكون من المناقضة وانما كان يصح هذا الكلام بان لو قال الود والمال لزيد والمال لعمرو دون الود فيكون قد اخرج عمرا من الود اخراجا موكدا بقوله دون الود فاما الكلام الاول فمتناقض كما عرفتك وكذلك بيت ابى تمام كان يتاول على هذا ان لو قال دون الود لا دون الاقرب وما ظننت ان احدا يدعى مثل هذه الدعوى ولا ان حاجة تدعو الى مثل هذا الاحتجاج ويجب ان يقال لهذا المعارض هل يجب عندك ان تكون مودة لامعروف معها اذ ليس كل من وددته فقد انلته معروفا فان قال لاكابر وسقط كلامه وان قال نعم قيل قد اخرجت لفظة الود عن ان تدل بمجردها على المعروف الا بشىء يقترن بها وقال آخر انما اخرج اقاربه من المعروف لانهم فى غنى وسعة لغناه وسعة حاله فلذلك افردهم بالود قلت له فان كانوا اغنياء بغناه فقد اوسعهم من معروفه فما كان ينبغى للشاعر ان يشرط للاباعد دونهم وقلت له وكيف يعلم انهم اغنياء وليس فى داخل البيت دليل عليه قال كذا نوى واراد قلت ليس العمل على نية المتكلم وانما العمل على توجيه معانى الفاظه ولو حملت قول كل قائل وفعل كل فاعل على نيته لما نسب احد الى خطا فى قول ولا فعل ولكان من سدد سهما وهو يريد غرضا فاصاب به عين رجل فذهبت غير مخطىء لانه ما اعتمد الا الغرض ولا نوى غير القرطاس وقال آخر اراد بقوله ولكن عرفه فى الابعد الاوطان دون الاقرب اى بعد الاقرب تقول جانى الامير فمن دونه اى فمن بعده قلت فانما معنى فمن دونه اى فمن هو ادون منه فى الرتبة بعده كان مجيئه او قبله وقال آخر انما اراد ابو تمام بقوله دون الاقرب اى فضلا عن الاقرب اى فكيف الاقرب وان كان هذا مذهبا للناس ان يضعوا دون فى هذا الموضع فيقولوا انا ارضى بالقليل دون الكثير اى فضلا عن الكثير وانا اقنع بقرص من شعير دون ما سواه اى فضلا عما سواه وهذا مذهب صحيح معروف قلت له هذا توهم منك فاسد وتاول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود لان معنى دون عند اهل اللغة التقصير عن الغاية فمعنى قوله انا ارضى بالقليل دون الكثير

اى ارضى بالقليل ولا انتهى الى الكثير اى لا اطمح اليه وارضى بقرص من شعير ولا انتهى الى ما سواه فهذه حقيقة معنى اللفظ واما ما تاولته فانما هو بمعنى بله التى تاتى فى الكلام وموضعها دع كقول كثير

بسطت لباغى العرف كفا بسيطة * تنال العدى بله الصديق فضولها

اى تنال العدى فدع الصديق اى لاتصل الى العدى الا بعد ان تصل الى الصديق ودون لاتتضمن هذا المعنى ولا توديه قال فقد تاتى دون بمعنى فوق كما تاتى فوق بمعنى دون فى قول الله عز وجل ان الله لايستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ذكر ان معناه فما دونها لان فوق قد تكون دون عند ما هو فوقها ودون قد تكون فوق عندما هو تحتها فيجوز ان يكون اراد الشاعر بقوله دون الاقرب اى فوق الاقرب بمعنى زيادة على ما اعطاه الاقرب اوتكون دون ههنا بمعنى امام لان بعض اهل اللغة جعلها من الاضداد وانها تاتى بمعنى خلف وبمعنى امام مثل ورآء فيكون معنى قوله دون الاقرب اى امام عرفه فى الاقرب اى قبله قلت له اما ما قيل فى قوله عز وجل فما فوقها معناه فما دونها فان اهل العربية على خلاف ذلك وليس لهذه اللغة عندهم الا وجهان احدهما ان يكون فما فوقها فما هو اكبر منهما لان البعوضة غاية فى الصغر فيكون المعنى انه عز وجل لا يستحى ان يضرب مثلا ما بين الشئ الذى هو نهاية الصغر الى ما هو فوقه اى ما زاد عليه وتجاوز والوجه الآخر فما فوقها فى الصغر وهذا قول ابى العباس محمد بن يزيد المبرد وابى اسحاق الزجاج والكسائى من قبلهما وابى عبيدة وما اظن غيرهولاء يقول الا مثل ذلك واما ما ذكرت من ان دون تاتى بمعنى خلف وامام فانها عند اهل العربية من الاضداد نحو ورآ فقد اخبرتك ان معناها عند اهل العربية التقصير عن الغاية واذا كان الشئ ورآء الشئ او امامه او يمنة اوشأمة صلح فى ذلك كله ان تقول هو دونه الا ترى انك اذا قلت بيوت بنى فلان دون الحرة صلح ان تكون دونها الى مهب الشمال او الى مهب الجنوب او الى غيرها من الجهات فلا يعلم المخاطب اى الجهات التى تعنى فليس هذا من الاضداد فى شئ. وانما جعلها قوم من الاضداد لما راوها تستعمل فى هذه الوجوه لما فيها من الابهام وكذلك ورآء انما هى من المواراة والاستتار فما استتر عنك فهو ورآء خلفك كان اوقدامك هذا اذا لم تره ولم تشاهده فاما اذا رايته فلا يكون امامك ووراءك وانما

قال لبيد

اليس ورآى ان تراخت منيتى * لزوم العصى تحنى عليها الاصابع

بمعنى اليس امامى لانه قال ذلك قبل ان يرى ويشاهد نفسه وقد لزم الغلط وقد قال الله عز وجل وكان ورآهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا قالوا انه كان امامهم وصلح ذلك لانهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه فقد وضح لك الآن معنى دون انها لا تخرج عن بابها التى وضعت له الا ترى انك تقول نزلت فى القرية دون النخل فيجوز ان تكون القرية امام النخل وخلفه ويكون المعنى انك افردت القرية بنزولك ولم تعرج على النخل وكذلك لقيت زيدا دون عمرو واكلت السمك دون اللبن اخرجت عمرا من لقائك واللبن من اكلك وكذلك قول الطآى دون الاقرب قد اخرجهم من العرف وهذا لا شئ اوضح منه وقد حمل بعضهم نفسه على ان قال اراد الطآى لكن عرفه فى الابعد الاوطان دون عرفه فى الاقرب وهذا من افحش الخطا لان قوله دون الاقرب مثل قولك ودى لزيد دون عمرو فليس معناه كمعنى قوله ودى لزيد دون لعمرو لانك فى الاول قد اخرجت عمرا من الود وافردت زيدا به وفى الثانى جعلت الود لزيد دون الود لعمرو اى اقل منه فهذا معنى وراك معنى آخر وايضا فلو اعتمد ابو تمام هذا المعنى لكان قد اخرج لكن التى تدخل للاستدراك من ان يكون استدرك بها شيئا فلا يكون لها فى البيت معنى البتة وقال آخر ممن يلتمس العذر لابى تمام انما هذا على طريق الايثار كما يوثر الانسان على نفسه فكذلك يوثر على اقاربه قيل له الايثار على النفس حسن جدا وصاحبه ممدوح كما قال الله عز وجل ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وكما قال ابو خراش

ارد شجاع الجوع قد تعلمينه * واوثر غيرى من عيالك بالطعم

وكما قال عروة بن الورد

اقسم جسمى فى جسوم كثيرة * واحسو قراح الماء والماء بارد

والايثار انما يكون ايثارا ويقع الحمد به اذا آثر الانسان غيره على نفسه اوعلى ولده وفى بعض الاحوال فاما اذا آثر بعض الطالبين على بعض بغير سبب يعلم فهو بذلك مذموم غير ممدوح فكيف اذا آثر البعيد على القريب وقد جآ فى اشعار العرب من الحث على بر الاقارب ومن حمد من وصلهم وذم من حرمهم ما هو اشهر واكثر

من آن يخفى قال زهير

وليس ما نع ذى قربى وذى رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

وقال ابو داود الايادى

اذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم * فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى

وقال حاتم الطآى

لا تعذلينى على مال وصلت به * رحما قريبا فخير المال ما وصلا

وقال اوس بن حجر

اليس بوهاب مفيد ومتلف * وصول لذى قربى هضيم لهضتم

وقال زهير

وذى نسب نآء بعيد وصلته * بمال وما يدرى بانك واصله

وقال كثير

بسطت لباغى العرف كفا بسيطة * تنال العدى بله الصديق فضولها

هذا المعنى اولى بالصواب من قول الطآى لانه اراد ان عرفه ينال العدى فضلا عن الصديق لان قوله بله الصديق اى فدع الصديق لانه لا يصل الى العدى الا بعد ان يصل الى الصديق وقال كثير ايضا

لاهل الود والقربى عليه * صنائع بثها بر وصول

وللفقرآ عائدة ورحم * فلا يقصى الفقير ولا يعيل

الا تراه بدأ باهل وده وقرابته فجعل منافعه فيهم ثم ثنى بالفقرآء فجعل لهم عائدة ورحما اى رحمة وقال كثير ايضا

ولم يبلغ الساعون فى المجد سعيه * ولم يفضلوا افضاله فى الاقارب

جزيل الجوازى عن صديقك نصره * وقربت من ماوى طريد وراغب

وصاحب قوم معصم بك حقه * وجار ابن ذى قربى واخر جانب

رايتك والمعروف منك سجية * تعم بخير كل جاد وغائب

جاد يقال يجدو ويجتدى اى تعم بالمعروف من هو بحضرتك ومن هو غائب عنك فجعل كثير كما ترى معروفه عموما فى الاقارب وفى الاباعد الى الحاضر والغائب

وقال ابن هرمة

كم نأيل وصلات قد نفجت بها * ونعمة منك لا تحصى اياديها

عند الاقارب والاقصين نفعهما * بيض روائحها تحدو غواديها

وقال كنانة بن عبديا ليل الثقفي

صلاة وتسبيح واعطاء نائل * وذو رحم تناله منك اصبع

يريد بقوله اصبع ذو رحم ونائل وقال اسماعيل بن يسار النسآئي

واذا اصبت من التوافل رغبة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها

وقال المسيب بن علس في منع الاقارب

من الناس من يصل الا بعدين * ويشقى به الاقرب الاقرب

وقال الحارث بن كلدة الثقفي يذم فاعل ذلك

من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات اقاربه

فان يك خير فالبعيد ينساله * وان يك شر فابن عمك صاحبه

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب وقال مسافر بن ابي عمرو بن امية في ذلك

تمد الى الاقصى يديك كلـه * وانت على الادنى صرور مجدد

وانك لو اصلحت من انت مفسد * تودك الاقصى الذى تتودد

الصرور الضيق حملة الثدى والمجدد الذى قد انقطع لبنه وهذه طريقة القوم في هذا وهو مذهب سائر الامم واما قول ابي تمام

وربما عدلت كف الكريم عن القوم الحضور ونالت معشرا غيبا

فليس هو من بيته الاول في شئ وقد ادرك فيه الغرض كانه يعذر من فعل هذا اى ربما اتفق ان يفعله من غير قصد وليس هذا بمحمود وقد ذهب البحترى الى نحو ما ذهب اليه ابو تمام فقال

بل كان اقربهم من سيبه نسبا * من كان ابعدهم من جذمه رحما

الا انه لم يخرجهم من معروفه وان كان ايضا قد دخل تحت الاساءة ونحو هذا قول البحترى ايضا

غبدا قسمه عدلا ففيكم نواله * وفي سرنبهان بن عمرو ما آثره

وما عجب ان يشهد الطعن دونه * وما عشرتكم في نداه عشائره

فاى قسمة عدل ههنا ان يجعل نداه في غير قومه ويقتصر بهم على ان يجروا الفخر لما آثره وان كان قد دل بقوله وما عشرتكم في نداه عشائره على انه لم يحرمهم نواله البتة والاحسن في هذا قوله

فان ينفرد عنا يسير بمجده * فلم ينفرد عنا بنائله الجزل

فاعطاهم المجد والنائل جميعا وشبيه بهذا اوقريب منه قوله

عطاوك ذا القربى جزيل وفوقه * عطاوك فى اهل الثناآءة والبعد

فقال عطاوك ذا القربى جزيل ثم قال وفوقه عطآوك فى اهل الثناآءة والبعد فقوله وفوقه اى اجزل منه وقد يكون فوقه بمعنى زيادة عليه والمعنى الاول بالبيت اليق والجيد فى هذا البعيد من العيب قوله

ظل فيها البعيد مثل القريب المجتبى والعدو مثل الصديق

ولا اعرف لابى تمام فيما قال عذرا يتوجه ولا وجدت فيما تصفحته من الاشعار العرب ما يجانسه الا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى

لمن يزورك من اشرافنا لطف * وذى القرابة ادناآء وتقريب

واظن ابا تمام عثر به واستغربه فاخذ المعنى وزاد عليه زيادة اخرجته الى ذم الممدوح لان هذا الشاعر قال لمن يزورك من اشرافنا لطف اى بر ولذى القرابة ادناآء وتقريب ولم يقل ادناآء وتقريب دون البر كما قال ابوتمام لان البر واللطف اذا كانا للغريب الزائر وكان الادناآء والتقريب فى تلك الحال لذى القرابة فقد يجوز ان يهيجه البر اليه فى وقت ايصاله الى الغريب وهذا ان كان يقع فى الاكثر فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله ولله در ابى عبادة الوليد بن عبيد البحترى اذ يقول

فان ذاك الندى يدنى اليه يدا ممتاحة من بعيد الدار والرحم

وقوله

وما اضعت الحق فى اجنب * فكيف تنسى واجبا فى شقيق

ومن خطائه قوله

يدى لمن شآ رهن لم يذق جرعا * من راحتيك درى ما الصاب والعسل

لفظ هذا البيت مبنى على فساد لكثرة ما فيه من الحذف لانه اراد بقوله يدى لمن شآ رهن اى اسابقه وابايعه معاقدة او مراهنة ان كان من لم يذق جرعا من راحتيك درى ما انصاب والعسل ومثل هذا لايسوغ لانه حذف ان التى تدخل للشرط ولا يجوز حذفها لانها اذا حذفت سقط معنى الشرط وحذف من وهى الاسم الذى صلته لم يذق فاختل البيت واشكل معناه والحذف لعمرى كثير فى كلام العرب اذا كان المحذوف مما تدل عليه جملة الكلام قال الله عز وجل او لم

يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى اراد جل وعز او لم يتفكروا ليعلموا واشباه هذا كثير ومن باب الحذف والاختصار قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم قال ابو عبيدة العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما اريد كانه اراد فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات يفسر ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وفى الشعر مثل هذا موجود قال الشاعر

لو قلت ما فى قومها لم تأثم * يفضلها فى حسب وميسم

يريد احد يفضلها فحذف احد لان الكلام يدل عليه ذكر ذلك سيبويه وانشد فى باب الحذف

وما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

يريد فمنها تارة اموت فان تاول متاول هذا البيت على الفاظ اخر محذوفة غير اللفظ الذى ذكرته فالاختلال بعد قائم لكثرة ما حذف منه وسقوط الدليل عليه ومن خطائه قوله

شهدت لقد اقوت معانيكم بعدى * ومحت كما محت وشائع من برد

جعل الوشائع حواشى البرد او شيئا منها وليس الامر كذلك انما الوشائع غزل من اللحمة ملفوف يجره الناسج بين طاقات السدى عند النساجة قال ذو الرمة

به ملعب من معصفات نسجنه * كنسج اليمانى برده بالوشائع

فاما قول كثير

ديار عفت من عزة الصيف بعد ما * تجد عليهن الوشيع المنمما

انما اراد بالوشيع هنا ما سد به الخصاصة بين الشيئين وهذه وشائع الغزل مأخوذ من المنمنم من النمام اى بعد ما كانت هذه الديار تجد بالوشيع اى يخصص جنابها ومثل ابى تمام لايسوغ الغلط فى مثل هذا لانه حضرى وانما يسامح فى ذلك البدوى الذى يريد الشىء ولم يعاينه فيذكر غيره لقلة خبره بالاشياء التى تكون بالامصار واما ابو تمام فليست هذه حاله بل ما جهل هذا ولكنه سامح نفسه فيه الا ترى الى قوله فى موضع آخر يصف قصيدة

الجد والهزل فى توشيع لحمتها * والنبل والسخف والاشجان والطرب

فقال فى توشيع لحمتها ومن خطائه قوله

لو كان فى عاجل من آجل بدل * لكان فى وعده من رفده بدل

ولم لايكون فى عاجل من آجل بدل والناس كلهم على اختيار العاجل وايثاره وتقديمه على الآجل الا ترى قول القائل الذى قد صار مثلا والنفس مولعة بحب العاجل والعاجل ابدا هو المطلوب المرغوب فيه حتى ان قليله يوثر على كثير الآجل كما قال الآخر

اعاذل عاجل ما اشتهى * احب من الآكثر الرائث

كانه يريد عاجل ما اشتهى مع القلة احب الى من الآكثر المبطى فمن شان الوجل ابدا ان يكون افضل الاعواض والابدال من كل آجل اذا كان فى الخير فعاجل الخير خير من آجله كما ان عاجل الشر شر من آجله لان العاجل شبى قد وقع ان كان خيرا فقد حصل نفعه او شرا فقد تعجل شره وآجل الخير يخشى فوته وربما وقع الاخفاق منه كما ان اجل الشر يرجى زواله وربما لم يقع فكيف لايكون العاجل بدلا او خلفا من الآجل فان قال قائل ان الذى اراده ابوتمام وقاله صحيح ومذهبه فيه مستقيم لان العاجل لايكون ابدا بدلا ولا خلفا من الاجل لان المبدل لايكون قبل المبدل منه ولا الخلف يتقدم على ما هو خلف له لانه انما قيل له خلف لاتيانه خلف الذى هو قدامه فابوتمام انما انكر ان يكون العاجل بدلا او خلفا من الاجل على هذه السبيل قيل هذا غلط من التاويل او مغالطة لانه ليس على هذا الوجه منع ابو تمام من ان يكون العاجل بدلا من الاجل فيحتج بان هذا اولى بالتقديم وهذا اولى بالتاخير من طريق الترتيب وانما اراد انه لايقوم مقامه فى الحاجة اليه فكيف يكون الاول يقوم مقام الثانى والمتقدم مقام المتاخر وكان وجه الكلام الذى يصح به المعنى ويستقيم ان يقول لو كان فى عاجل قول بدل من آجل فعل لكان فى وعده من رفده بدل فان قال فهذا الذى اراد ابوتمام قيل ليس الامر كذلك لان طريقة لفظه فى البيت ان يكون معناه لو كان فى شى عاجل من شى آجل بدل وبعد فلو اراد ما ظننته وذهبت اليه وذلك ليس بمعلوم ولا فى البيت عليه دليل لم يلتفت الى ارادته لانك اذا فصلت الاضافة من عاجل قول او آجل فعل ففرقت بين المضاف والمضاف اليه لم يدل احدهما على الآخر لان لفظة عاجل لاتدل غير مضافة على ما تدل عليه لفظة عاجل قول كما ان لفظة آجل لاتدل على آجل فعل ولا يدلان ايضا على شى مضمر كما ان قولك زيد اول ناطق وآخر ساكت

وعمرو اول خارج واخر قادم وبكر اول آخذ واخر تارك اذا افردت اول. واخر لم يد لا على شئ مما اضيف اليه الا ترى ان الاصمعى انكر على ذى الرمة قوله يصف الوتر كانه فى نياط القوس حلقوم فقال حلقوم ما ذا اذ كان يجب ان يقول حلقوم طائر اوحلقوم قطاة اوغيرهما مما يشبه الوتر فى الرقة والا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل اوحلقوم بعيروهذا من الاصمعى انكار صحيح وان كان لايلزم ذا الرمة فيه ما يلزم ابا تمام لان العرب لا تشبه الوتر الا بحلقوم الطائر وذلك قول الراجز لام ممر مثل حلقوم الوتر اخذه ابو تمام فقال لام كحلقوم القطاة تغترف وابو تمام انما اراد ان هذا الممدوح يقيم وعده لصحته مقام عطيته واحب الاغراق على رسمه فاخطأ فى تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل لانه اطلق القول عموما فلا يدل على خصوص والجيد النادر فى هذا قول البحترى

لو قليل كفى امرأ من كثير * لاكتفينا بقوله من فعاله

واحسن الراعى فى قوله

ضافى العطية راجيه وسائله * سيان افلح من يعطى ومن يعد

ومن خطائه قوله

يوم كطول الدهر فى عرض مثله * ووجدى من هذا وهذاك اطول

فجعل الدهر وهو الزمان عرضا وذلك محض المحال وعلى انه ما كانت اليه حاجة لانه قد استوفى المعنى بقوله كطول الدهر فاتى على العرض فى المبالغة فان قيل فلم لا يكون سعة ومجازا قيل هذه الفاظ صنعتها صنعة الحقيقة وهى بعيدة من المجاز لان المجاز فى هذا له صورة معروفة والفاظ مألوفة معتادة لا يتجاوز فى النظر بها الى ما سواها وهى قول الناس عنا فى خفض ودعة زمانا طويلا عريضا وما زلنا فى رخاء ونعمة الدهر الطويل العريض وانما ارادوا تمامه وكماله وسعته نحو قولهم ثوب طويل عريض اى تام واسع وارض طويلة عريضة اى تامة فى الطول والسعة وكذلك اذا وصفوا ما ليس له طول ولاعرض على الحقيقة فانما يريدون التمام والكمال الا ترى الى قول الراعى

انت ابن فدعى قريش لوتقاسمها * فى المجد صار اليك العرض والطول

اى لها سعة وتمام وكمال والفضائل المحاسن وكذلك قوله

اذا ابتدر الناس المكارم بزهم * عراضة اخلاق ابن ليلى وطولها

أى يزهم منه اخلاقه وتمامها وكمالها فى الفضل لان الاخلاق تمدح بالسعة وتذم بالضيق الا ان اكثر ما ياتى فى كلامهم العرض المراد به السعة اذا جاء مفردا عن الطول نحو قولهم فلان فى نعمة عريضة وله جاه عريض وكما قال الله جل وعز وجنة عرضها السموات والارض اى سعتها وكما قال الله عز وجل فى موضع آخر واذا مسه الشر فذو دعآء عريض وكما قال تميم بن ابى بن مقبل

يقطعن عرض الارض غير لواغب * وكان بحريها لهن صحار

اى يقطعن سعة الارض وكما قال الآخر

ساجعل عرض الارض بينى وبينهم * واجعل بيتى فى غنى واعصر

وكما قال العجاج

اذا تغشوا بعد ارض ارضا * حسبتهم زادوا عليها عرضا

اى سعة وكثرة وكما قال تميم ايضا

حتى اذا الريح خبت بالسفا خببا عرض البلاد اشت الامر واختلفا

اى سعة البلاد فهذا اذا جرى على هذا اللفظ المستعمل حسن ولم يقبح واذا عدل به عن هذه الطريقة وهذه الالفاظ المالوفة الى ما يشبه الحقائق اويقاربها كنت مخطئا لانك اذا قلت مضى لنا فى الخفض والدعة دهر طويل كان طوله كعرضه لم يجز ذلك لان هذا الترتيب كان وصفا لاشياء مجسمة كما قال الطآى * يوم كطول الدهر فى عرض مثله * فكان هذا اللفظ كانه تدرع ثوبا اوتمسح ارضا اويصف بالاجتماع والتزوير رجلا كما قال تميم بن ابى بن مقبل

وكل يمان طوله مثل عرضه * فليس له اصل ولا طرفان

فان قيل فاذا جعلت الزمان العرض الذى هو سعة على المجاز لم لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجاز قيل له العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة والزمان لا عرض له على الحقيقة فكيف تكون الحقيقة مجازا فان قيل فان الزمان لا يوصف بالسعة كما لا يوصف بالعرض فلم استعرت له العرض الذى هو السعة قيل العرض وان جآ وصفا وحلية للزمان فى قولهم عاش فلان فى نعمة زمنا طويلا عريضا فانما صلح لانك وصلته بالطول وقرنته به فكان المعنى عاش فى زمن تم له وكمل واتسع كما اخبرتك والزمان قد يوصف بالسعة فيقال قد اتسع لك الوقت والزمان فى مثل كذا ولا يقال عرض لك والعرض ههنا هو السعة ولكن اجرى

هـذا على حسب ما استعملوه وانما فى الوقت فسحة لك وامتداد يراد به معنى الطول وقال ضرار بن الخطاب * وما لاقيت فى الزمن العريض * وذكر العرض مفردا عن الطول اى الزمن الذى اتسع لك وقد يجوز ان قلت عاش فى الخير دهرا عريضا ان تريد بالعرض سعة الخير فيه لا سعته فى نفسه كما قالوا ليل نائم اى ينام فيه ولمح باصر اى يبصر فيه وانما تستعار اللفظة لغير ما هى له اذا احتملت معنى يصلح لذلك الشئ الذى استعيرت له ويليق به لان الكلام انما هو مبنى على الفائدة فى حقيقته ومجازه واذا لم تتعلق اللفظة بالعرض على الحقيقة وهذا محال لما كان فى بيت ابى تمام معنى لانه انما اراد ان يبالغ فى طول وجده اذ كل الوجد يوصف بالطول كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما فيقال طال وجدى وطال شوقى وطال غرامى وكذلك الزمان انما يوصف بالطول فيقال طال ليلى وطال نهارى فما كانت حاجة الى العرض وانما فضل وجده على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر من جهة الطول لامن جهة العرض الاتراه قال * ووجدى من هذا هذاك اطول * وقد ذكر ابو تمام العرض فى بيت آخر فقال

ان الثناء يصير عرضا فى الورى * ومحله فى الطول فوق الانجم

كيف جعل سير الثناء عرضا فى الورى وهو لم يحدد موضعا بعينه فيحسن فيه ذكر الطول والعرض فيكون كما قال الراعى

وجرى على حرب الصوى فطردته * طرد الوسيقة فى السماوة طولا

فحسن ان يقول طولا لانه ذكر السماوة كما قال النابغة ويقال انه محمول عليه

جنين مع الغطاط يقدن حتى * قطعن الحزن عرضا والرمالا

فصلح لانه ذكر انهن قطعن ارض الحزن والرمال ومثل قول ابى تمام قول المرار

فلو كانت تجوب الارض عرضا * ولكن جوبهن الارض طولا

وله ولبيت ابى تمام معنى غامض يحسن به وانا اذكره مع شرح المعانى الغامضة من شعر ابى تمام ومما يشبه قول ابى تمام * يوم كطول الدهر فى عرض مثله * او يقار به قول الكميت يصف عدة قوم بالكثرة * كالليل لا بل يضعفو * ن عليه من باد وحاضر * وكيف يتحصل مقدار الليل حتى يتحصل ضعفه وهذا ايضا يصح على التمييز والتفتيش اذا حصل معناه وذلك ان الليل لا يغشى الارض كلها بظلمته وانما يغشى بعضها فلعل الكميت اراد انهم ياخذون من الارض ضعف ما يأخذه الليل منها

اذا غشيها على سبيل المبالغة كما قال الاحمر بن شجاع الكلبي

بحارا تغشى الناظرين كانها * دجى الليل بل هى من دجى الليل اكثر

وقال ابو تمام

ورحب صدر لو ان الارض واسعة * كوسعه لم يضق عن اهله بلد

وهذا ايضا غلط من اجل ان كل بلد يضيق باهله وليس ضيقه من جهة ضيق الارض لان الارض لوكانت عشرة اضعافها فى المقدار او الف ضعف مثلها ما كان ذلك بموجب ان يكون الحزن والصمان اونجدا او المدينة اومكة او الكوفة او البصرة فى قدر مساحة كل ناحية منها اوسع وازيد مما هى عليه الآن اذ لم يختط البصرة والكوفة من اختطهما ولا اسس مكة والمدينة من اسسهما على قدر سعة الارض وضيقها ولاصار قدر الحزن والصمان هذا القدر فى ذرعهما ومساحتهما على قدر مساحة الارض وذرعها بقسط اخذاه منها وانما ذلك على حسب الاخلاق فى كل سعة وعلى حسب ما ادى اليه الاجتهاد والاختيار ممن اسس كل بلدة ومصر كل مصر وكان ينبغى ان يقول ورحب صدر لو ان الارض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك وضاقت عنها السماء او ان يقول لوان سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن اهله بلد وكان حينئذ يكون المعنى لائقا مستقيما والجيد الصحيح فى هذا المعنى قول البحترى * مفازة صدر لم تطرق ولم يكن * ليسلكها بردا سليك المقانب اى لم يكن ليسلكه الا بدليل لسعته وايضا فان الجزء من الارض هو ما يكون فيه من الحيوان والنبات وانما مقداره على ما يقوله اهل الهندسة الربع من الارض واقل من الربع والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزا من الف جزء من ذلك فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة انما هو من اجل ضيق الارض فان قيل لا يدل قوله الارض وهو لفظ عموم على البلدان التى هى مخصوصة ولا يكون اللفظ الا هكذا ان يريد القائل لفظة تدل على معنى فياتى باخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة

ومن خطائه قوله

وكلما امست الاخطار بينهم * هلكى تبين من امسى له خطر

لولم تصادف شاة البهم اكثرها * فى الخيل لم تحمد الاوضاح والغرر

فالاوضاح هى البياض فى الاطراف وقد يكون ايضا فى البهم وكذلك ايضا الغرر

قد توجد فى البهم كثيرة وهـذا فساد فى ترتيب البيت لانه ليس اذا وجدت شياة البهم وهى صغار الغنم اكثر ما فى الخيل اووجدت شياة الخيل اكثر ما فى البهم كان ذلك موجبا لحمد الاوضاح والغرر وانما كان يصح نظم الكلام لو لم توجد الاوضاح والغرر فى البهم حتى تكون مخصوصة بالخيل فيقول لو لم تعدم الاوضاح والغرر فى البهم لما حمدت فى الخيل فاما ان توجد شياة البهم فى الخيل كثيرا او شياة الخيل فى البهم دائما فليس هـذا بموجب حمد الاوضاح والغرر فى الخيل لان الاوضاح والغرر موجودة فى الغنم وقال طارق بن شهاب

وراحت اصيلانا كان ضروعها * دلاء وفيها واتد القرن لبلب

له رعثات كالشنوف وغرة * شديخ ولون كالوديلة مذهب

فذكر ان له غرة وقال اخر فى وصف عنز

سودآ الا وضحا فى النوى * كانما الجوزآ فى الاكرع

فذكر بياض اكرعها وذلك موضع التحجيل بل لوقال لو لم تقل الاوضاح والغرر فى البهم لما حمدت فى الخيل لكان اقرب الى الصواب لانى اظنها فى البهم اقل وفى الخيل اكثر وليس فى هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك

ومن خطأ المدح قوله

ساحمد نصرا ما حييت وانني * لاعلم ان قد جل نصر عن الحمد

فانه رفع الممدوح عن الحمد الذى ندب الله عباده اليه بان يذكروه به وينسبوه اليه وافتتح فرقانه فى اول سورة بذكره وحث عليه وللعرب فى ذكر الحمد ما هو كثير فى كلامها واشعارها ما فيهم من رفع احدا عن ان يحمد ولامن استقل الحمد للممدوح قال زهير بن ابى سلمى

متصرف للمجد معترف * للرزء نهاض الى الذكر

اى حيث ما راى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها وقال زهير ايضا

اليس بفياض يداه غمامة * ثمال اليتامى فى السنين محمد

فقوله محمد اى يحمد كثيرا وقال الاعشى

ولكن على الحمد انفاقه * وقد يشتريه باغلى ثمن

وقال ايضا

اليك ابيت اللعن كان كلالها * الى الماجد الفرع الجواد محمد

فوصفه بان جعله محمدا اى يحمد كثيرا وقال الآخر

ومن يعط اثمان المحامد يحمد * فهذه هى الطريقة المعروفة فى كلام العرب ولو قال الطائى لو جل احد عن المدح لجللت عنه كان اعذر كما قال البحترى

لوجل خلق قط عن اكرومة * تبنى جللت عن الندى والباس

اى كنت تجل لعلو شانك عن ان يقال سخى اوشجاع اذ كان هذان الوصفان قد يوصف بهما من هو دونك وقال البحترى ايضا

والحمد انفس ما تعوضه امرو * رزىء التلاد ان المرزأ عوضا

فاما قول البحترى

كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف سرى مجده فعاب الثناء

فعيبه الثناء انما معناه عظم ان يدركه ويبلغ حده الاتراه قال كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف اى لاطريق الى كيف الثناء الذى يستحقه ويليق به ثم قال سرى مجده فعاب الثناء قطعا من الكلام الاول * ومن خطائه قوله

ظعنوا فكان بكاى حولا بعدهم * ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

اجدر بجمرة لوعة اطفاؤها * بالدمع ان تزداد طول وقود

وهذا خلاف ما عليه العرب وضد ما يعرف من معانيها لان من شان الدمع ان يطفى الغليل ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة وهو فى اشعارهم كثير موجود ينحى به هذا النحو من المعنى فمن ذلك قول امرء القيس

وان شفائى عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

وقول ذى الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد او يشفى نجى البلابل

وقال الفرزدق

فقلت لها ان البكاء لراحة * به يشتفى من ظن ان لاتلاقيا

وهو كثير فى اشعارهم ماعدل به احد منهم عن هذا المعنى وكذلك المتاخرون هذا السبيل سلكوا وابو تمام من بينهم ركب هذا المعنى وكرره فى شعره متبعا لمذاهب الناس فمن ذلك قوله

نثرت فريد مدامع لم تنظم * والدمع يحمل بعض ثقل المغرم

وقال فى موضع اخر

واقعا بالخدود والبرد منه * واقع بالقلوب والاكباد

وقال ايضا

فلعل عينك ان تجود بمائها * والدمع منه خاذل ومواسى

وقال ايضا

فلعل عبرة ساعة اذريتها * تشفيك من ارباب وجد محول

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جرت به العادة فى وصف الدمع لكان المذهب المستقيم ولكنه احب الاغراب فخرج الى ما لا يعرف فى كلام العرب ولا مذاهب سائر الامم وقد تبعه على الخطا البحترى فقال

فعلام فيض مدامع تدق الجوى * وعذاب قلب فى اجتناب معذب

قوله تدق الجوى من قولهم لم يدق الارض منه شئ اى لم يصل وفى شعر امرء القيس ما فيه مودق اى على اترى واصله من الدنو فكانه قال تدق الجوى اى تدنى الجوى يقال اتان وديق اى تدنو من الفحل ومنه الوديقة الهاجرة لدنو الحروقيل لقطر المطر ودق لانحلابه من السحاب ودنوه من الارض * ومن خطائه قوله

رضيت وهل ارضى اذا كان مسخطى * من الامر ما فيه رضى من له الامر

فمعنى هذا البيت التقرير والتقرير على ضربين تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع اوعلى فعل هو فى الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه ويقتضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به نحو قوله هل اكرمتك هل احسنت اليك هل اودك واوثرك واقضى حاجتك وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينبغى ان يكون قد وقع نحو قوله هل كان قط اليك سئ كرهته هل عرفت منى غير الجميل فقوله فى البيت وهل ارضى تقرير لفعل ينفيه عن نفسه وهو الرضى كما يقول القائل وهل يمكننى المقام على هذه الحال اى لا يمكننى وهل يصبر الحر على الذل وهل يروى زيد ويشبع عمرو وهذه افعال معناها النفى فقوله وهل ارضى انما هو نفى للرضى فصار المعنى ولست ارضى اذا كان الذى يسخطنى ما فيه رضى من له الامر اى رضى الله تعالى وهذا خطأ منه فاحش فان قال قائل فلم لا يكون قوله وهل ارضى تقريرا على فعل هو فى الحال ليوكده من نفسه نحو قوله هل اودك ونحو قول الشاعر

هل اكرم مثوى الضيف ان جاء طارقا * وابذل معروفى له دون منكرى

قيل له ليس قول القائل لمن يخاطبه هل اودك هل اوثرك وقوله سل عنى هل اصلح

الخير او هل اكتم السر او هل اقنع باليسور مثل قول ابى تمام رضيت وهل ارضى فان صيغة هذا الكلام دالة على انه قد نفى الرضى عن نفسه بادخاله الواو على هل وانما يشبه هذا قول القائل وهل اودك اذا كانت افعالك كذا وهل اصلح للخير عندك اذا كنت تعتقد غير ذلك وهل ينفع فى زيد العتاب كقول الشاعر * و هل يصلح العطار ما افسد الدهر * وقول ذى الرمة وهل يرجع التسليم او يكشف العمى * ثلاث الاثافى والرسوم البلاقع * لان الواو ههنا كانها عطفت جوابا على قول قائل ان فلانا سيصلح ويرجع الى الجميل فقال آخر وهل يصلح العطار ما افسد الدهر وكقول الرمة * امنزلتى مى سلام عليكما * هل الازمن اللاّى مضين رواجع * لما علم ان التسليم غير نافع عاد على نفسه فقال وهل يرجع التسليم وكما قال امرؤ القيس وان شفائى عبرة مهراقة ثم قال وهل عند ربع دارس من معول وكذلك قول ابى تمام رضيت ثم قال وهل ارضى اذا كان مسخطى انما معناه ولست ارضى فكان وجه الكلام ان يقول رضيت وكيف لا ارضى اذا كان مسخطى ما فيه رضى الله تعالى وكذا اراد فاخطا فى اللفظ واحال المعنى عن جهته الى ضده فان قيل ان هل ههنا بمعنى قد وانما اراد الطائى رضيت وقد ارضى كما قال الله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر اى قد اتى قيل هذا انما قاله قوم من اهل التفسير وتبعهم قوم من النحويين واهل اللغة جميعا على خلاف ذلك اذ لم يات فى كلام العرب واشعارها هل قام زيد بمعنى قد قام زيد واذا كان ذلك معدوما فى كلام العرب ولغاتها فكيف يجوز ان يوحذ به او يعول عليه وقد قال ابو اسحق الزجاج وجماعة من اهل العربية فى قوله عز وجل هل اتى على الانسان معناه المريات على سبيل التقرير وهب الامر فى هذا كما ذكروا والخلاف ساقط فيه فان بيت ابى تمام لايحتمل من التاويل ما احتملته الآية لان هل انما شبهها من شبهها بقد اذا وليت لفظ الماضى خاصة وابو تمام انما اوقعها على الفعل المستقبل فسقط عنها ان تضارع قد لان قد حينئذ قد تكون بمعنى ربما وهل ليس فيها ذلك وبعد فان كان الرجل انما اراد بهل معنى قد فلم لم يقل رضيت وقد ارضى فياتى بلفظة قد نفسها اذ انما يريد الخبر ولايات بهل فيلتبس الخبر الذى اياه قصد بالاستفهام فان البيت كان يستقيم بهل ويغنينا عن الاحتجاج الطويل وقد استقصيت القول فى هذا البيت وماذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى قد وهل ولخصته فى جزء مفرد وانما فعلت ذلك لكثرة من عارضنى فيه

وادعى الدعاوى الباطلة فى الاحتجاج لصحته * ومن خطائه قوله فى الكاعلى الدار

دار أجل الهوى عن ان الم بها * فى الركب الا وعينى من مناأتها

وهذا لفظ محال عن وجهه لان الا ههنا تحقيق وايجاب فكيف يجوز ان تكون عينه من مناتها اذا لم يلم بها وانما وجه الكلام دار اجل الهوى عن ان لم بها وليس عينى من مناتها وقد كنت اظن ان ابا تمام على هذا نظم الشعر واز غلط وقع عليه فى نقل البيت حتى رجعت الى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد الصول واضرابه فوجدت البيت فى غير نسخة منبتا على هذا الخطا

(ومن خطائه ايضا فى وصف الربع وساكنه قوله)

قد كنت معهودا باحسن ساكن * ناو واحسن دمنة ورسوم

والربع لايكون رسما اذا دارفه ساكنوه لان الرسم هوالاثر البان بعد سكانه والصواب قول البحترى

ياغانى الاحباب صرت رسوما * وغدا الدهر فيك عنى ملوما

وقال امرؤ القيس وهل عند رسم دارس من معول فقال ذلك لان الرسم يكون دارسا وغير دارس وقال

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان * ورسم عفت آياته منذ ازمان

(ومن خطائه قوله)

طال الجميع لقد عفوت حميدا * وكفى على رزئى بذاك شهيدا

اراد وكفى بانه مضى حميدا شاهدا على انى رزئت وكان وجه الكلام ان يقول وكفى برزئى شاهدا على ان مضى حميدا من جميل امر الفعل قد مضى وليس بشاهد ولامعلوم ورزئه بما ظهر من فعله شاهد معلوم فكان يكون الحاضر شاهدا على الغائب اولى من ان يكون الغائب شاهدا على الحاضر فان قيل انما اراد ان يستشهد على عظيم رزئه عند من لم يعلمه قيل فان لايعلم قدر رزئه التى بعضها ظاهر عليه كيف يعلم ما مضى من جميل امره حال حتى يكون ذلك شاهدا على هذا فان قال هذا انما جاء به على القلب قيل له لمتاخر عنه يرخص له فى القلب لان القلب انما جاء فى كلام العرب على السهو والمتأخر انما يحتذى على امثلتهم ويقتدى بهم وليس ينبغى له ان يتبعهم فيما سهوا فيه فان قال فقد جاء القلب فى القرآن ولايجوز ان يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة لان كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك وهو قوله

ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة وانما العصبة تنوء بالمفاتيح اى تنهض بثقلها وقال عز وجل ثم دنا فتدلى وانما هو تدلى فدنا وقال وانه لحب الخير لشديد اى وان حبه للخير لشديد ولهذا اشباه كثيرة فى القرآن قيل هذا ليس بقلب وانما هو صحيح مستقيم انما اراد الله تعالى اسمه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اى تميلها من ثقلها ذكر ذلك الفرآ وغيره وقالوا انما المعنى لتنىء العصبة وقوله انه لحب الخير لشديد قيل المعنى انه لحب المال لشديد والشدة البخل يقال رجل شديد اى بخيل يريد انه لحب المال لبخيل متشدد يريد انه لحب المال اى لاجل حبه المال يبخل وقالوا فى قوله عز وجل ثم دنا فتدلى انما كان تدليه عند دنوه واقترابه وكما قال ابو النجم قبل دنو الافق من جوزائه والجوزآ اذا دنت من الافق فقد دنا الافق منها وليس هذا من القلب المستكره ومثله فى الشعر كثير قال الشاعر

ومهمه مغبرة ارجآؤه * كان لون ارضه سمآوه

قوله كان لون ارضه اى كان لون سمائه من غبرتها لون ارضه وليس الامر فى ذلك بواجب لان ارضه وسمآءه مضاف فان جعلا الى الهاء وهى كناية عن المهمه ذاهما بشبه بصاحبه كانا غير سوآ وانما تغبر آفاق السمآ من الجدب واحتباس القطر قال الحطيئة * فلما خشيت الهون والعير ممسك * على رغمه ما امسك الحبل حافره * قال وكان الوجه ان يقول ما امسك الحافر حبله وكلاهما متقاربان لان الحبل اذا امسك الحافر فان الحافر ايضا قد مسك الحبل فهذا كله سائغ حسن ولكن القلب القبيح لا يجوز فى الشعر ولا فى القرآن وهو ما جآ فى كلامهم على سبيل الغلط نحو قول خداش ابن زهير

وتركب خيلا لاهوادة بينها * وتعصى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما الضياطرة هى التى تعصى بالرماح وكقول الآخر

كانت فريضة ما تقول كما * كان الزناء فريضة الرجم

وانما الرجم فريضة الزناء وكقول الفرزدق يصف ذئبا

واطلس عسال وما كان صاحبا * رفعت لنارى موهنا فاتانى

وانما اراد رفعها للذئب وانشده المبرد وقال القلب جائز للاختصار اذا لم يدخل الكلام لبس كانه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتاخرين وما علمت احدا قال بالاختصار غيره فلو قال لاصلاح الوزن او للضرورة كما قال غيره كان ذلك اشبه

ويجوز ان يكون الفرزدق فى البيت سهـا او اضطر لاصلاح الوزن وابو تمام وغيره من المتاخرين لايسـوغون مثل هذا لانه القلب المستكره فان قيل انه لم يرد القلب وانما اراد وكفى على رزئى بمحمود امر الطالل شهيدا قيل واى شى استشهد واين شهيده (ومن خطائه قوله فى باب الفراق)

دعا سوقه يا ناصر الشوق دعوة * فلباه طل الدمع يجرى ووابله

اراد ان الشوق دعا ناصرا ينصره فلباه الدمع بمعنى انه يخفف لاعج الشوق ويطفى حرارته وهذا انما هو نصرة للمشتاق على الشوق والدمع انما هو حرب للشوق لانه يذله ويخونه ويكسر منه حده كما قال البحترى

وبكاء الديار مما يرد الشوق ذكرا والحب نضوا ضئيلا

قوله يرد الشوق ذكرا اى يخففه وينقصه حتى يصير ذكرا لا يقلق ولا يزعج كاقلاق الشوق وقوله والحب نضوا اى يصغره ويحقه كما قال جرير

ذلما التقى الجيران القيت العصى * ومات الهوى لما اصيبت مقاتله

فلو كان الدمع ناصرا للشوق لكان يقويه ويزيد فيه الا ترى انك تقول قد ذبحنى الشوق اليك فالشوق عدو المشتاق وحربه والدمع سلم تخفيفه عنه وهو حرب للشوق وليس بهذا اخطا خطأ وقد تبعه البحترى فى هذا الخطا فقال ينعى الديار التى وقف عليها

نصرت لها الشوق المجوج بادمع * تلاحقن فى اعقاب وصل تصرما

(ومن خطائه فى معنى الشوق قوله)

يكفيك سوق قد يطيل ظماءه * فاذا سقاه سقاه سم الاسود

فقوله سوق يطيل ظماءه غلط لان الشوق هو الظما نفسه الا ترى انك تقول انا عطشان الى رؤيتك وظمآن ومشتاق بمعنى واحد فكيف يكون الشوق هو المطيل للظما وكيف يكون هو الساق والمحبوب هو الذى يظمىء ويسقى او البعد او الهجر لا الشوق فكيف يكون الشوق يطيل سوقه (ومن خطائه قوله)

امر التجلد بالتلدد حرقة * امرت جمود دموعه بسجوم

جعل الحرقة آمرة التجلد بالتلدد والحرقة التى يكون معناها التلدد تسقط التجلد البتة وتذهب به فاما ان يجعله متلددا فان هذا من احمق المعانى واولاها بالاستحالة وايضا فاى لفظ استخف من ان يجعل الحرقة آمرة وانما العادة فى مثل هذا ان تكون

باعثة او جالبة او نحو هذا واما الامر فليس هذا موضعه ولو قال بعثت اوجلبت لكان له وجه (ومن خطابه قوله)

من حرقة اطلقتها فرقة اسرت * قلبا ومن عذل في نحره غزل

قوله اطلقتها فرقة اى ثورتها واظهرتها وانما قال اطلقتها من اجل قوله اسرت ليطابق بين الاطلاق والاسر وقوله اسرت ذابا بمعنى الفرقة وهو معنى ردى لان التلب انما ياسره ويملكه شدة الحب لا الفراق فان لم يكن ماسورا قبل الفراق فما كان هناك حب فلم حضر للتوديع وما كان وجد البكاء والاستهلاك والوجل الذى ذكره قبل البيت والقصة القطيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم وما علم ان للفراق لوعة صعبة عند ورده وفجاته تلا يسمى ذلك اسرا ولا علاقة وانما يسمى محنة تمر على اسير الحب وربما شتته كما يقتل الاسير والفراق انما له لوعة ثم تبرد ناره وتخمد وقتا وقتا حتى يدرس الحب فالفراق يفك اسر الحب وينسى الخليل خليله اذا امتد به زمان الا ترى الى قول زهير الكلبى

اذا ما شئت ان تسلى حبيبا * فكثر ذكره عند الليالى

فما انسى خليلك مثل نأى * وما ابلى جديدك كابتذال

وقول الآخر

ينسى الخليلين طول النأى بينهما * ويلتقى طرق شتى فيأتلف

هذا هو المعنى الصحيح المعروف وان كان قد تقدم اباتمام فى هذا المعنى من تبعه وحذا على حذوه والردى لا يؤتم به واعلم سمع معنى سائغا حسنا فافسده لسوء عبارته وكثيرا ما يفعل هذا وكان ينبغى ان يقول من حرقة بعثتها فرقة او اظهرتها ورقة جرحت قلبا حتى يكون اسيرا لها فقيل الفراق فان قال فلم لا يكون اسرت قلبه الحرقة للفراق قيل لم يكون ذلك لان الاسر اذا قبح ان يكون فعلا للفرقة قبح ايضا ان يكون فعلا للحرقة لان الفرقة هى التى جابت الحرقة فشأنها كشأنها (ومن خطابه قوله)

ما للمرء خاض فى بحر الهوى عمرا * الا وللين فيه السهل والجلد

وهذا عندى خطأ ان كان اراد بالعمر مدة الحياة لانه اسم واحد للمدة باسرها فيقول يتبعض فيقال لكل جزء منه عمر كما يقال ما زيد راس الا وفيه شجة اوضربة وماله لسان الا وهو ذرب اوفصيح وكذلك لا يقال ماله عمر الا

وهو قصير وانما يسوغ هذا فيما فوق الواحد مثل ان تقول ما له ضلع الا مكسورة وما له يد الا وفيها اثر ولا رجل الا وفيها حنف وليس قولهم ما له عيش الا منغص ولا حيوة الا كدرة مثل قولك ما له عمر الا قصير ولو قلته لان عيش الانس ليس له مدة حياته باسرها لانك قد تقول كان عيشي بالعراق طيبا وكانت حياتي بمكة لذيذة وكان عيشي بالحجاز اطيب من عيشي باليمن ولا تقول كان عمري لان العمر هو المدة باسرها والعيش والحياة ليسا كذلك لانهما يتبعضان فان قيل فانت تقول ما لزيد راس حسن ولا انف اشم ولا لسان ذرب قيل يصلح هذا من اجل النفي لانك انما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ولا لسان من الالسن الذربة واذا دخلت الا ههنا فقد جعلت المنفي موجبا وحقيقة واذا قلت ليس لزيد راس الا حسن فقد اوجبت له عدة رؤوس وهذا خطا وكذلك سبيل العمر وان كان اراد بالعمر منزله الذي يوطنه ويعمره فذلك هو العمر وما علمت ان احد اسماه عمرا الا ان يكون دير النصارى فانهم يسمونه عمرا وما كان يمنعه ان يقول وطن مكان عمر لان لفظهما ومعناهما واحد وقد يكون للانسان عدة اوطان توطنها وقد ذكر العمر في موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحيوة فقال *

اذا مارق بالغدر جاور عمره * فذاك حري ان تشم حلائله

اراد انه ان جاور عمره اي قاربه بالغدر فقد عرضه للزوال والنفاد وهذا من غوامض الفاظه وما اراد بالبيت الاول الا مدة الحيوة لان ما قبل البيت وما بعده عليه يدل وقال في علي ابن الجهم

هي فرقة من صاحب لك ماجد * فغدا اذابة كل دمع جامد
فافزع الى ذخر الشؤون وغربه * فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد
واذا فقدت اخا فلم تفقد له * دمعا ولا صبرا فلست بفاقد

قوله يذهب بعض جهد الجاهد اي بعض جهد الحزن الجاهد اي الحزن الذي جهدك فهو الجاهد لك ولو كان استقام له بعض جهد المجهود لكان احسن واليق وهذا اغرب واظرف وقد جاء ايضا فاعل بمعنى مفعول قالوا عيشة راضية بمعنى مرضية ولج باصر وانما هو مبصر فيه واشباه هذا كثيرة معروفة ولكن ليس في كل حال يقال وانما ينبغي ان ينتهى في اللغة الى حيث انتهوا ولا يتعدى الى غيره فان اللغة لا يقاس عليها وقوله فلم تفقد له دمعا ولا صبرا من الخشن الجيد لان الصابر لا يكون

باكيا والباكى لا يكون صابرا فقد نسق بلفظة على لفظة وهما نعتان متضادان ولايجوز ان يكونا مجتمعين ومعناه انك اذا فقدت اخا فادام البكا عليك فلست بفاقد وده ولا اخوته وهو محصل لك غيرمفقود وان كان غائبا عنك والى هذا ذهب الا انه افسده بذكر الصبر مع البكاء وذلك خطا ظاهر ولو كان قال فلم تفقد له دمعا ولا جزعا او دمعا ولا شوقا ولاقلقا لكان المعنى مستقيما وظننته قال غير هذا وان غلطا وقع فى كتابة البيت عند النقل حتى رجعت الى اصل ابى سعيد السكرى وغيره من الاصول القديمة فلم اجد الا دمعا ولا صبرا وذلك غفلة منه عجيبة وقدلاح لى معنى اظنه والله اعلم اليه قصد وهو ان يكون اراد اذا فقدت اخا فلم تفقد له دمعا اى يواصل البكا عليك فلست بفاقده على ما ذكره اى فقد حصل لك وصار ذخرا من ذخائرك وان غاب عنك وغبت عنه وان لم تفقد له صبرا اى وان صبر عنك فلست بفاقد لانه ان صبر وسلاك فليس ذلك باخ يعول عليه فلست ايضا بفاقده لانك لا تعتد به موجودا ولا مفقودا ولكن ذهب على ابى تمام ان هذا غير جائز لانه وصف رجلا واحدا بالوصفين جميعا وهما متضادان ولوكان جعلهما وصفين لرجلين فقال

واذا فقدت اخا لفقدك باكيا ← اوصابرا جلدا فلست بفاقد

اى لست بفاقد هذا لانه محصل لك اواست بفقد هذا لانه غير ناس مودتك لكان المعنى سائغا حسنا واضحا اولوجعله شخصا واحدا وجعل له احد الوصفين فقال

واذا فقدت اخا فاسبل دمعه ← اوظل مصطبرا فلست بفقد

لكان ايضا سائغا على هذا المذهب اوكان استوى له فى ذلك اللفظ بعينه ان يقول فلم تفقد له دمعا ولاصبرا حتى لا يجعل له الا احدهما لساغ ذلك لكنه نسق بالصبر على الدمع فجعلهما جميعا له ففسد المعنى فهذا واشباهه الذى قاله الشيوخ فيه انه يريد البديع فيخرج الى المحال وقال ابو تمام

لما استحر الوداع المحض وانصرمت * اواخر السير الا كاظما وجما

رايت احسن مرئى واقبحه * مستجمعين لى التوديع والعنما

العنم شجر له اغصان لطيفة غضة كانها بنان جارية الواحدة عنمة كانه استحسن اصبعها واستقبح اشارتها اليه بالوداع وهذا خطأ فى المعنى اتراه ما سمع قول جرير *

اتذكر اذ تودعنا سليمى * بفرع بشامة سقى البشام * فدعا للبشام بالسقيا لانها ودعته

به فسر بتوديعها وابو تمام استحسن اصبعها و استقبح اشارتها ولعمري ان منظر الفراق منظر قبيح ولكن اشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحه الا اجهل الناس بالحب واقلهم معرفة بالغزل واغلظهم طبعا وابعدهم فهما وقال *

فلويت بالمعروف اعناق الورى * وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

حطم ظهر الوعد بالانجاز استعارة قبيحة جدا والمعنى ايضا في غاية الرداءة لان انجاز الموعد هو تصحيحه وتحقيقه وبذلك جرت العادة ان يقال قد صح وعد فلان وتحقق ما قال وذلك اذا انجز فجعل ابو تمام في موضع صحة الوعد حطم ظهره وهذا انما يكون اذا اخلف الوعد وكذب الا تراهم يقولون قد مرض فلان وعده وعلله ووعد وعدا مريضا واذا اخلف وعده فقد اماته فالاخلاف هو الذي يحطم ظهر الموعد لا الانجاز ولاخفاء بفساد ما ذهب اليه وكان ينبغي ان يقول وحطمت بالانجاز ظهر المال لا الموعد وحينئذ فالموعد كان يصح ويسلم ويتلف المال وقال *

اذا وعد انهلت يداه فاهدتا * لك النجح محمولا على كاهل الوعد

وكاهل الوعد اذا حمل النجح من سبيله ان يكون صحيحا مسلما لا ان يكون محطوما كما قال في البيت الاول فهذه استعارة صحيحة على هذا البيت وان كان كاهل الوعد قبيحا ومثل هذا البيت الاول في الفساد او قريب منه قوله

اذا ما رحى دارت ادرت سماحة * رحى كل انجاز على كل موعد

وهذا اتلاف الموعد وابطاله لانه جعله مطحونا بالرحى وانما ذهب الى ان الانجاز اذا وقع بطل الوعد وليس الامر كذلك لان الموعد ليس يضد للانجاز فاذا صح هذا بطل ذلك بل الوعد الصادق طرق من الانجاز وسبب من اسبابه فاذا وقع الانجاز فهو تمام الوعد وتصحيح له وتحقيق وتصديق فهو في هذه الاستعارة غالط والمعنى الصحيح قوله

ابلهم ريقا وكفا لسائل * وانضرهم وعدا اذا صوح الوعد

فتصويح الوعد هو ان يخلفه الواعد فيبطل ولا يصح لانه من صوح النبت اذا جف ومثله في الصحة قوله * تزكو مواعده اذا وعد امرء * انسالك احلام الكرى الاضغاثا * فهذا هو المعنى الصحيح ان يكون الوعد يزكو لا ان يبطل ويذهب ولله در ابي اسحاق ابراهيم بن هرمة اذ يقول * يسبق بالفعل ظن سائله *

ويقتل الريث عنده العجل * فهذه الاستعارة الصحيحة أن يقتل العجل الابطأ لا ان يقتل الانجاز الوعد فاما قوله تؤم ابا الحسين وكان قدما * فتى اعمار موعده قصار * وقول البحترى * وجعلت فعلك تلوقولك ناصرا * عمر العدو به وعمر الموعد * فان عمر الموعد مدة وقته فاذا انجز صار مالا فنفاد وقته ليس بمبطل له بل ذلك نقله من حال الى حال اخرى الا ترى الى البحترى كيف كنف عن هذا المعنى وجاء بالامر من فصه فقال * يوليك صدر اليوم ما فيه الغنى * بمواهب قد كن امس مواعدا * فبطلان الموعد هوبطلان الشئ الذى الموعد وافع به وصحته هوصحة ذلك الشئ ثم اتبع البحترى هذا البيت بان قال

سيم السحائب ما بدان بوارقا * فى عارض الا انثنين رواعدا

فجعل البوارق منالا للمواعيد وجعل الرواعد هى البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة مثالا للغيث الذى هوالعطايا فالرواعد ليست بمبطله للبوارق بل هى هى لان تلك نور يحدثه ازدحام السحاب والرعد صوت ذلك الازدحام فالبرق يرى اولا والرعد يسمع آخرا وهوهو وذلك ان العين اسبق الى الابصارمن الاذن للاستماع لان العين ترى الشىء فى موضعه والاذن لاتسمع الصوت الا اذاوصل اليها فشبهها بالمواعد التى تجر المواهب وهذا احسن ما يكون من التمثيل واصحه وانما اقام الرواعد مقام المواهب لانه قد يكون برق ولا مطرفيه ولايكاد يكون رعد الا ومعه مطرثم ان التشبيه صح بان صار الرعد بعد البرق وما احسن ما قال خلف بن خليفة الاوطع مواعدهم فعل اذا ماتكلموا * فتلك التى ان سميت وجب الفعل * يعنى فوى نعم فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه وقد مثل البحترى ايضا الموعد وكيف تحول عطاء تمثيلا آخر حسنا فقال

وسكرت منك موهبا منكورة * لوسرن فى فلك لكن نجوما
ومواعدا لوان سيئا طاهرا * تفضى الله العين كن غيوما

وذلك لان الغيم يصير مطرا كما ان الموعد يصير عطاء وابو تمام فيما يذهب اليه غالط لانه وضع الاستعارات فى غير موضعها * (ومن خطائه قوله)

فلو ذهبت سنات الدهر عنه * والقى عن مناكبه الدبار
لعدل قسمة الارزاق فينا * ولكن دهرنا هذا حمار

قوله والقى عن مناكبه الدبار لفظ ردى وليس من المعنى الذى قصده فى شى وصدر البيت لا ثق بالمعنى فلو كان اتبعه بما يكون منله فى معناه بان يقول فلو ذهبت

سنات الدهر عنه لاستيقظ من رقدته وانتبه من نومته وانكشف الغطاء عن وجهه لكان المعنى معنى مستقيما لان من كان فى سنة او نوم اومغطى على وجهه او عينيه فانه لايبصر الرشد ولا يكاد يهتدى لصواب وانما هـذه كلها استعارات والمراد بها هداية القلب وابصاره وفهمه وقد جرت العادة باستعارتها فى هذا المعنى فاما دثار المناكب فليس من هذا الباب فى شىء اذ قد يبصر الانسان رشده ويهتدى لصواب امره وعلى مناكبه دثار وعلى ظهره ايضا حمل ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطاء على العين لانه انما يراد نوم القلب والتغطية عليه لان الانسان انما يقال له قد عمى قلبك وقد عميت عن الصواب عينك وقد غطى على فهمك ولا يقال قدغطيت بالدثار عن الصواب مناكبك ولا ظهرك وتغطية الدثار ايضا انما تستعمل لمنع الهواء والبرد لا لمنع الفهم والرشد ومن خصائصه قوله

وارى الامور المشكلات تفرجت * بمعضلتها عن رأى اول متوقد
عن مثل نصل السيف لا انه * مذ سل اول سله لم يغمد
فبسطت ازهرها بوجه ازهر * وقبضت اربدها بوجه اربد

فقال الامور المشكلات وجعل لها ظلمات فكيف يقول فبسطت ازهرها والزهر هى النيرات والمشكلات لا يكون شىء منها نيرا وكانه يريد ان الامور المشكلة منها جيد قد اشكل الطريق اليه ومنها ردى قد جهلت ايضاحه فهى كلها مظلمة فيفرق ظلماتها برايه ويكشف عن الجيد منها ويبسطه اى يستعمله ويكشف عن رديها ويقبضه اى يكفه ويطرحه ولكن ما كان ينبغى له ان يقول بوجه ازهر وبوجه اربد لانه لاصنع ههنا لوجه ولا تاثير لان الصنع انما هو للراى والعقل فاذا راى ذو الراى امرا استبان عنده لاسيما المعضل واتضحت لعاقبته اراى ان يفرق امرا مفتوحا اذ كان الصواب موضحا ذلك عنده فالراى على الاحوال كلها ازهر مسفر والوجه على الاحوال كلها ابيض وليس يريد ابيض فى لونه والعاجز اذا ورد عليه الامر يبهظه تبينت الكآبة فى وجهه وذلك من مصون الشيبى حيث يقول

ترى ساكن الاوصال باسط وجهه * يريك بتحريها والامور تغير

فقال ساكن الاوصال بسط وجهه فدل على انه اكره بالامور التى ترد عليه وقول ابى تمام بوجه اريد للمعنى له لانه من صفات المعضل او المكتئب من امر ورد عليه وهو عندى فى ذلك عالم وان كان مسيء ومن حسناته قوله

كالارحبي المذكى سيره المرطى * والوخد والملع والتقريب والخبب

فالارحبي من الابل منسوب الى ارحب حي من همدان تنسب اليهم النجائب والمذكى الذى قد انتهى فى سنه وقوته والمرطى من عدو الخيل فوق التقريب ودون الاهذاب والوخد الاهتزاز فى السير مثل وخد النعام والملع من سير الابل السريع والتقريب من عدو الخيل معروف والخبب دونه وليس التقريب من عدو الابل وهو فى هذا الوصف مخطئ وقد يكون التقريب لاجناس من الحيوان ولا يكون للابل وانا ما راينا بعيرا قط يقرب تقريب الفرس والمرطى ايضا من عدو الخيل لم اره فى اوصاف الابل ولا سيرها * ومن خطائه قوله

ومشهد بين حكم الذل منقطع * صاليه او بحبال الموت متصل

جليت والموت مبد حر صفحته * وقد تفرعن فى افعاله الاجل

وقوله بين حكم الذل لوكان حكم الذل اشياء متفرقة لصحت فيها بين غير ان حكم الذل والذل بمنزلة واحدة وكذلك حكم العز والعز فكما لايقال بين العز فكذلك لايقال بين حكم العز حتى يقال وكذا لان بين انما هى وسط بين شيئين فان قال ان حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومن يصلاها فكانه ذهب بقوله بين الى معنى وسط اى ومشهد وسط حكم الذل قيل وسط لايحل محل بين وبين لايحل محل وسط لانك تقول البر وسط الدار ولا تقول البر بين الدار وتقول المال بيننا نصفين ولاتقول المال وسطنا والمعنى الذى بنى ابوتمام البيت عليه سياقة لفظه ان يقول ومشهد بين حكم الذل وحكم العز اى ومشهد بين الذل والعز محجم من يصلاه وهو الذليل او مقدم وهو العزيز جليته وكشفته يعنى الممدوح فحذف احد القسمين الذى لا يصلح بين الا به مع القسم الآخر وجعل قوله منقطع فى موضع محجم ومتصل فى موضع مقدم وليس هذا من مواضع متصل ولامنقطع وقد اغراه الله بوضع الالفاظ فى غير مواضعها من اجل الطباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به وقوله وقد تفرعن فى افعاله الاجل معنى فى غاية الركاكة والسخافة وهو من الفاظ العامة ومازال الناس يعيبونه به ويقولون اشتق للاجل الذى هو مطل على كل النفوس فعلا من اسم فرعون وقد اتى الاجل على نفس فرعون وعلى نفس كل فرعون كان فى الدنيا * ومن خطائه قوله

سعى فاستنزل الشرف اقتسارا * ولولا السعى لم تكن المساعى

قوله سعى فاستنزل الشرف اقتسارا ليس بالمعنى الجيد بل هو عندى هجيء مصرح

To: www.al-mostafa.com

لانه اذا استنزل الشرف فقد صار غير شريف وذلك انك اذا ذممت رجلا شريفا شريف الاباء كان ابلغ ما تذمه به ان تقول قد حططت شرفك ووضعت من شرفك وقد وكده بقوله اقتسارا وقوله ولولا السعي لم تكن المساعي فبئس السعي والله سعي لان الشرف لا يحط الا بالأم ما يكون من الافعال وكانه انما اراد سعي فحوى الشرف نفسه فافسد المعنى بذكر استنزاله اياه كانه لو لم يستنزله ما كان يكون حاويا له فهلا قال ترقى الى الشرف الاعلى فحواه اوبلغ النجم او علا على الشمس كما قال الآخر *

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بسؤددهم اومجدهم قعدوا

ومن خطائه قوله

يقظ وهو اكثر الناس اغضاء * على نايل له مسروق

قوله على نايل له مسروق خطا لان نايله هو ما يناله كيف يكون مسروقا منه وهل يكون الهجو الا هكذا ان يجعل نائله ماخوذا منه على طريق السرقة وانما اعتمد المطابقة لما وصفه بالتيقظ جعله ممن يسرق منه اذ كان من شان المتيقظ ان لايغفل حتى يستتم عليه السرق وقد كان يصح هذا المعنى لو قال على مال له مسروق حتى يكون يعطى ما له احتيارا بجوده ويغضى اذا سرق منه لكرمه ومن خطائه قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى * من لذة وقريحة لم تحمد

ويروى من لذة اومن فرجة اى من لذة وافتراج اى ابتداع واستخراج وهذا عندى غلط لان هذا الوصف الذى وصفه داعية ان يتناهى الحامد له فى الحمد ويجتهد فى الثنا بان يدع حمده وانما ذهب الى ان الانسان انما يحمد على الشئ الذى يتكلفه ويتجشمه ويتحمل المشقة فيه لا على الشئ الذى له بواعث شهوة من نفسه وشدة صبابة اليه ومحبة لفعله ومن كان غرامه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب ان يحمد ويمدح فاما قول البحترى

ولقد ابدت الحمد حتى لو بنت * كفاك مجدا ثانيا لم تحمد

فمذهب صحيح يريد انك قد افنيت الاوصاف والمحامد فان جئت بنوع من المكارم تبنى به مجدا آخر لم يقدر من يحمدك ويثنى عليك على اكثر مما تقدم ومن خطائه قوله

العرب فانها لا تستعملها على هذا المعنى وانما تقول قد صلفت المراة عند زوجها اذا لم تحظ عنده وصلف الرجل كذلك اذا كانت زوجته تكرهه وقال جرير

انى اواصل من اردت وصاله * بحبال لاصلف ولا كوام

والصلف الذى لاخير عنده ومثل يضرب رب صلف تحت الراعدة يعنون الرعد بغير مطر فهذا معنى الصلف فى كلامهم وعلى هذا قد ذم ابو تمام الفرس من حيث اراد ان يمدحه والتلهوف هو لطف المدارة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ومنه قول الاغلب العجلى يصف مداراة رجل له امراة حتى نال منها

فلم يزل بالخلف النجي * لها وبالتلهوف الخفى

ان قدخاونا بفضاء فى * وغاب كل نفس محشى

وقد ذكر ابو عبيدة القاسم فى الغريب المصنف فى اول نوادر الاسماء التلهوف وقال وهو مثل التملق وما ارى ابا تمام فى وضع هاتين اللفظتين الاغالطا

وقال ابو تمام

عطفوا الخدور على البدور ووكلوا * ظلم الستور بنور حور خرد

وثنوا على وشى الخدود صيانة * وشى البرود بمسجف وممهد

البيت الاول حسن حلو واخذ قوله وثنوا على وشى الخدود صيانة وشى البرود من قول الكميت

و ارخين البرود على خدود * يزين الفراعم بالاسيل

وقوله مسجف وممهد فالمسجف يريد ستر باب الحجله وكل باب مشقوق فكل ستر منهما مسجف وكذلك سجف الخباء والمسجف المرخى والتسجيف ارخاء السجفين وقوله بمسجف اى من مسجف وممهد فجعل الباء فى موضع من كما قال عنترة

شربت بماء الدحرضين فاصبحت * زوراء تنفر عن حياض الديلم

اى من ماء الدحرضين والممهد الوطاء الذى يوطا تحت المراة فكيف يكون ذلك مشركا على السجف الذى ذكر انهم ثنوه على وشى الخدود والممهد ليس هذه حاله فيعطفه عليه فان قيل كيف لا يكون محمولا على قول الشاعر

ورايت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

والرمح لا يتقلد وقول الآخر وزججن الحواجب والعيونا والعيون لا تزجج وانما اراد

ذلك متقلدا سيفا ومحاملا رمحا واراد هـذا وزجين الحواجب وكحلن العيونا قيل متقلد السيف هو حامله ايضا فحسن ان يعطف على السيف لانهما جميعا محمولان وكذلك زججن وكحلن هما جميعا زينة فحسن ان يعطف احدهما على الآخر والمهد لا يشرك الستر فى شئ من تغطية الوجه ولاصيانته ولا بنيت الفاظ البيت الا على ستر الخدود بالستور ولا يتعلق المهد بالمعنى باضمار لفظ ولا غيره ومن خطائه قوله

بقاعية تجرى علينا كؤوسها * فتبدى الذى تخفى وتخفى الذى تبدى

ذهب فى هذا الى ان الخمر تخفى الذى تبديه فى حال الصحو من الحلم والوقار والكف عن الهزل واللعب وتبدى الذى تخفى اى الذى نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله لانه فى الطبيعة والغريزة والذى كنا نظهره انما هو تصنع وتكلف ويدخل فى هذا ما يبوح به المحب من الحب الذى كان يكتمه فى صحوه ويظهر ضده او ما يبوح به من بغض زيد وكان يظهر فى صحوه مودته ومنافعه وكذلك ما يظهر السكر من بخل البخيل ومنع ما كان يتحمله ببذله فى الصحو او ما يظهر من السماحة التى كان لا يسمح بمثلها فى صحوه خوف العاقبة ونحو هـذا وما سقط من قول الحكمـاء ان الشراب يثير كل ما وجد اى يظهر كل ما فى النفس من خير وشر وحسن وقبيح فكل شئ يظهره الانسان وليس فى اعتقاده ولا نيته فان الذى يضمره ويكتمه فى نفسه فهو ضده فاذا اظهر السكر اعتقـاد المعتقد الـذى هو الصحيح فان ضده مما كـان يتجمل باظهاره يبطل ويتلاشى لان الشراب يخفيه ويطويه فى الضمير حتى يكون مكتوما كما كانت الحقيقة مكتومة هـذا محال لان القلب هو محل المعتقدات فلا يجوز ان يجتمع فيهـا الشئ وضده والاعتقادات لا تكون باللسان لان اللسـان يكذب والقلب لا يتضمن الا الحقيقة وقول ابى تمـام فتبدى الذى تخفى قول صحيح وقوله وتخـفى الذى تبدى اللفظ فاسد لان تخفى معناه تكتم وتستر والذى قد ابطلته وازلته لا يجوز ان يعبر عنه بانك اخفيته ولا كتمته فان قيل ولم لا يكون هذا توسعا ومجازا قيل المجاز فى مثل هذا لا يكون لان الشئ الذى تكتمه وتطويه انمـا انت خازن له وحافـظ فهو ضد للشئ الـذى تزيله وتبطله والاضداد لا يستعمل احدها فى موضع الآخر الا على سبيل المجاز

ومن خطـائه قوله فى وصف فرس

وشعلة نبذ كأن قذالها * فى صهوتيه بدء شيب المفرق

قوله فليلهـا يريد ما تفرق منهـا فى صهوتيه والصهوة موضع اللبد وهو مقعد الفـارس من الفرس وذلك الموضع ابدا يمحت شعره لغمز السرج اياه فينبت ابيض لان الجلد ههنا يرق وانت تراه فى الخيل كلهـا على اختلاف شياتها وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل فهذا خطأ من هذا الوجه وهو خطأ من وجه آخر وهوان جعـله شعلة والشعلة لا تكون الا فى النـاصية او الذنب وهو ان يبيض عرضها وناحية منها فيقـال فرس اشعل وشعلاء وذلك عيب من عيوب الخيل فان كان ظهر الفرس ابيض خلقة فهو ارحل ولا يقال اشعل وقد اخذ البحترى قوله بده منيب الفرق فجـاء به حسنا جدا ثم سلم من العيب فقال

وبشعلة كالشيب مر بمفرقى * غزل لها عن شيبه بغرامه

فقال بشعلة ولم ينص على موضعهـا ومعلوم انه اراد بياضا فى الناصية وقال مر بمفرقى غزل فاوضح انه ذاك المـوضع اراد وقال لهـا عن شيبه بغرامه فاتى بشئ يفوق كل حسن الا ان البياض فى اناصية من عيوب الخيل وكذلك البياض فى الذنب ليس بين الناس فى ذلك اختلاف ويقال لبياض الناصية ايضـا السعف وايضا فان البحترى وصف فرسا ادهم فقال

جذ لان تلطمه جوانب غرة * جاءت مجئ البدر عند تمـامه

فاى حسن يكون لبياض ناصية على بيـاض غرة ومن قبيح وصف شيـات الخيل قول ابى تمـام فى هذا الفرس ايضـا

مسود شطر مثل ما اسود الدجى * مبيض شطر كا بيضـاض المهرق

شـطر الشى جانبه وناحيته قال الله عز وجل فول وجهك شـطر المسجد الحرام اى ناحيته و قد يراد بالشطر نصف الشئ يقـال قد شـاطرتك ما لى اى ناصفتك فهذا هو الاكثر الاعم فيما يستعملون وذلك من اقبح شيات الابلق على ظاهر هـذا المعنى ولم يرده ابو تمام وانما اراد باشطر ههنا البعض او الجزء اى مسود جزء مبيض جزء فجـاء بالشطر لانها لفظة احسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع والجيد النادر قول البحترى

او ابلق يلتى انعوت اذا بدا * من كل لون معجب بنموذج

وقد جعله ابو تمام فى اول الابيات اشعل بقوله بشعلة ثم جعله هنا ابلق فهذا الفرس هو الاشعل الابلق على مذهبه فى هذا التشبيه ولاينكر مثل هذا من ابتداعاته

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى قد ذكرت فى الجزء الثانى الموازنة بين شعر ابى تمام حبيب بن اوس الطائى وشعر ابى عبادة الوليد بن عبيد البحترى وخطا ابى تمام فى الالفاظ والمعانى وبينت اخر الجزء لالحق به ما يمر من ذلك فى شعره واستدركه من بعد فى قصائده وانا اذكر فى هذا الجزء الرذل من الفاظه والساقط من معانيه والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه على ما رايت فى اشعار المتاخرين يتذاكرونه وينعونه عليه ويعيبونه وعلى انى وجدت لبعض ذلك نظاير فى اشعار المتقدمين فعلمت انه بذلك اغتر وعليه فى العذر اعتمد طلبا منه للاغراق والابداع وميلا الى وحشى المعانى والالفاظ وانما كان يندر من هذه الانواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن البيت اوالبيتان يتجاوز له عن ذلك لان الاعرابى لايقول الا على قريحته ولايعتصم الا بخاطره ولايستقى الا من قلبه واما المتاخر الذى يطبع على قوالب ويحذو على امثلة ويتعلم الشعر تعلما ويأخذه تلقينا فمن شانه ان يجتنب المذموم ولايتبع من تقدمه الا فيما استحسن منهم واستجيد لهم واختير من كلامهم او فى المتوسط السالم اذا لم يقدر على الجيد البارع ولايوقع الاحتطاب والاستكثار مما جاء عنهم نادرا ومن معانيهم شاذا ويجعله حجة له وعذرا فان الشاعر قد يعاب اشد العيب اذا قصد بالصنعة سائر شعره وبالابداع جميع فنونه فان مجاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرجة سهل التاليف الى سوء التكلف وشدة التعمل كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره لان لكل شئ حدا اذا تجاوزه المتجاوز سمى مفرطا وما وقع الافراط فى شى الا شانه واعاد الى الفساد صحته والى القبح حسنه وبهاه فكيف اذا تتبع الشاعر مالاطايل فيه من لفظة شنيعة لمتقدم اومعنى وحشى فجعله اماما واستكثر من اشباهه ووشح شعره بنظائره ان هذا لعين الخطا وغاية فى سوء الاختيار

﴿ باب مافى شعر ابى تمام من قبيح الاستعارات ﴾

من مرذول الفاظه وقبيح استعاراته قوله

يادهر قوم من اخدعيك فقد * اضججت هذا الانام من خرقك

وقال

سنا شكر فرجة اللبب الرخي * ولين اخادع الدهر الابي

وقال

فضربت النساء في اخدعيه * ضربة غادرته عودا ركوبا

وقال

تروح علينا كل يوم وتغتدي * خطوب كأن الدهر منهن يصرع

وقال

الا لايمد الدهر كفا لسئ * الى مجتدى نصر فتقطع من الزند

وقال

والدهر الأم من شرقت بلؤمه * الا اذا اشرقته بكريم

وقال

تحملت مالوحل الدهر شطره * لفكر دهرا اى عبأيه انقل

وقوله يصف قصيدة

يحل يفاع المجد حتى كانه * على كل راس من يد المجد مغفر

لها بين ابواب الملوك مزامر * من الذكر لم تنفخ ولاهي تزمر

وقوله

به اسلم المعروف بالشام بعدما * ثوى منذ اودى خالد وهو مرقد

اما وابي احداثه ان حادثا * حدى بي عنك العيس للحادث الوغد

وقوله

جذبت نداه غدوة السبت جذبة * فخر صريعا بين ايدى القصائد

وقوله

لولم تفت مسن المجد مذ زمن * بالجود والباس كان الجود قد خرفا

وقوله

لدى ملك من ايكة الجود لم يزل * على كبد المعروف من فعله برد

وقوله

في علة اوقدت على كبد السنا * ثل نارا اخنت على كبدة

وقوله

حتى اذا اسود الزمان توضحوا * فيه فغودر وهو فيهم ابلق

وقوله

ايشار شزر القوى راى جسد المعروف اولى بالطب من جسده

وقوله

وما ذكر الدهر العبوس بانه * له ابن كيوم السبت الا تبسما

وقوله

وكم احرزت منكم على قبح قدها * صروف النوى من مرهف حسن القد

وقوله يصف الارض

اذا الغيث غادى نسجها خلت انه * مضت حقبة حرس له وهو حايك

وقوله

ولااجتذبت فرش من الارض تحتكم * هى المثل فى لين بها والا رايك

وقوله

اذا للبستم عار دهر كانما * ليالية من بين الليالى عوارك

وقوله يرثى غالبا

انزلته الايام عن ظهرها من * بعد اثبات رجله فى اركاب

وقوله

كانى حين جرّدت الرجآء له * غضا صببت لهما ما على الزمن

وقوله يصف فرسا

فكان فارسه يصرف اذ بدا * فى متنه ابنا للصباح الابلق

واشباه هذا ما اذا تتبعته فى شعره فجل كما ترى مع غثاثة هذه الالفاظ للدهر اخدعا ويدا تقطع من الزند وكانه يصرع ويحل ويشرق بالكرام ويتبسم وان الايام تنزله والزمان ابلق وجعل للمدح يدا ولقصائده مزامر الا انها لاتنفخ ولاتزمر وجعل المعروف مسلما تارة ومرتدا اخرى والحادث وغدا وجذب ندى الممدوح بزعمه جذبة حتى خر صريعا بين يدى قصائده وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف وان له جسدا وكبدا وجعل لصروف النوى قدا وللامن فرشا وطن ان الغيث كان دهرا حايكا وجعل للايام ظهرا يركب والليالى كانها عوارك والزمان كانه صب عليه ماء والفرس كانه ابن الزمان الابلق وهذه استعارات فى غاية القباحة والهجانه والبعد من الصواب وانما استعارت العرب المعنى لما ليس له اذ كان يقاربه

او يدانيه اويشبهه فى بعض احواله اوكان سببا من اسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشى الذى استعيرت له وملايمة لمعناه نحو قول امرء القيس

فقلت لهـا لما تمطى بجوزه * واردف اعجـازا وناء بكلكل

وقد عاب امرء القيس بهـذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعـانى ولا المجـازات وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة وهو انما قصد وصف اجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثـاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف اعجـازه واواخره شيا فشيا وهذا عندى منتظم لجميـع نعوت الليل الطويل على هيئته وذلك اشـد ما يكون على من يراعيه ويترقب تصرمه فلمـا جعل له وسطا يمتد واعجـازا رادفة للوسط وصدرا متثاقلا فى نهوضه حسن ان يستعير للوسط اسم الصلب وجعله متمطيا من اجل امتـداده لان تمطى وتمدد بمنزلة واحدة وصلح ان يسـتعير للصدر اسم الكلكل من اجل نهوضه وهذه اقرب الاستعارات من الحقيقة واشد ملايمة لمعناهـا لما استعيرت له وكذلك قول زهير* وعرى افراس الصبا ورواحله * لما كان من شان ذى الصبا ان يوصف ابدا بان يقـال ركب هواه وجرى فى ميدانه وجمح فى عنانه ونحو هذا حسن ان يستعار للصبا اسم الافراس وان يجعل النزوع عنـه ان تعرى افراسه ورواحله وكانت هذه الاسـتعارة ايضا من اليق شئ بمـا استعيرت له ونحو ذلك قول طفيل الغنوى

وجعلت كورى فوق ناجيـة * يقتات شحم سـنامهـا الرحل

لمـا كان شحم السـنام من الاشـياء التى تقتات وكان الرحل ابدا يتحوفه وينتقص منه ويذيبه كان جعله اياه قوتا للرحل من احسن الاستعارات واليقها بالمعنى وكذلك قول عمرو بن كلثوم

الا ابلغ النعمان عنى رسـالة * فجدك حـولى ولؤمك قارح

لمـا جعل مجده حديثـا غير قديم حسن ان يقول حولى لان العرب اذا نسبت الشئ الى الصغر وقصر المدة قالوا حولى لان اقل عدد الاحوال وهى السنون حول واحد ولهذا قال حسـان

لويدب الحولى من ولد الذر عليهـا لاندبتهـا الكلوم

لم يرد بالحولى من ولد الذر ما اتى عليـه الحول ولكنه اراد بالحولى اصغر مايكون من الذر وانمـا اخذ ذلك من قول امرء القيس

من القاصرات الطرف لودب محول * من الذر فوق الاتب منها لاثرا

ومما يدل على صحة هذا المعنى وان الحولى انما يراد به الصغر دون معنى الحول قول الراجز واستبقت تخذب حولى الحصى فاراد بحولى الحصى اصغره وقول الاخر انشده ثعلب

تلقط حولى الحصى فى منازل * من الحى اضحت باللحيين بلقعا

ولما جعل لؤمه قديما حسن ان يقول قادح ونحو ذلك قول ابى ذؤيب

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

لما كانت المنية اذا انزلت بالانسان وخالطته صح ان يقال نشبت فيه وصح ان يستعار لها اسم الاظفار لان النشوب قد يكون بالظفر وعلى هذا جاءت الاستعارات فى كتاب الله تعالى اسمه نحو قوله عز وجل واشتعل الراس شيبا لما كان الشيب ياخذ فى الراس ويسعى فيه شيئا فشيئا حتى يحيله الى غير حالة الاولى كالنار التى تشتعل فى الجسم من الاجسام فتحيله الى النقصان والاحتراق وكذلك قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار لما كان انسلاخ الشئ من الشى وهو ان يتبرأ منه ويتزيل منه حالا فحالا كالجلد من اللحم وماشاكلها جعل انفصال النهار عن الليل شيا فشيا حتى يتكامل الظلام انسلاخا وكذلك قوله عز وجل فصب عليهم ربك سوط عذاب لما كان الضرب بالسوط من العذاب استعير للعذاب سوط فهذا مجرى الاستعارات فى كلام العرب واما قول ابى تمام ولين اخادع الزمن الابى فاى حاجة الى الاخادع حتى يستعيرها للزمن وكان يمكنه ان يقول ولين معاطف الدهر الابى اولين جوانب الدهر اوخلايق الدهر كما تقول فلان سهل الخلايق لين الجوانب وموطأ الاكناف ولان الدهر قد يكون سهلا وحزنا ولينا وصعبا على قدر تصرف الاحوال فيه لان هذه الفاظ كانت اولى بالاستعمال فى هذا الموضع وكانت تنوب عن المعنى الذى قصده ويتخلص من فج الاخادع فان فى الكلام متسعا الا ترى الى قوله مااحسنه وما اوضحه

ليالى نحن فى وسنات عيش * كان الدهر عنا فى وثاق

وايام لنا وله لدان * غنينا فى حواشيها الرقاق

فاستعار للايام الحواشى وقوله

ايامنا مصقولة اطرافها * بك والليالى كلها اسحار

وابلغ من هذا وابعد من التكلف واشبه بكلام العرب قوله

سكن الزمان فلا يد مذمومة * للحادثات ولاسوام تذعر

فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح والجيد بالردى وانما قرب الاخادع لما جاء به مستعارا للدهر ولوجاء به فى غير هذا الموضع اواتى به حقيقة ووضعه فى موضعه ماقبح نحو قول البحترى * واعتقت من ذل المطامع اخدعى * ونحو قوله * ولا مالت باخدعك الضباع * وما يزيد على كل جيدقول الفرزدق

وكنا اذا الجبار صعرخده * ضربناه حتى تستقيم الاخادع

فاماقوله * فضربت النشاء فى اخدعيه * فان ذكر الاخدعين على قبحهما اسوغ لانه قال ضربة غادرته عودا ركوبا وذلك ان العود المسن من الابل يضرب على صفحتى عنقه فيذل فقربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلا ومن القبيح فى هذا قوله

يادهر قوم من اخدعيك فقد * اضججت هذا الانام من خرقك

اى ضرورة دعته الى الاخدعين وكان يمكنه ان يقول من اعوجاجك اوقوم من تعوج صنعك اى يا دهر احسن بنا الصنيع لان الاخرق هوالذى لا يحسن العمل وضده الصنع وكذلك قوله

تحملت ما لوحمل الدهر سطره * لفكر دهرا اى عبأيه انقل

فجعل للدهر عقلا وجعله مفكرا فى اى العبأين اثقل وما معنى ابعد من الصواب من هذه الاستعارة وكان الاشبه والاليق بهذا المعنى لما قال تحملت ما لوحمل الدهر سطره ان يقول لتضعضع او لانهد اولامن الناس صروفه ونوازله ونحو هذا مما يعتمده اهل المعانى فى البلاغة والافراط وانما راى ابو تمام اشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة فى اشعار القدماء كما عرفتك لا تنتهى فى البعد الى هذه المنزلة فاحتذاها واحب الابداع والاغراق فى ايراد امثالها واحتطب واستكثر منها فمن ذلك قول ذى الرمة

تيممن يافوخ الدجى فصد عنه * وجوز الفلا صدع السيوف القواطع

فجعل للدجى يافوخا وقول تابط شرا

نخز رقابهم حتى نزعنا * وانف الموت منخره رثيم

فجعل للموت انفا وقول ذى الرمة

يعز ضعاف القوم عزة نفسه * ويقطع انف الكبرياء عن الكبر

فجعل للكبرياء انفا وقال معقل بن خويلد الهذلي اوغيره

تخاصم قوما لا تلقى جوابهم * وقد اخذت من انف لحيتك اليد

فجعل للحية انفا اى قبضت يدك على طرف لحيتك كما يفعل النادم او المهموم وما اظن ذا الرمة اراد بالانف الا اول الشئ والمتقدم منه كما قال يصف الحمار

اذا شم انف الضيف الحق بطنه * مراس الا واسى وامتحان الكرائم

قال ابو العباس عبدالله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء وهذا البيت غر الطائى حتى اتى بما اتى به وانما اراد ذو الرمة بقوله انف الضيف كقولهم انف النهار اى اوله قال امرؤ القيس

قد غدا يحملنى فى انفه * لاحق الاصلين محبوك ممر

وقوله فى انفه اى فى اول جريه واسنده ويقال فى انفه فى انف الغيث الذى ذكره فى اوله يقول لم يطا هذا الغيث احد قبلى ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب ابو العباس وكذلك قول اعرابى يصف البرق

اذا شم انف الليل اومض وسطه * سنا كابتسام العامرية شاغف

انما اراد اذا استتم اول الليل وقال آخر انشدناه الاخفش عن ثعلب يذم رجلا

ما زال مذموما على است الدهر * ذاحسد يغنى وعقل يجرى

فجعل للدهر استا وقول شاتم الدهر وهو احد شعراء عبد القيس

ولما رايت الدهر وعرا سبيله * وايدى لنا ظهرا اجب مسلعا

ومعرفة حصاء غير مفاضة * عليه ولونا ذا عثانين اجعا

وجبهة قرد كالشراك ضئيلة * وصعر خديه وانفا مجدعا

فجعل للدهر ظهرا اجب ومعرفة حصاء ولونا ذا عثانين وشبه جبهته بجبهة قرد وجعل انفه انفا مجدعا وهذا الاعرابى انما ملح بهذه الاستعارات فى هجائه للدهر وجاء بها هازيا ومثل هذا فى كلامهم قليل جدا ليس مما يعتمد ويجعل اصلا يحتذى عليه ويستكثر منه ومن ردى استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله

لم تسق بعد الهوى ماء اقل قذى * من ماء قافية يسقيكه فهم

فجعل للقافية ماء على الاستعارة فلو اراد الرونق لصلح ولكنه قال يسقيكه فبئس معنى الرونق لانك اذا قلت هذا ثوب له ماء لم تجعل الماء مشروبا فتقول ماشربت

ماء اعذب من ماء ثوب شربته عند فلان ورايته على فلان الملك وكذلك لا تقول ما شربت ماء اعذب من ماء قفانبك او اعذب من ماء كذا لان للاستعارة حدا تصلح فيه فاذا جاوزته فسدت وقبحت فاما قولهم فلان حلو الكلام وعذب المنطق اوكأن الفاظه فتات السكر فهذا كلام الناس على هذه المساقة وليس يريدون حلاوة على اللسان ولا عذوبة فى الفم وانما يريدون عذبا فى النفوس وحلوا فى القلوب كما قال

يستنبط الروح اللطيف نسيمها * ارجا وتوكل بالضمير وتشرب

وكذلك قولهم حلو المنظر انما يريدون حلاوة فى العين ولا تقول ما ذقت احلى من كلام فلان ولا شربت اعذب من الفاظ عمرو لان هذا القول صيغة الحقيقة لا الاستعارة ولكن يقال هذا كلام يصلح ان يتنقل به وزيد يشرب مع الماء لحسن اخلاقه وحلاوته وعمرو يوكل و يشرب لرقة طبعه ولا تقول ما شربت اعذب من عمرو ولا ما اكلت احلى من عبد الله فاعلم هذا فان حدود الاستعارة معلومة فاما قوله

لمكاسر الحسن ابن وهب اطيب * وامر فى حنك الحسود واعذب

فالمكاسر الاخلاق وانما اراد امر فى حنك العدو اذا نطق بها او امر فى حنكه ان يذكرها او يخبر بها واعذب فى حنك وليه ووديده اذا سترها وكما قال زهير

تلجلج مضغة فيها انيض * اصلت فهى تحت الكشح داء

لانه اراد كلمة فصلح ان يقول انيض اى لم نيضج واصلت تغيرت وانتنت وكذلك لما جعلها مضغة اى لقمة فى فيه فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح ويفسد فتفهمه فانه واضح واما قوله

لا تسقنى ماء الملام فاننى * صب قد استعذبت ماء بكائى

فقد عيب وليس يعيب عندى لانه لما اراد ان يقول قد استعذبت ماء بكائى جعل للملام ماء ليقابل ما اراد وان لم يكن للملام ماء على الحقيقة كما قال الله عز وجل وجزآء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان الثانية ليست بسيئة وانما هى جزا عن السيئة وكذلك ان تسخروا منا فانا نسخر منكم والفعل الثانى ليس بسخريه ومثل هذا فى الشعر والكلام كثير مستعمل فلما كان مجرى العادة ان يقول قائل اغلظت لفلان القول وجرعته منه كاسا مرة وسقيته منه امر من العلقم وكان الملام مما يستعمل فيه

التجرع على الاستعارة جعل له ماء على الاستعارة ومثل هـذا كثير موجود وقد احتج محتج لابى تمام فى هذا بقول ذى الرمة

اذارا بحزوى هجت للعين عبرة * فماء الهوى يرفض اويترقرق

وقول الاخر وكاس سباها التجر من ارض بابل * كرقة ماء العين فى الاعين النجل

وهذا لايشبه ماء الملام لان ماء الملام استعارة وماء الهوى ليس باستعارة لان الهوى يبكى فتلك الدموع هى ماء الهوى على الحقيقة وكذلك البين يبكى فتلك الدموع هى ماء البين على الحقيقة فان قيل فان ابا تمام ابكاه الملام والملام قد يبكى على الحقيقة فتلك الدموع هى ماء الملام على الحقيقة قيل لو اراد ابو تمام ذلك لما قال قد استعذبت ماء بكاى لانه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكاء ايضا ولم يكن يستغنى منه ومن ردى استعاراته وقبيحها قوله

مقصرا خطوات البث فى بدنى * على بانى ما قصرت فى الطلب

فجعل للبث وهو اشد الحزن خطوات فى بدنه وانه قد قصرها لانه ماقصر فى الطلب وهذا من وساوسه المحكمة وانما اراد به قد سهل امر الحزن عليه انه ماقصر فى الطلب لانه لوقصر كان ياسف وينتد جزعه فجعل للحزن خطى فى بدنه قصيرة لما جعله سهلا خفيفا وهذا ضد المعنى الذى اراد لان الخطى اذا طالت يجوز ان يقع قلبه وكبده بين تلك الخطى الطويلة فلايمسها من البث وهو الحزن قليل ولا كثير فان قيل انما اراد ان الحزن هو فى قلبه خاصة وان قوله فى بدنى اى فى قلبى لان قلبه فى بدنه قيل الامر واحد فى ان الخطى اذا طالت على الشئ فلبه كان او ما سواه اخذت منه اقل مما تاخذ اذا قصرت فان قيل اراد بطول الخطى الكثرة وبقصرها القلة قيل هذا غلط من التاويل وليس العمل على ارادته وانما العمل على توجيه معانى الفاظه وبعد فان من اعجب العجب خطوات البث فى البدن ومن ردى استعاراته وقبيحها قوله

جارى اليه البين وصل خريدة * ماسنت اليه المطل مشى الاكبد

الها فى اليه راجعة الى المحب يريد ان البين ووصل الخريدة تجاريا اليه فكانه اراد ان يقول ان البين حال بينه وبين وصلها واقتطعها عن ان تصله واشباه هذا من الالفاظ المستعمل الجارى فعدل الى ان جعل البين والوصل جاريا اليه وان الوصل فى تقديره جرى اليه يريده فجرى البين ليمنعه فجعلهما متجاريين ثم اتى بالمصراع

الثانى بنحو من هذا التخطئة فقال ماشت اليه المطل مشى الاكبد فالها هنا راجعة الى الوصل اى لما عزمت على ان تصله عزمت عزم مثاقل مماطل فجعل عزمها مشيا وجعل المطل مما شبها لها فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا اهل اللغة العربية خبرونا كيف يجارى البين وصلها وكيف تماشى هى مطلها الا تسمعون الا تضحكون وانشد ابوالعباس بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء لسلم الخاسر يعيبه بردى الاستعارة فى قوله يرثى موسى الهادى

فلولا المقا برماحط الزمان به * لا بل تولى بانف كله دامى

وقال هذا ردى كانه من شعر ابى تمام الطائى ولولم يكن لابى تمام من ردى الاستعارة الا مثل استعارة سلم هذه اونحوها ونعوذ بالله من حرمان التوفيق

(ماجاء فى شعر ابى تمام من قبيح التجنيس)

وراى ابو تمام ايضا المجانس من الالفاظ شرفا فى اشعار الاوايل وهو ما اشتق بعضه من بعض نحو قول امرى القيس

لقد طمح الطماح من بعد ارضه * ليلبسنى من دآئه ما تلبسا

وقوله ايضا

ولكننى اسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

وقول القطامى

ولما وردها فى النصول شالت * بذيال يكون لها لفاعا

وقول ذى الرمة

كأن البرى والعاج عجت متونه * على عشر تهنى به السيل ابطح

وقول رجل من عبس

وذلكم ان ذل الجار جالفكم * وان انفكم لايعرف الانفا

وقول مسكين الدارمى

واقطع الخرق بالخرقاء لاهية * اذا الكواكب كانت فى الدجى سرجا

وقول حيان بن ربيعة الطائى

لقد علم القبائل ان قومى * لهم حد اذا لبس الحديد

وقول النعمان بن بشير لمعاوية

الم تبتدركم يوم بدر بسيوفنا * وليلك عما ناب قومك نايم

وقول جرير

فما زال مقولا صقال عن الندى وما زال محبوسا عن الخير حابس

وقول الفرزدق

خفاف اخف الله عنه سحابة * واوسعه من كل ساف وحاصب

وكأن هذين الشاعرين فى تجنيس ماجنسا من هذه الالفاظ وحاجبها اليه يشبه قول النبى صلى الله عليه وسلم عصية عصت الله وغفار غفرالله لها واسلم سالمها الله ونحو هذا مما تعمد الشعراء لتجنيسه قول جندل بن الراعى

فما عمرت عمرو وقد جد سعيها * وما سعدت يوم التقينا بنو سعد

ومن الطف ماجاء من التجنيس واحسنه فى كلام العرب قول القطامى

كنية الحى من ذى الغبطة احتملوا * مستحقبين فوادا ماله فادى

ومثل هذا فى اشعار الاوايل موجود لكن انما ياتى منه فى القصيدة البيت الواحد والبيتان على حسب ما يتفق للشاعر ويحضره فى خاطره وفى الاكثر لايعتمده وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه فلايرى فيه لفظة واحدة فاعتمده الطائى وجعله غرضه وبنى اكثر شعره عليه فلوكان قلل منه واقتصر على مثل قوله * ياربع لو ربعوا على ابن هموم * وقوله * ارامة كنت مألف كل ريم * وقوله * يابعد غاية دمع العين ان بعدوا * واشباه هذامن الالفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى لكان قد اتى بالغرض وتخلص من الهجنة والعيب فاما ان يقول

قرت بقرآن عين الدين وانشترت * بالاسترين عيون الشرك فاصطلما

فانشتار عيون الشرك فى غاية الغثاثة والقباحة وايضا فان انشتار العين ليس بموجب للاصطلام وقوله

ان من عشق والديه لمعفو * ومن عشق متزلا بالعقيق

وقوله ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت * فيه الظنون امذهب ام مذهب

وقوله خشنت عليه اخت بنى خشين * فهذا كله تجنيس فى غاية الشناعة والركاكة والهجانة ولايزيد زيادة على قبح قوله

فاسلم سلمت من الافات ما سلمت * سلام سلمى ومهما اورق السلم

فان هذا من كلام المبرسمين وقد عابه ابوالعباس عبد الله بن المعتز ببعض هذه الابيات فى كتاب البديع جاء بها فى قبح التجنيس وفى اشعار العرب مايستكره

نحو قول امرئ القيس * وسنا كسنيق سناء وسنما * ولم يعرف الاصمعي هذا وقال ابو عمرو وهو بيت مسجدي اي من عمل اهل المسجد وقال الاصمعي السن الثور ولم يعرف سنيقا ولا سنما ويقال سنيق جبل ويقال اكمة وسنم ههنا البقرة الوحشية سناء اي ارتفاعا ويروى سنا ما اي ارتفاعا ايضا من سمت الجبل علوته وقول الاعشى * شاو شلول مثل شلشل شول * وهذا عند اهل العلم من جنون الشعر وقرا هذه القصيدة على ابي الحسن علي بن سليمان النحوي قارىء فلما بلغ الى هذا البيت قال ابوالحسن صرع والله الرجل ومازلت اراهم يستكرهون قول ذي الرمة * عصاقس قوس لينها واعتدالها * ويروى عسطوس وقد قيل انه الخيزران وهذا انما جاء عن هولاء مقللا نادرا لانك لو اجتهدت ان ترى لواحد منهم حرفا واحدا ماوجدته والطائي استغرغ وسعه في هذا الباب وجد في طلبه واستكثر منه وجعله غرضه فكانت اساءته فيه اكثر من احسانه وصوابه اقل من خطائه (مايستكره للطائي من المطابق) وراى الطائي الطباق في اشعار العرب وهو اكثر ماوجد في كلامها من التجنيس وهو مقابلة الحرف بضده او ما يقارب الضد وانما قيل مطابق لمساواة احد القسمين صاحبه وان تضادا او اختلفا في المعنى الا ترى الى قولهم في احد المعنيين اذا لم ينتاكل صاحبه ليس هذا طبق هذا وقولهم في المثل وافق شن طبقه والطبق للشي انما قيل له طبق لمساواته اياه في المقدار اذا جعل عليه اوغطى به وان اختلف الجنسان قال الله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق اي حالا بعد حال ولم يرد تساويهما في تمثيل المعنى وانما اراد جل وعز وهو اعلم تساويهما فيكم وتغيرهما اياكم بمرورهما عليكم ومنه قول العباس بن عبد المطلب * اذا انقضى عالم بدا طبق * اي جاءت حال اخرى تتلو الحال الاولى ومنه طباق الخيل يقال طابق الفرس اذا وقعت قوائم رجليه في موضع قوائم يديه في المشي اوالعدو وكذلك مشي الكلاب قال الجعدي * طباق الكلاب يطأن المراسا * فهذا حقيقة الطباق انما هو مقابلة الشي لمثله الذي هو على قدره فسموا المتضادين اذا تقابلا مطابقين ومنه قوله زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ماالليث كذب عن اقرانه صدقا

فطابق بين قوله كذب وبين قوله صدقا وقول طفيل الغنوي يصف فرسا * يصان وهو ليوم الروع مبذول * فطابق بين قوله يصان وبين قوله مبذول وقول

طرفة بن العبد بطيء عن الحلى سريع الى الخنا * فطابق بين بطيء وسريع فلو اقتصر الطائى على ما اتفق له فى هذا الفن من حلو الالفاظ وصحيح المعنى نحو قوله * نثرت فريد مدامع لم تنظم * ونحو قوله * جفوف البلى اسرعت فى القضن الرطب * ونحو قوله

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

واشباه هذا من جيد ابياته وتجنب مثل قوله

قد لان اكثر ما تريد وبعضه * خشن وانى بالنجاح لواثق

وقوله لعمرى لقد حررت يوم لقيته * لو ان القضاء وحده لم يبرد

وقوله وان خفرت اموال قوم اكفهم * من النيل والجدوى فكفاه مقطع

ونحو هذا مما يكثر ان ذكرته ذهب عظيم شعره وسقط اكثر ما عيب عليه منه وهذا باب اعنى المطابق لقب ابو الفرج قدامة بن جعفر فى كتابه المولف فى نقد الشعر المتكافى وسمى ضربا من المجانس المطابق وهو ان تاتى الكلمة مثل الكلمة سواء فى تاليفها واتفاق حروفها ويكون معناها مخالفا نحو قول الافوه الاودى

واقطع الهوجل مستانسا * بهوجل عيرانة عنتريس

والهوجل الاول الارض البعيدة والهوجل الثانى الناقة العظيمة الخلق الموثقة وقول ابى داود الايادى * عهدت لها منزلا دارسا * وآلا على الماء يحملن آلا * فالال الاول اعمدة الخيام والال الثانى ما يرفع الشخوص وقال زياد الاعجم

نبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيه كاهل وسنام

وما علمت ان احدا فعل هذا غير ابى الفرج فانه وان كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات وكانت الالفاظ غير محظورة فانى لم اكن احب له ان يخالف من تقدمه مثل ابى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هذه الانواع والف فيها اذ قد سبقوه الى اللقب وكفوه المؤونة وقد رايت قوما من البغداديين يسمون هذا النوع المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة اذا تكررت وترددت نحو قول جرير * تزود مثل زاد ابيك فينا * فنعم الزاد زاد ابيك زادا * وبابه قليل (وهذا باب فى سوء نظمه) وتعقيد الفاظ نسجه ووحشى الفاظه واكثر ما تراه من ذلك فى شعره وتجده انه سمع ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زهير بن ابى سلمى لما قال كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولا يمدح رجلا الا بما فى الرجال فلم يرتض هذا لشعره واحب ان يستكثر مما ذمه وعابه

وقد فسر اهل العلم هذا من قول عمر وذكروا معنى المعاظلة وهى مداخلة الكلام بعضه فى بعض وركوب بعضه لبعض ككقولك تعاظل الجراد وتعاظلت الكلاب ونحوها مما يتعلق بعضه ببعض عند السفاد واكثر مايستعمل فى هذين النوعين وكذلك فسروا حوشى الكلام وهو الذى لايتكرر فى كلام العرب كثيرا فاذا ورد ورد مستهجنا وقالوا فى معنى قوله وكان لا يمدح الرجل الا بما يكون فى الرجال اراد انه لا يمدح السوقه بما يمدح به الملوك ولا يمدح التجار واصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والابطال وحملة السلاح فان الشاعر اذا فعل ذلك فقد وصف كل فريق بما ليس فيه فذكروا هذه الجمل ثم مثلوا لها امثلة تزيد ما قاله عمر رضى الله عنه وضوحا وبيانا الا ابو الفرج قدامة بن جعفر فانه ذكر ذلك فى كتابه المولف فى نقد الشعر ومثل له امثلة فغلط فى امثلة المعاظلة غلطا قبيحا وقد ذكرت ذلك فى كتاب بينت فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه وانا اذكر ههنا ما اليه قصدت من سائر ما فى شعر ابى تمام من هذه الانواع فانها كثيرة واورد من كل نوع قليلا فيستدل به على الكثير فاقول ان من المعاظلة التى قد لخصت معناها فى الكتاب على قدامة شدة تعليق الشاعر الفاظ البيت بعضها ببعض وان يداخل لفظة من اجل لفظة تشبهها اوتجانسها وان اختل المعنى بعض الاختلال وذلك كقول ابى تمام

خان الصفاء اخ خان الزمان اخا * عنه فلم يتخون جسمه الكمد

فانظر الى اكثر الفاظ هذا البيت وهى سبع كلمات اخرها قوله عنه ما اشد تشبث بعضها ببعض وما اقبح ما اعتمده من ادخال الفاظ فى البيت من اجل ما يشبهها وهو خان وخان ويتخون وقوله اخ واخا فاذا تاملت المعنى مع ما افسده من اللفظ لم تجد له حلاوة ولافيه كبير فايدة لانه يريد خان الصفاء اخ خان الزمان اخا من اجله اذ لم يتخون جسمه الكمد وكذلك قوله

يا يوم شرد يوم لهوى لهوه * بصبابتى واذل عز تجلدى

فهذه الالفاظ فى قوله بصبابتى كانها سلسلة فى شدة تعلق بضها ببعض وقد كان ايضا استغنى عن ذكر اليوم فى قوله يوم لهوى لان التشريد انما هو واقع بلهوه فلوقال يايوم شرد لهوى لكان اصح فى المعنى من قوله يايوم شرد يوم لهوى واقرب فى اللفظ فجاء باليوم الثانى من اجل اليوم الاول وبالمهو الثانى من اجل اللهو الذى

قبله ولهو اليوم ايضا بصبابته هو ايضا من وساوسه وخطأه ولا لفظ اولى بالمعاظلة من هذه الالفاظ ونحو قوله ايضا

يوم اغاض جوى اغاض تعزيا * خاض الهوى بحرى حجاه المزبد

فجعل اليوم اغاض جوى والجوى اغاض تعزيا والتعزى موصولا به خاض الهوى الى اخر البيت وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه مع ان اغاض واغاض وخاض الفاظ اوقعها فى غير موضعها وافعال غير لائقة بفاعلها وان كانت مستعارة لان المستعمل فى هذا ان يقال قد علم ما بفلان من جوى وظهر ما يكتمه من هوى وبان عنه العزآ وذهب عنه التعزى فاما ان يقال فاض الجوى او افيض اوغاض او اغيض فانه وان احتمل ذلك على سبيل الاستعارة قبيح جدا وكذلك خوض الهوى بحر التعزى معنى فى غاية البعد والهجانه ثم اضطر الى ان قال بحرى حجاه المزبد فوحد المزبد وخفضه وكان وجهه ان يقول المزبدين صفة للبحرين فجعله صفة للعجى ويقال انه اراد بحرى حجاه المزبد قلبه ودماغه لانهما موطنان للعقل وذلك محتمل الا انه جعل المزبد وصفا للعجى ولايوصف العقل بالازباد وانما يوصف به البحر وهذا وان كان يتجاوز فى مثله فانه الى الوجه الاردى عدل به وجنب الطريق عن الوجه الاوضح فاذا تاملت شعره وجدت اكثره مبنيا على مثل هذا واشباهه وقد ذكرت من هذه الامثلة من شعره مادل على سواها فان قال قايل ان هذا الذى انكرته وذممته فى الابيات المتقدمة وفى هذا البيت من تشبث الكلام بعضه ببعض وتعلق كل لفظة بما يليها وادخال كلمة من اجل اخرى تشبهها وتجانسها هو المحمود من الكلام وليس من المعاظلة فى شئ الا ترى ان البلغآء والفصحآء لما وصفوا مايستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا هذا كلام يدل بعضه على بعض وآخذ بعضه برقاب بعض قيل هذا صحيح من قولهم ولم يريدوا هذا الجنس من النثر والنظم ولاقصدوا هذا النوع من التاليف وانما ارادوا المعانى اذا وقعت الفاظها فى مواقعها وجآت الكلمة مع اختها المشاكلة لها التى تقتضى ان تجاورها لمعناها اما على الاتفاق اوالتضاد حسبما توجبه قسمة الكلام واكثر الشعر الجيد هذه سبيله ونحو ذلك قول زهير ابن ابى سلمى

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

لما قال ومن يعش ثمانين حولا وقدم فى اول البيت سئمت اقتضى ان يكون فى آخره يسأم وكذلك قوله ايضا

الستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

الستر الاول اقتضى الستر الثانى وكذلك قوله

ومن لايقدم رجله مطمئنة * فيثبتها فى مستوى الارض تزلق

لما قال ومن لايقدم رجله مطمئنة اقتضى ان يأتى فى آخر البيت يزلق وكذلك قول امرى القيس

الا ان بعد العدم للمرء قنوة * وبعد المنيب طول عمر وملبسا

اقتضى العدم فى البيت ان يأتى بعده قنوة وكذلك اقتضى قوله وبعدالمنيب طول عمر وملبسا وكذلك قوله

فان تكتموا الداء لانخفه * وان تقصدوا لدم نقصد

كل لفظة تقتضى مابعدها فهذا هوالكلام الذى يدل بعضه على بعض ويأخذ بعضه برقاب بعض اذا انشدت صدر البيت علمت ما يأتى فى عجزه فالشعر الجيد او اكثره على هذا مبنى وليست بنا حاجة الى الزيادة فى التمثيل على هذه الابيات واما قول عمر رضى الله عنه فى زهيرانه كان لايتتبع حوشى الكلام فان ابا تمام كان لعمرى يتتبعه ويتطلبه ويتعمد ادخاله فى شعره فمن ذلك قوله

اهلس اليس لجا الى هيم * تعرف الغيس فى اذيها الليسا

ويروى اهيس اليس والاهيس الجاد وهذه الرواية اجود وهى مثل * احدى ليالك فهيمى ميسى * والهلاس السلال من الهزال فكان قوله اهلس يريد خفيف اللحم والاليس الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة وهو الذى لايكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر او يهلك فهاتان لفظتان مستكرهتان اذا اجتمعتا لم يقنع باهلس اليس ثم قال فى آخر البيت الليسا يريد جمع اليس وقوله

وان بجرية نابت جأرت لها * الى ذرى جلدى فاستوهل الجلد

فقال بجرية وجأرت لها وهذه الالفاظ وان كانت معروفة مستعملة فانها اذا اجتمعت استقبحت وثقلت وكذلك قوله * هن البجارى يابجير * والبجارى جمع بجريه وهى الداهية وقوله

بنداك يوسى كل جرح يعتلى * راب الاساة بدردبيس قنطر

شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئا وان كنت اردت شعر اهل زمانك فما اخذت مأخذنا ارأيت قولك * ومن عاداك يلق المرمريسا اى شئ فى المرمريس اعجبك ووجدت ابا عبيدة ذكر فى كتاب الخيل فى باب ما يستدل به على جودة الفرس وهو يحضر وبيضة مرمريس وهى الضخمة واراد ابن منادر الداهية وقد جاء ابو تمام بالدردبيس وهى اخت المرمريس فقال

يندداك يوسى كل جرح يعتلى * راب الاساة بدردبيس قنطر

وهى الداهية ايضا وكذا القنطر *

﴿ باب ما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن ﴾

وذلك هو ما قاله دعبل بن على الخزاعى وغيره من المطبوعين ان سعر ابى تمام بالخطب وبالكلام المنثور اشبه منه بالكلام المنظوم فمن ذلك قوله

وانت بمصر غايتى وقرابتى * بها وبنو ابيك فيها بنو ابى

وهذا من ابيات النوع الثانى من الطويل ووزنه فعولن مفاعيلن وعروضه وضربه مفاعل فحذف نون فعولن من الاجزاء الثلاثة الاول وحذف اليا من مفاعيلن التى هى المصراع الثانى وذلك كله يسمى مقبوضا لانه حذف خامسه وكذلك قوله من هذا النوع

كساك من الانوار ابيض ناصع * واصفر فاقع واحمر ساطع

فحذف النون من اخر فعولن كلها وهى رابعة وحذف اليا من مفاعيلن التى هى المصراع الثانى ايضا كما فعل فى البيت قبله ومن ذلك قوله من هذا النوع ايضا

يقول فيسمع ويمشى فيسرع * ويضرب فى ذات الاله فيوجع

فحذف النون من فعولن الاول واليا من مفاعيل التى تليها ومن فعول التى هى اول المصراع الثانى وذلك كله يسمى مقبوضا وهى من الزحاف الحسن الجائز الا انه اذا جاء على التوالى والكثرة قبح جدا وقال

لم تنتقض عروة منه ولا قوة * لكن امرىء الامال ينتقض

وهذا من النوع الاول من البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن وعروضه وضربه فعلن فزاد فى عروضه حرفا فصار فاعلن لانه قال قوة فشدد وذلك انما يحسب له فى اصل الدائرة لا فى هذا الموضع فان خففها حتى تصير على وزن فعلن فيتزن البيت كان مخطئا من ثم حين نقص فاعلن الاول من المصراع الالف فصار فعلن وهذا

يسمى مخبونا لانه حذف ثانيه وقال

الى المفدى ابى يزيد الذى * يضل غمر الملوك فى غمر

وهذا من النوع الاول من المنسرح ووزنه مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن فحذف السين من مستفعلن التى هى المصراع فبقى مفتعلن وهذا ينقل الى مفاعلن ويسمى مخبونا لانه حذف ثانيه وحذف الفا من مستفعلن الاخيرة فبقى مستفعلن فينقل الى مفتعلن ويقال له مطوى لانه ذهب رابعه وحذف الواو من مفعولات الاولى والثانية فصار فاعلات ويقال له ايضا مطوى فافسد البيت بكثرة الزحاف وتقطيعه

الل مفد * دا ابى ى * زيد للذى * يضل غم * رلماوك * فى غمره *
مفاعلن * فاعلات * مستفعلن * مفعاعلن * فاعلات * مفتعلن *

ثم قال فى هذه القصيدة

جلة اغماره وهمدانه * والشم من ازدة ومن ادّه

فحذف الفاء من مستفعلن الاولى فعادت الى مفتعلن وحذف الواو من مفعولات الاولى فصارت فاعلات وحذف الفآء من مستفعلن الاخيرة فصارت مفتعلن وتقطيعه

جلاة ان * مارهى و * همداتهى * والشمن * ازدهى و * من ادده *
مفتعلن * فاعلات * مستفعلن * مستفعلن * فاعلات * مفتعلن *

وهذه الزحافات جائزة فى الشعر غير منكرة اذا قلت واذا جآت فى بيت واحد فى اكثر اجزآئه فان هذا فى نهاية القبح ويكون بالكلام المنثور اشبه منه بالشعر الموزون ومن هذا النوع من المنسرح قوله

ولم يغير وجهى عن الصنيعة ال * اولى بمسفوع اللون ملتمعه

وتقطيعه

ولم يغى * ر وجهيع * نص صن عتل * اولى بمس * فوعل لون * ملتمعه
مفاعلن * مفعولات * مستفعلن * مستفعلن * مفعولات * مفتعلن

فحذف السين من مستفعلن الاولى فصارت مفاعلن وحذف الفآء من مستفعلن

الاخيرة فصارت مفتعلن ومثل هذه الابيات في شعره كثير افانت تنبشه ولا تكاد ترى في اشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيا

تم السفر الثاني من الموازنة على ماجزاه مولفه رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

قال ابوالقاسم الحسن بن بشر الآمدي لما كنت خرجت مساوى ابي تمام وابتدات بسرقاته وجب ان ابتدى من مساوى البحتري بسرقاته فانه اخذ من معاني من تقدم من الشعراء وممن تاخر اخذا كثيرا وحكى ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه ان ابن ابي طاهر احصله انه اخرج للبحتري ستمائة بيت مسروق منها ما اخذه من ابي تمام خاصة مائة بيت فكان ينبغي ان لا اذكر السرقات فيما اخرجه من مساوى هذين الشاعرين لانني قدمت القول في ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوى الشعراء وخاصة المتاخرين اذ كان هذا بابا ماتعرى منه متقدم ولامتاخر ولكن اصحاب ابي تمام ادعوا انه اول سابق وانه اصل في الابتداع والاختراع فوجب اخراج ما استعاره من معاني الناس فوجب من اجل ذلك اخراج ما اخذه البحتري ايضا من معاني الشعراء ولم استقص باب البحتري ولا قصدت الاهتمام الى تتبعه لان اصحاب البحتري ما ادعوا ما ادعاه اصحاب ابي تمام بل استقصيت ما اخذه من ابي تمام خاصة اذ كان من اقبح المساوى ان يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فياخذ من معانيه ما اخذه البحتري من ابي تمام ولوكان عشرة ابيات فكيف والذي اخذه منه يزيد على مائة بيت فاما مساوى البحتري من غير السرقات فقد دققت واجتهدت ان اظفر له بشئ يكون بازاء ما اخرجته من مساوى ابي تمام في سائر الانواع التي ذكرتها فلم اجد في شعره لشدة تحرزه وجودة طبعه وتهذيبه لفاظه من ذلك الا ابياتا يسيرة انا اذكرها عند الفراغ من سرقاته فان مر بي شئ منها الحقته به ان شاء الله تعالى * (سرقات البحتري قال)

يخفي الزجاجة لونها فكانها * في الكاس قائمة بغير اناء

اخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول

كان يد النديم تدير منها * شعاعا لايحيط عليه كاس

وقال البحتري

كارمح فيه بضع عشرة فقرة * متقادة تحت السنان الاصيد

اخذه من قول بشار

خلقوا قادة فكانوا سواء * ككعوب القناة تحت السنان

اخذه ابو تمام فقال

جمعت حرى اعماله بعد فرقة * اليك كما ضم الاناييب عامل

وقال البحتري

اعطيتني حتى حسبت جزيل ما * اعطيتنيه وديعة لم توهب

اخذه من قول الفرزدق

اعطاني المال حتى ظلت يودعني * اوظلت اعطيت مالا قد رآه لنا

وبيت البحتري اجود وقال البحتري

ارد دونك بقظانا ويا ذن لي * عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا

اخذه من قول قيس بن الخطيم

ما تمتعي يقظى فقصد تو تيئه * في النوم غير مصرد محسوب

وقال البحتري

ملوك يعسدون الرماح محاصرا * اذا زرعوها والدروع غلاثلا

وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الغفعسي ولعله منه اخذه

ولا لاقيا كعب بن عمرو بقودهم * ابو دهثم نسج الحديد ثيابا

وقال البحتري

كوعول الهضاب رحن وما يملكن الاصم الرماح قرونا * وهذا من نوادر المعاني وماعرف مثله الا قول نصر بن حجاج بن علاط السلمي ولعله منه اخذه

ترى غابة الخطي فوق بيوتهم * كما اشرفت فوق الصوار قرونها

وقال البحتري

ينال الفتى ما لم يؤمل وربما * اتاحت له الاقدار ما لم يحاذر

اخذه من قول الاخر وانشده ثعلب

وحذرت من امر فر بجانبي * لم يلقني ولقيت ما لم احذر

وقال البحتري

واذا الانفس اختلفن فما يغنى اتفاق الاسماء والالقاب
اخذه من قول الفرزدق

وقد تلتقى الاسماء فى الناس والكنى * كثيرا ولكن فرقوا فى الخلائق

وقال البحترى

لم تخط باب الدهليز منصرفا * الا وخلخالها مع السنف

اخذه من قول ابى نواس قد جمعوا آذانه وعقبه

وقال البحترى

ولست اعجب من عصيان قلبك لى * عمرا اذا كان قلبى فيك يعصينى

اخذه من قول حسين بن الضحاك الخليع

ونطمع ان يطيعك قلب سعدى * وتزعم ان قلبك قد عصاكا

وبيت البحترى اجود وقال محمد بن وهيب

هل الدهر الا غمرة ثم تنجلى * وشيكا والا ضيقة تتفرج

اخذه البحترى فقال

هل الدهر الا غمرة وانجلاؤها * وشيكا والا ضيقة وانفراجها

وقال فى وصف الذئب

فاتبعتها اخرى واضللت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

وقال فى هذا المعنى

قوم ترى ارماحهم يوم الوغى * مشغوفة بمواطن الكتمان

اخذه من قول عمر بن معدى كرب الزبيدى

* والضاربين بكل ابيض مرهف * والطاعنين مجامع الاضغان *

الا ان قول عمرو والطاعنين مجامع الاضغان فى غاية الجودة والاصابة لانهم انما يطاعنون الاعداء من اجل اضغانهم فاذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب

وقال البحترى

الى فتى يتبع النعمى نطائرها * كالبحر يتبع امواجا بامواج

اخذه من قول ابى ذهل الجمحى

ولبلة ذات اجراس وارزمة * كالبحر يتبع امواجا بامواج

وهذا انما اراد قول امرء القيس

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلى

وقال البحترى

محركا راسه توهمه * من عطسة قائما على شرف

يشبه قول الآخر

كان ابا الشمى اذا تغنى * يحاكى عاطسا فى عين شمس

وقال البحترى

سقم دون اعين ذات سقم * وعذاب دون المنايا العذاب

اخذه من قول بشار

ذات المنايا العذاب * من دونهن عذاب

وقال البحترى

وكان فى جسمى الذى * فى ناظريك من السقم

اخذه من قول منصور بن الفرج

حبل فى جسمى ما * كان بعينيك مقيما

وقال البحترى

تجد بدر الدجى يدنو بشمس * الىّ من الرحيق الخسروانى

اخذه من قول الحليع

قمر يحمل شمسا * من رحيق الخسروانى

وقال البحترى

كان سهيلا شخص ظمآن جامح * مع الافق فى تهى من الارض يكرع

اخذه من قول محمد بن يزيد الحصنى السلمى يصف النجوم

حتى اذا ما الحوت فى * حوض من الدلو كرع

وقال البحترى

قوم اذا سهدوا الكريهة صبروا * كم الرماح جماجم الاقران

اخذه من مسلم بن الوليد حيث يقول

يكسوالسيوف رووس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

واخذه مسلم من قول جرير

كان رؤوس القوم فوق رماحنا * غداة الوغى يجان كسرى وقيصرا

وقال البحترى

ولم لا اغالى بالضنا ح وقد دنا * على مداها واستقام اعوجاجها
اذا كان لى توسيعها واغتلالها * وكان عليكم عشرها وخرابها

اخذه والله اعلم حذا على قول شبيب بن البرصاء

ترى ابل الجار الغريب كانما * بمكة بين الاخشبين حرادها
يكون عليه نقصها وضمانها * وللجار ان كانت تزيد ازديادها

وقال ابو صخر الهذلى

انر اسيدى تراه كانه * اذا جد يعطى ماله وهو لاعب

اخذه البحترى فقال

وادع يلعب بالدهر اذا * جد فى اكرومة هزل

وقال عبد الصمد بن المعذل

ظبى كان بخصره * من رقة ظمأ وجوع
انى علقت لشقوتى * يا قوم ممنوعا منيعا

اخذه البحترى فقال

من غادة منعت وتمنع نيلها * ولو انها بذلت لنا لم تبذل

فزاد على عبد الصمد بقوله بذلت لنا لم تبذل

وقال البحترى

سلبوا واشرقت الدما عليهم * محمرة فكانهم لم يسلبوا

وهذا مثل قول الحسف بن السجف الضبى ويجوز ان يكون اخذه منه

ففرقت بين انثى هميم بطعنة * لها عاند يكسو السليب ازارا

قوله لها عاند يريد الدم وقال عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثى

وانى ليدعونى لان استزيدها * فوادى واخشى سخطها واها بها

ونحوه قول البحترى ويجوز ان يكون اخذه منه

وعتبت من حبيك حتى اننى * اخشى ملامك ان ابثك مابى

وقال ابو نواس

بح صوت المال مما * متك ينشكو ويصيح

اخذه البحترى فقال

فكم لك فى الاموال من يوم وقعة * طويل من الاهوال فيه عويلها

وقال جابر بن السليك الهمدانى

ارمى بها الليل قدامى فيهشم بى * اذ الكواكب مثل الاعين الحولُ

اخذه البحترى فقال

وخذان القلاص حولا اذا قا * بلن حولا من انجم الاسحار

وقال عروة بن الورد

مطلا على اعدآئه يزجرونه * بساحاتهم زجر المنيح المشهرّ

فان بعدوا لا يامنون اقترابه * تشوف اهل الغائب المتنظر

الم به البحترى فقال

فترى الاعادى ما لهم شغل * الا توهم موقع يقعه

وقال البحترى

على نحت القوافى من مقاطعها * وما على اذا لم تفهم البقرُ

ذكر على بن يحيى المنجم ان البيت للمجشم الراسبى وكان شاعرا اتصل بمحمد ابن منصور بن زياد فكسب معه الف درهم فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكى فاساء صحبته فهجاه فقال *

شتان بين محمد ومحمد * حى امات وميت أحيانى

فصحبت حيا فى عطايا ميت * وبقيت مشتملا على الخسران

فهذا ما مر بى من سرقة البحترى من اشعار الناس على غير تتبع فخرجتها ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات ابى تمام وتزيد عليها وعلى انى قد بيضت فى اخر الكتاب فهما مر بى شئ الحقته به ان ساء الله تعالى *

﴿ وهذا ما اخذه البحترى من معانى ابى تمام خاصة ﴾

مما نقلته من صحيح ما خرجه الضياء بشر بن تمام الكاتب لانه استقصى ذلك استقصاء بالغ فيه حتى تجاوز الى ما ليس بمسروق فكفانا مؤونة الطلب

قال ابو تمام

فسواء اجابتى غير داع * ودعائى بالقفر غير مجيبَ

فقال البحترى

وسالت ما لا يستجيب وكنت فى استخباره كمجيب من لا يسالُ

وقال ابو تمام

فكاد بان يرى للشرق شرقا * وكاد بان يرى للغرب غربا

فقال البحترى

فاكون طورا مشرقا للمشرق الاقصى وطورا مغربا للمغرب

وقال ابو تمام

واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود

فقال البحترى

ولن تستبين الدهر موضع نعمة * اذا انت لم تدلل عليها بحاسد

وقال ابو تمام

فان تكن وقعة قاسيت سورتها * فالورد حلف لليث الغابة الاجم

ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبان بالرثم

فقال البحترى

فلست ترى شوك القتادة خائفا * سموم الرياح الآخذات من الرند

ولا الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وقال ابو تمام

رايت رجآى فيك وحدك همة * ولكنه فى سائر الناس مطمع

فقال البحترى

ثنى املى فاحتازه عن معاشر * يعيشون والآمال فيهم مطامع

وقال ابو تمام

بمحمد ومسود ومحسد * ومكفر وممدح ومعذل

فقال البحترى

ذاك المحمد والمسود والمكرم والمحسد

وقال ابو تمام

وقد قرب المرمى البعيد رجاؤه * وسهلت الارض العزاز ركائبه

فقال البحترى

ادار رحاه فاغتدى جندل الفلا * ترابا وقد كان التراب جنادلا

وقال ابو تمام

رافع كفه لبرى فما احسبه جاني لغير الطعام
فقال البحتري

ووعد ليس يعرف من عبوس انقباضهم او عد ام وعيد

وقال ابوتمام

ونغمة معتف جدواه احلى * على اذنيه من نغم السماع
فقال البحتري

نشوان من طرب السوال كانما * غناه مالك طئ او معبد

وقال ابوتمام

ومجربون سقاهم من بأسه * فاذا لقوا فكانهم اغمار
فقال البحتري

ملك له في كل يوم كريهة * اقدام غر واعتزام مجرب

وقال ابو تمام

لا المنطق اللغو يزكو في مقاومه * يوما ولاجة الملهوف تستلب
فقال البحتري

ان اغفلوا حجة لم يلف مسترقا * لها وان يهموا في القول لم يهم

وقال ابو تمام

مجد رعى تلعات الدهر وهوفتى * حتى غدا الدهر يمشي مشية الهرم
فقال البحتري

صحبوا الزمان الغرط الا انه * هرم الزمان وعزهم لم يهرم

وقال ابوتمام

كريم متى امدحه امدحه والورى * معي واذا ما لمته لمته وحدي
فقال البحتري

اشكو نداه بعد ان وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وقال ابوتمام

البيد والعيس والليل التمام معا * ثلاثة ابدا يقرن في قرن
فقال البحتري

اطلبا ثالثا سواي فاني * رابع العيس والدجى والبيد

وقال ابو تمام

وما نفع من قد مات بالامس صاديا * اذا ما السماء اليوم طال انهمارها

فقال البحتري

واعلم بان الغيث ليس بنافع * للناس ما لم يأت فى ابانه

وقال ابو تمام

تكاد مغانيه تهش عراصها * فتركب من شوق الى كل راكب

فقال البحتري .

ولو ان مشتاقا تكلف غير ما * فى وسعه لمشى اليك المنبر

وقال ابو تمام

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة * باسقائها قبرا وفى لحده البحر

فقال البحتري

ملان من كرم فليس يضره * مر السحاب عليه وهو جهام

وقال ابو تمام

فليشكروا جنح الظلام وزرودا فهم زرود والظلام موالى

فقال البحتري

نجا وهو مولى الريح يشكر فضلها * عليه ومن يولى الصنيعة يشكر

وقال ابو تمام

انت المقيم فما تعدو رواحله * وعزمه ابدا منه على سفر

فقال البحتري

مسافر ومطاياه محللة * غروضها ومقيم وهو مرتحل

وقال ابو تمام

وتشرف العليا وهل بك مذهب * عنها وانت على المكارم قيم

فقال البحتري

متقلقل العزمات فى طلب العلا * حتى تكنون على المكارم قيما

وقال ابو تمام

فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرىء والدراهم

فقال البحتري

ليفر وفرك الموفى وان اعوز ان يجمع الندى ووفورة

وقال ابو تمام

فوفرت ياقوخ الجبال على الردى * وزدت غداة الروع فى نجدة النجد

فقال البحترى

ويغدو ونجدته فى الوغى * تدرب نجدات فرسانه

وقال ابو تمام

ما زال وسواسى لعقلى خادعا * حتى رجا مطرا وليس سحاب

فقال البحترى

وعجيب ان الغيوم يرجيهن * من لايرى مكان الغيوم

وقال ابو تمام

بكل صعب الذرى من مصعب يقظ * اقام متئدا ام سار معتزما

فقال البحترى

لايبرح الحزم يستوفى صريمته * اقام متئدا ام سار معتزما

فقال ابو تمام

لرددت تحفة عليه وان علت * عن ذاك واستهديت بعض خصاله

وقال ابو تمام ايضا

وانفخ بنار طيب خيمك نفخة * ان كانت الاخلاق مما توهب

فقال البحترى

لا تسل ربك الكثير وسله * خصلة تستفيدها من خصاله

وقال ابو تمام

غريبة تونس الآداب وحشتها * فما تحل على قوم وترتحل

فقال البحترى

ضوارب فى الافاق ليس بنازح * بها من محل اوطنته ارتحالها

وقال ابو تمام

كانما خامره اولق * او غازلت هامته الخندريس

فقال البحترى

وتخال ريعان الشباب بروعه * من جنة اونشوة اوأفكل

وقال ابو تمام

حمد حميت به واجر حلقت * من دونه عنقا ليلة مغرب

فقال البحترى

فانت تصيب المجد حيث تلالات * كواكبه ان انت لم تصب الاجرا

وقال ابو تمام

تدعى عطاياه وفرا وهى ان شهرت * كانت فخارا لمن يعفوه موتنقا

فقال البحترى

واذا اجتداه المجتدون فانه * يهب العلى فى سيبه الموهوب

وقال ابو تمام

وتلبس اخلاق كراما كانها * على العرض من فرط الحصانة اذرع

فقال البحترى

قوم اذا لبسوا الدروع لموقف * لبسوا من الاحساب فيه دروعا

وقال ابو تمام

لما اظلتنى غمامك اصبحت * تلك الشهود على وهى شهودى

فقال البحترى

ومعترضون ان حاولت امرا * بهم شهدوا على وهم شهودى

وقال ابو تمام

انضربت ايكتى عطاياك حتى * صار ساقا عودى وكان قضيبا

فقال البحترى

حتى يعود الذئب ليثا ضيغما * والغصن ساقا والقرارة نيقا

وقال ابو تمام

فما تصطاد غير الصيد

فقال البحترى

وتصطاد الفوارس صيدها

وقال ابو تمام

الان حين غرست فى كرم الندى * تلك المنى وبنيت فوق اساس

فقال البحترى

غفل الرجال بنوا على جدد الثرى * لما بنوا وبنيت فوق اساس

وقال ابو تمام

فعلام أصدوّد من غير جرم * والصدود الفراق قبل الفراق
فقال البحتري
على ان هجران الحبيب هوالنوى * لدى وعرفان المشيب هو العذل
وقال ابو تمام
وفتى اذا جنف الزمان غايرى * الا الى عزماته يتظلم
فقال البحتري
ولو انصفتني سر مرآه لم اكن * الى العيش من اوطانهما اتظلم
وقال ابو تمام
من دوحة الكلم الذى لم ينفكك * وقفا عليك رصينه محبوسا
فقال البحتري
ولك السلامة والسلام فانني * غاد وهن على علاة حبائس
وقال ابو تمام
وكذاك لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بحال
فقال البحتري
وقد زادها افراط حسن جوارها * خلائق اصفار من المجد خلب
وقال ابو تمام
وما العرف بالتسويف الا كخلة * تسلبت عنها حين شط مزارها
فقال البحتري
وكنت وقد املت مرا لحاجتي * كطالب جدوى خلة لا تواصل
وقال ابو تمام
آساد موت مخدرات مالها * الا الصوارم والقنا آجام
فقال البحتري
حشدت حولها سباع الموالي * والعوالي غاب لتلك السباع
وقال ابو تمام
ولاذت بحقويه الخلافة والتقت * على خدرها ارماحه ومناصله
فقال البحتري
لاذت بحقويه الخلافة انها * قسم لافضل هاشم بالافضل

وقال ابو تمام

قد جآنا الرشأ الذى اهديته * خرقا ولوشئنا لقلنا المركبَ

فقال البحترى

حملت عليه فى سبيل فتوة * هى الثغر خلف المجد بل تفضل الثغرا

وقال ابو تمام

وقد تالف العين الدجى وهو قيدها * ويرجى شفآ السم والسم قاتل

فقال البحترى

ويحسن دلها والموت فيه * وقد يستحسن السيف الصقيل

وقال ابو تمام

اورقت لى وعدا وثقت بنجحه * يا لامس الا انه لم يثمرَ

فقال البحترى

والوعد كالورق الجنى تاودت * منه الغصون ونجحه ان يثمرا

وقال ابو تمام

ان الهلال اذا رأيت نموه * ايقنت ان سيكون بدرا كاملا

فقال البحترى

مثل الهلال بدا فلم يبرح به * صوغ الليالى فيه حتى اقمرا

وقال ابو تمام

ترمى باشباحنا الى ملك * ناخذ من ماله ومن أدبه

فقال البحترى

نغدوا فاما استمحنا من مواهبه * فضلا واما استفدنا منه آدابا

وقال ابو تمام

وما خير برق لاح فى غير وقته * وواد غدا ملآن قبل اوانه

فقال البحترى

واعلم بان الغيث ليس بنافع * للناس ما لم يات فى ابانه

وقال ابو تمام

لايكرم السائل المعطى وان اخذت * منه الرغائب حتى يكرم الطلب

فقال البحترى

عاتبني الطلب الشريف وانما * كنت الوضيع من اتضاع مطالبي

وقال ابو تمام

ارسى بتسديك الندى وتنفست * نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

فقال البحتري

راحت لاربعك الرياح ضعيفة * واصاب مغناك الغمام الصيب

وقال ابو تمام

السود للقربى ولكن رفده * للا بُعد الاوطان دون الاقرب

فقال البحتري

بل كان اقربهم من سيبه سببا * من كان ابعدهم من جدمه رحما

وقال ابو تمام

شرخ من الشرف المنيف يهزه * هز الصحيفة شرخ عمر مقبل

فقال البحتري

ادركت ما فات الكهول من الحجى * فى عنفوان شبابك المستقبل

وقال ابو تمام

بعثن الهوى فى قلب من ليس هائما * فقل فى فواد رعنه وهو هائم

فقال البحتري

فبعثن وجدا للخلى وزدن فى * برحآء وجد الهائم المستهتر

وقال ابو تمام

غرة مرة الا انما كنت * اغرا ايام كنت بهيما

فقال البحتري

عجبت لتغويف القذال وانما * تغويفه لوكان غير مغوف

وقال ابو تمام

وما زالت تجدّ اسى وشوقا * له وعليه اخلاق الرسوم

فقال البحتري

فهيج وجدى ربعها وهو ساكن * وجدد شوقى رسمها وهو مخلق

وقال ابو تمام

تراه يذب عن حرم المعالى * فتحسبه بدافع عن حريم

فقال البحترى

سامى عن المكرمات مجتهدا * ذب المحامى عن ماله ودمه

وقال ابو تمام

تنصل ربها من غير جرم * اليك سوى النصيحة والوداد

فقال البحترى

اقر بما لم اجنه متنصلا * اليك على انى اخالك اسوا

وقال ابو تمام

وتند عندهم العلى الا عسلا * جعلت لها مرر القصيد قيودا

فقال البحترى

والمجد قد يابق عن اهله * لولا عرى الشعر الذى قيده

وقال ابو تمام

سك حشاها بخطبة عنز * كأنها منه طعنة خلس

فقال البحترى

فرحت جونتها بخطبة فيصل * مثل لها فى الروع طعنة فيصل

وقال ابو تمام

جم التواضع والدنيا بسوددة * تكاد تهتز من اقطارها صلفا

فقال البحترى

ابدى التواضع لما نالها رعة * عنها فنالته فاختالت به تيها

وقال ابو تمام

اذا اطلقوه عن جوامع علة * تيقن ان المن ايضا جوامع

فقال البحترى

وفى عفوه لو يعلمون عقوبة * تفعقع فى الاعراض ان لم يعاقب

وقال ابو تمام

قصر بذلك عمر وعدك تحوى * شكرا يعمر عمر سبعة انسر

فقال البحترى

وجعلت نيلك تلو وعدك قاصرا * عمر العدو به وعمر الموعد

وقال ابو تمام

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة * فلبـاه طل الدمع يجرى ووابله

فقال البحترى

نصرت له الشوق الجوج بعبرة * تواصل فى اعقاب وصل تصبرما

وقال ابو تمام

من ليلة فى وبلها ليلاء * فلو عصرت الصخر صار ماء

فقال البحترى

اشرقن حتى كاد يقتبس الدجى * ورطبن حتى كاد يجرى الجندل

وقال ابو تمام

بر بدأت به ودار بابها * للخلق مفتوح ووجه مقفل

فقال البحترى

اليم بابك معقود على خلق * وراءه مثل مد النيل محلول

هذا ما اخذه البحترى من ابى تمام

ولعل قائلا يقول قد تجاوزت فى هذا الباب وقصرت ولم تستقص جميع ما خرجه ابو الضيا بشر ابن تميم من المسروق وليس الامر كذلك بل قد استوفيت جميعه فاوضحت وسامحت بان ذكرت ما لعله لايكون مسروقا وان اتفق المعنيان او تقاربا غير انى اطرحت سائر ماذكره ابو الضيا بعد ذلك لانه لم يقنع بالمسروق الذى يشهد التامل الصحيح بصحته حتى تعدى ذلك الى التكثير والى ان ادخل فى الباب ما ليس منه بعد ان قدم مقدمة افتتح بها كلامه وقال ينبغى لمن نظر فى هذا الكتاب ان لا يعجل بان يقول ما هذا ماخوذ من هذا حتى يتامل المعنى دون اللفظ ويعمل الفكر فيما خفى وانما السرق فى الشعر ما نقل معناه دون لفظه وابعد آخذه فى اخذه قال ومن الناس من يبعد ذهنه الا عن مثل بيت امرء القيس وطرفة حين لم يختلفا الا فى القافية فقال احدهما وتحمل وقال الآخر وتجلد قال وفى الناس طبقة اخرى يحتاجون الى دليل من اللفظ مع المعنى وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل فجعل هذه المقدمة توطئة لما اعتمده من الاطالة والجهد وان يقبل منه كل ما يورده ولم يستعمل مما وصى به من التامل واعمال الفكر شيئا ولوفعل ذلك لرجوت ان يوفق لطريق الصواب فيعلم ان السرق انما هو فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية

فى عاداتهم ومستعملة فى امثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده ان يقال اخذه من غيره غير ان ابا الضيا استكثر من هذا الباب وخلط به ما ليس من السرق فى شئ ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب واتى بضرب آخر ادعى فيه ايضا السرق والمعانى مختلفة وليس فيه الا اتفاق الفاظ ليس مثلها ما يحتاج واحد ان يأخذه من آخر اذ كانت الالفاظ مباحة غير محظورة فبلغ غرضه فى توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب واتا اذكر من هذه الابواب امثلة تدل على صحة ما ذكرناه ونجعلها قياسا على ما لم يذكره فان فى البعض غنى عن الاطالة بذكر الكل فمما اورده ابو الضيآء من المعانى المستعملة الجارية مجارى الامثال وذكر ان البحترى اخذه من ابى تمام قول ابو تمام

جرى الجود مجرى الدوم منه فلم يكن * بغير سماح اوطعان بحالم

وقول البحترى

ويبيت يحلم بالمكارم والعلى * حتى يكون المجد جل منامه

وهذا الكلام موجود فى عادات الناس ومعروف فى معانى كلامهم وجار كالمثل على السنتهم بان يقولوا لمن احب شيئا او استكثر منه فلان لا يحلم الا بالاطعام وفلان لايحلم الا بفلانة من شدة وجده بها وهذا الزنجى ما حلم الا بالتمر ولا يقال لمن كانت هذه سبيله سرق وانما يقال له اتفاق فان كان واحد سمع هذا المعنى اومثله من آخر فاحتذاه فانما ذكر معنى قد عرفه واستعمله لا انه اخذه اخذ سرقة وانشد لابى تمام

اذا القصائد كانت من مدآئحهم * يوما فانت لعمرى من مدآئحها

فذكر ان البحترى اخذه فقال

ومن يكن فاخرا بالشعر يذكر فى * اضعافه نبك الاشعار تفتخر

وهذا غلط على البحترى لان الناس لا يزالون يقولون فلان يزين الثياب ولا تزينه ويجمل الولاية ولا تجمله وفلانة تزيد فى حسن الحلى ولايزيد فى حسنها وفلان تفتخر به الانساب ولا يفخر بها وهذا ليس من المعانى التى لا يجوز ان يدعى احد من الناس انه ابتدعها واخترعها او سبق اليها ولايجوز ان يكون مثل هذا اذا اتفق فيه خطيبان او شاعران ان يقال ان احدهما اخذه من الآخر

وانشد لابى تمام

ثم انقضت تلك السنون واهلها * فكانها وكانهم احلام

وذكر ان البحترى اخذه فقال

وايامنا فيك اللواتى تصرمت * مع الوصل اضغاث واحلام نائم

وكانه ما سمع الناس يقولون ما كان الشباب الا حلما وما كانت ايامه الا نومة نائم واما اشبه ذلك من اللفظ فكيف يجوز ان يكون ذلك مسروقا وذكر ان من ذلك قول ابى تمام قد يقدم العير من ذعر على الاسد وقول البحترى

فجاء مجئ العير قادته حيرة * الى اهرت الشدقين تدمى اظافره

اولم يسمع ماهو كالمجمع عليه من ان العير اذا راى السبع اقبل اليه من شدة خوفه منه حتى صار مثلا يتمثل به كما يتمثل بالفراشة اذا تهافتت فى النار وفى ذلك امثال واشعار كثيرة فما اظن عملها سقط عن البحترى

ومن ذلك قول ابى تمام

هيهات لم يعلم بانك لو ثوى * بالصين لم تبعد عليك الصين

وقول البحترى

يضحى مطلا على الاعداء لو وقعوا * فى الصين من بعدها ما استبعد الصينا

وهذا جار على افواه العامة والخاصة والنساء والصبيان ان يضربوا المثل فى البعد بالصين وان يوقعوا التهدد به فيقولون لو انك بالصين لما بعدت على فكيف لايهتدى البحترى الى مثل هذا ومن ذلك قول ابى تمام

كان بنى بنهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

وقول البحترى

فاذا لقيتهم فوكب انجم * زهر وعبد الله بدر الموكب

وهذا معنى متقدم مبتذل جاء به النابغة وغيره وكثر على الالسن حتى صار اشهر من كل مشتهر وبيت ابى تمام خاصة فانما سرقه على سياقه من مريم بنت طارق ترثى اخاها

كنا كانجم ليل بينها قمر * يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

ومن ذلك قول ابى تمام

همة تنطح النجوم وجد * آلف للحضيض فهو حضيض

وقول البحترى

مصير . يغدو بعزم قائم * في كل نائبة وجد قاعد

وهذان المعنيان جنسهما واحد ولفظهما مختلف وهما شائعان في الكلام وجاريان في الامثل يقال فلان عالي الهمة وهمته في الثريا وحاله في الحضيض وفلان سلم بهمته ولكن قعد به حظه ونحو هذا من اللفظ فليس يجوز ان يعتور هذه المعنى شاعران فيقال احدهما اخذه من الآخر

ومن ذلك قول ابي تمام

وليست فرحة الاوبات الا * لموقوف على ترح الوداع

وقول البحتري

ما لشئ بشاشة بعد شئ * كتلاق مواشك بين بعد

وهذا معنى مستفيض معروف ومنه قول الحجاج بن يوسف لولا فرحة الاوبات لما عرفتهم الا بالاسفار وغرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه لان ابا تمام ذكر انه لا يفرح بالقدوم الا من شجاه واحزنه التوديع واراد البحتري انه ليس شئ من المسرة والجذل اذا جاء في اثر شئ ما كالتلاقي بعد التفرق فليس وان كان جنس المعنيين واحدا وجب ان يقال ان احدهما اخذ من الآخر لان هذا قد صار جاريا في العادات وكثيرا على الالسن فالتهمة ترتفع عن ان ياخذ احد عن احد ومن ذلك قول ابي تمام

لهم نسب وليس لهم سماح * واجسام وليس لهم قلوب

وقول البحتري

خلق ممثلة بغير خلائق * تربى واجسام بلا ارواح

وهذا الكلام ايضا هو اعرف في كلامهم واشهر من ان يحتاج شاعر ان ياخذه من الآخر وهم دائما يقولون ما فلان الا شبح من الاشباح وما هو الا صورة في حائط اوجسد فارغ ونحو هذا من القول الشائع المشتهر * ومن ذلك قول ابي تمام

لاتدعون نوح بن عمرو دعوة * للخطب الا ان يكون جليله

وقول البحتري

يا ابا جعفر وما انت بالمد * عو الا لكل امر كبار

ونسي قول الناس اختر لعظيم الحوائج العظيم من الناس ولكبير الامور كبيرهم وقال رجل لابن عباس ان لي اليك حاجة صغيرة فقال اطلب لها رجلا صغيرا

ومن ذلك قول ابى تمام

يعرن فهن اذا رمقن سواقرا * صور وهن اذا رمقن صوار

وقول البحترى

الى لحظت فانت جؤذر وملة * واذا صردت فانت ظبى كناس

وهذا تشبيه اعين النساء باعين البقر وتمثيلهن بالصوار وبالظباء وجل كلام العرب عليه يجرى فلا تكون الشعر آء فيه الا متفقين * ومن ذلك قول ابى تمام

ولقد جهدتم ان تزيلوا عزه * فاذا ابان قد رسا وتعلم

وقول البحترى

ولن ينقل الحساد مجدك بعدما * تمكن رضوى واطمأن منالع

وهذا المعنى ايضا شائع من معانيهم وكثير فى اشعارهم ومنه قول الفرزدق

وادفع بكفك ان اردت بقاءنا * شهلان ذا الهضبات هل يتحلل

وقوله يخاطب جريرا ايضا * فرم حضنا فانظر متى انت ناقله افترى البحترى ماسمع هذا من قول الفرزدق ولامن قول غيره حتى سمعه ابو تمام فنقله

ومن ذلك قول ابى تمام

وفى شرف الحديث دليل صدق * لمختبر على شرف القديم

وقول البحترى

على انا نوكل بالاداتى * وتخبرنا الفروع عن الاصول

وهذا معنى شائع فى الكلام ايضا مشهور كثير على الافواه ان يقولوا ان العروق عليها نبت الشجر ومن اشبه اباه فما ظلم والعصى من العصية والغصن من الشجرة ودلت على الام المخلة ومثل هذا لا يكون ماخوذا مستعارا

ومن ذلك قول ابى تمام

ولذلك قيل من الظنون جلية * صدق وفى بعض القلوب عيون

وقول البحترى

واذا صحت الروية يوما * فسوآء ظن امرء وعيانه

وهذا ايضا من الامثال المشهورة المبذولة السائرة وهوقولهم ظن كيقين ومن ذلك قول اوس بن حجر

الا لمنى الذى يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا

وقول ابى تمام

لانجم من معشر الا وهمتـه * عليـك دائرة يا ايهـا القطب

يقى بيت البحترى لم يذكره وهوهذا

ودارت بنوساسان طرا عليهم * مدار النجوم السـائرات على القطب

وكانه ماسمع قول النـاس فلان قطب هذا الامر وعلى فلان مدار القصة ونحو هذا من القول الذى يستغنى الانسـان بما جرى منه فى عادته ان يستعيره من غيره ومن ذلك قول ابى تمـام

واقل الاشـياء محصول نفع * صحـة القول والفعـال مريض

وقول البحترى

وما لمثـلى فى القول منك رضى * والقـول فى المجـد غير محسوب

وابوتمـام زعم ان رونق القول بالمواعيد لايتحصل منه نفع اذا لم يكن فعـال وجعل الصحة فى القول والمرض فى الافعـال مثلين فى الاستعـارة والبحترى انمـا ذكر انه لا يرضى بالقول لان القول لايحتسب به للمـاجد بغير فعل فالغرضان مختلفـان والمعنى معنى واحد شـائع جار فى عادات الناس ان يقولوا انمـا زيد كلام وانمـا عمرو قول بلا فعل ومثل هذا مع كثرته على الالسن لايقـال انه مسروق

ومن ذلك قول ابى تمام

ستر الصنيعـة واستحر ملعنـا * يدعو عليـه النـائل المظلوم

وقول البحترى

اكـافر منك فضل نعمى * وستر نعمى الكريم كفر

فذكر ابو تمام رجلا ذمه بستر الصنيعة وجعله ملعنا يدعو عليه النائل المظلوم عـلى الاستعـارة والبحترى ذكر ان ستر النعمى كفر وكلا اللفظين مستعملان شائعان على الالسن فلا يقال لمن تكلم باحد اللفظين انه استعارة من الآخر

ومن ذلك قول ابى تمام

شهدت جسيمات العلى وهو غائب * ولوكـان ايضا شاهدا كان غائبا

وقول البحترى

بشير لكم فيهـا نذير لغيركم * له شـاهد عن موضع الفهم غائب

وهذا المعنى ايضـا جار على الافواه ومستعمل فى الكلام تعرفه العـامة كما تعرفه

الخاصة وذلك قولهم فلان شاهد كغائب وحاضر كمن لم يحضر وفلان سواء والعدم ومن ذلك قول ابى تمام

دعيني على اخلاق الصمل التي * هي الوفر او سرب ترن نواديه

وقول البحترى

وخد القلاص يردني لك بالغنى * في بعض ذا التطواف او يرديني

وهذان المعنيان اصلهما واحد وهو قول امرء القيس

نحاول ملكا او نموت فنعذرا وشهرته وكثرة استعمال الناس اياه يغني البحترى عن ان يقال انه استعاره او اخذه ومن ذلك قول ابى تمام

تكملت بقبح صورته فامسى * لها انسان عين في السياق

وقول البحترى

شكوت قذى بعينك بات يدمى * كانك قد نظرت الى طماس

وهذا ايضا من المعانى التى تمنع شهرتها وابتذال العامة والخاصة لها من ان يقال انها مسروقة وان واحدا اتم فيها بآخر ومما جاء به ابو الضيا على انه مسروق والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب قول ابى تمام

فاقسم اللحظ بيننا ان في اللحظ لعنوان ما يجن الضمير

وقول البحترى

سلام وان كان السلام تحية * فوجهك دون الرد يكفي المسلما

وابو تمام سأل من يخاطبه ان يقبل عليه ويجعل له قسطا من النظر فان ادامة النظر تدل على المودة كما ان الاعراض يدل على البغض والبحترى انما سلم على الهيثم الغنوى وذكر ان السلام تحية وان وجهه بجماله وطلاقته يكفي المسلم قبل رده والمعنيان مختلفان وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ما ينسب احدهما انه محذو على الآخر او مسروق منه ومن ذلك قول ابى تمام

ورحب صدر لو ان الارض واسعة * كوسعه لم يضق عن اهل بلد

وقول البحترى

مفازة صدر لو تطرق لم يكن * ليسلكها فردا سليك المقانب

وابو تمام ذكر ان رحب صدر الممدوح وسعته تزيد على سعة الارض فاسرف واخطا في المعنى بما قد ذكرته في باب خطائه في المعانى والبحترى ذكر سعة صدر

الممدوح وجعل له مغازة على الاستعارة وذكر انه لو تطرق لم يكن ليسلكها سليك الذى لم يكن ليكبر عليه سلوك الارض وان عرضت وطالت وانما ارادا جميعا سعة صدر الممدوح كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح فافرطا ولكن سلك كل واحد منهما معنى غير معنى صاحبه كما ترى * ومن ذلك قول ابى تمام

انما البشر روضة فاذا ما * كان بر فروضة وغدير

وقول البحترى

فان العطاء الجزل ما لم تحله * يبشرك مثل الروض غير منور

فاراد ابو تمام البشر مع البر كالروضة والغدير واراد البحترى ان العطا ما لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور فليس بين المعنيين اتفاق الا فى ذكر البشر والروض والالفاظ غير محظورة على واحد ومن ذلك قول ابى تمام

وانى ما حورفت فى طلب الغنى * ولكنما حورفتم فى المكارم

وقول البحترى

اذ ابتدا بخلاء الناس عارفة * يتبعها المن فالمرزوق من حرما

فاراد ابو تمام انه ليس بمجدود ولا محارف فى ماتمساته ومطالبه ولكن الذين امهم وطلب ما عندهم حورفوا فى مكارمهم فاحسن فى المعنى واللفظ كل الاحسان واراد البحترى ان البخيل اذا امتن بمعروفه فالمرزوق من حرم ذلك المعروف فهذا المعنى غير معنى ابى تمام وليس بينهما اتفاق ولا تقارب

ومن ذلك قول ابى تمام

اذا شب نارا اقعدت كل قائم * وقام لها من خوفه كل قاعد

فقال البحترى

ومجل وسط الرجال خفوفهم * لقيامه وقيومهم لقعوده

وليس احد المعنيين من الآخر فى شئ لان ابا تمام اراد ان الممدوح اذا شب نار الحرب اقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته اى تزعج كل واحد خوفا وفرقا وذلك ماخوذ من قول الفرزدق

اتانى ورحلى بالمدينة وقعة * لآل تميم اقعدت كل قائم

وقوله وقام لها من خوفه كل قاعد اى زال عن الطمأنينة والقرار فقام وانما يريد انزعاج الخائف فجعل ذلك قياما له والبحترى انما ذكر ان الرجال انما يخفون

لقيام ممدوحه اى يسرعون بين يديه اذا قام فاذا قعد قاموا اجلالا وهيبة وان من شانه ان لايجلس احد بجلوسه وان يكون الناس كلهم قياما اذا جلس والمعنيان مختلفان وليس بينهما اتفاق الا فى ذكر القيام والقعود والالفاظ مباحة

ومن ذلك قول ابى تمام

ورب يوم كايام تركت به * متن القناة ومتن القرن منقصفا

وقول البحترى

فى معرك ضنك تخال به القنا * بين الضلوع اذا انثنين ضلوعا

وليس بين المعنيين اتفاق الا فى ان الشاعرين وصفا حال الطعن بالقنا كيف يقع فذكر ذلك (اى ابو تمام) ان ممدوحه يقصف متن القرن ومتن القناة وشبه هذا انطواء الرماح واعوجاجها اذا وقعت بضلوع القوم باعوجاج ضلوعهم وهذا من التشبيهات الطريفة العجيبة وهو المعنى الذى استغربه واستحسنه ابو تمام على ما يرويه الشاميون ومن ذلك قول ابو تمام

بين البين فقدها قل ما يعرف فقد للشمس حتى تغيبا

وقول البحترى

فاضل بين الاخوان عسرة وفى ظلما ليل تفاضلت شهبه

وليس بين المعنيين تناسب لان ابا تمام ذكر ان موضع فقدها بان وانه قلما يعرف فقد الشمس الا بعد غروبها وهذا جار فى عادات الناس واستعمالهم ان يقولوا لا يعرف فضل الانسان حتى يفقد ولا يعرف فضل العافية الا عند البلية وقدر الدراهم الا عند الحاجة والبحترى اراد ان عمره بين له عن مراتب اخوانه وفضل بعضهم على بعض واراد بالشهب الكواكب وهذا معنى لطيف جدا ليس من معانى ابى تمام فى شئ وهذا مما ادعى ابو الضياء على البحترى فيه السرق والاتفاق فى ذلك اكثر فانما هو من الالفاظ التى ليست محظورة على احد وقد مضى فيما قبل من هذا الباب ابيات فمن ذلك قول ابى تمام

ان الصفائح منك قد نضدت على * ملق عظام لو علمت عظام

وقول البحترى

مساع عظام ليس يبلى جديدها * وان بليت منهم رمائم اعظم

فاراد ابو تمام ان عظام الرجل الذى رثاه عظيم القدر واراد البحترى ان مساعى

القوم عظام لايبلى جديدها وان بليت عظامهم وليس ههنا اتفاق الا فى لفظة العظام لاغير ومن ذلك قول ابى تمام

لا يدهمنك من دهمائهم عدد * فان اكثرهم او جلهم بقر

وقول البحترى

على تحت القوائق من مقاطعها * وما على لهم ان تفهم البقر

فاراد ابوتمام انه لا يجب ان ينظر الى كثرة عددهم فان اكثرهم بقر وذكر البحترى ان عليه ان يجيد القول وليس عليه ان تفهمه البقر وما ههنا اتفاق الا فى لفظة البقر ومن ذلك قول ابى تمام لهان علينا ان نقول وتفعلا وقول البحترى

ان الخليفة ليس يرقب فى الذى * حاولت الا ان تقول ويفعلا

والاتفاق ههنا انما هو فى القول والفعل ومن ذلك قول ابى تمام

وما يوم زرت اللحد يومك وحده * علينا ولكن يوم زيد وحاتم

وقول البحترى

يا بيض وضاح كان قميصه * يزر على الشيخين زيد وحاتم

افترى البحترى ما سمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطائى اللذين يفخر بهما اليمن كلها فيشبه ممدوحه بهما الا من بيت ابى تمام ومن ذلك قول ابى تمام

لعمرك ما كانوا ثلاثة اخوة * ولكنهم كانوا ثلاث قبائل

وقول البحترى

كانوا ثلاثة ابحر افضى بهم * ولع المنون الى ثلاثة اقبر

فجعلهم ابو تمام ثلاث قبائل وجعلهم البحترى ثلاثة ابحر فليس ههنا اتفاق الا فى ذكر ثلاثة ومن ذلك قول ابى تمام

كتابا من الالوان ابيض ناصع * واحمر قانى واصفر فاقع

وقول البحترى

من واضح يقق واصفر فاقع * ومضرج جسد واحمر قانى

افترى البحترى لم يكن ليهتدى الى اصفر فاقع واحمر قانى لولا بيت ابى تمام ومن ذلك قول ابى تمام

لولا منا شدة القربى لغادركم * فريسة المرهفين السيف والقلم

وقول البحترى

زنت الخلافة اشراقا وقد حبطت * وذدت عن حرمها بالسيف والقلم

وكذلك ايضا لم يكن البحترى يهتدى الى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما ابوتمام ومن ذلك قول ابى تمام

ابى لى نجر الغوث ان ارأم التى * اسب بها والنجر يشبهه النجر

وقول البحترى

سيد نجر المعالى نجره * يملك الجود عليه ما ملك

وقد كان ينبغى لابى الضيا ان لايخرج مثل هذا فى السرق ولايفضح نفسه ومن ذلك قول ابى تمام

متوطئوا عقبيك فى طلب العلى * والمجد ثمة تستوى الاقدام

وقول البحترى

حزت العلى سبقا وصلى ثانيا * ثم استوت من بعده الاقدام

ومثله قول ابى تمام

فى غداة مهضومة كان فيها * ناضر الروض للسحاب نديما

ومايجعل مثل هذا مسروقا الا من لا معرفة له بجلى المعانى فضلا عن خفيها

ومن ذلك قول ابى تمام يصف الفرس

من نجل كل تليدة اعراقه * طرف معم فى السوابق مخول

وقول البحترى

وافى الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقاء على معم مخول

وما فى معم مخول من الغرابة حتى يتلقنه البحترى من ابى تمام على كثرته على الالسن وقول الناس فى مدح الفرس كريم الاباء والامهات وشريف الانساب

ومن ذلك قول ابى تمام

فاذرت جمانا من دموع نظامها * على الخد الا أن طالعها السفر

وقول البحترى

جرى فى نحرها من مقلتيها * جمان يستهل على جمان

فالاتفاق ههنا انما هو فى لفظ جمان وقول ذلك نظامها على الخد وقول هذا جرى فى نحرها فلا يقتضى ان يكون احدهما ماخوذا من الآخر لان الدمع على الخد جريه والى النحر يصل وهذه حال لا يجهلها احد ممن وصف الدمع

ومن ذلك قول ابى تمام

وهل للقريض الغض اومن يحوكه * على احد الا عليك معول

وقول البحترى

وعليك سقياهم لنا اذ لم يكن * فى نوبة الا عليك معول

فنظر على البحترى لفظة معول وحرمها عليه من اجل ان ابا تمام لفظ بها

ومن ذلك قول ابى تمام

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة * من جاهه فكانها من ماله

وقول البحترى

خان جسدى والرياح الواتى * تجلب الغيث مثل حد الغيوم

فمعنى ابى تمام مشترك بين الناس وليس مخترعا لانك ابدا تسمع قول القائل اذا بلغ حاجته بشفاعة ان يقول للشفيع ما اعتد هذه الا من الله ومنك فليس لابى تمام فيه شئ اكثر من ان عبر فيه بعبارة حسنة مكشوفة فالبحترى لم ياخذ المعنى منه لانه فى العادات موجود ولكنه احسن فى التمثيل واغرب وابدع

﴿ وهذا الان ما اخطا فيه البحترى من المعانى قال البحترى ﴾

ذنب كما سحب الردآء يذب عن * عرف وعرف كالقناع المسبل

هذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الارض كان عيبا فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس

بضاف فويق الارض ليس باعزل * فقال فويق الارض بقليل

وقد عيب على امرى القيس قوله

لها ذنب مثل ذيل العروس * تسد به فرجها من دبر

وما ارى العيب لحق امرء القيس فى هذا لان العروس اذا كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض فهو عيب فليس ينكران يشبه الذنب به وان لم يبلغ ان يمس الارض لان الشى انما يشبه بالشى اذا قرب منه او دنا من معناه فاذا اشبهه فى اكثر احواله فقد صح التشبيه ولاق به ولان امرء القيس لم يقصد طول الذنب ان يشبهه بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ والكثرة والكثافة الا تراه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الارض ولا يكون كثيفا بل يكون رقيقا نزر الشعر خفيفا فلا يسد

فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول فانما اشبه الذنب الطويل ذيل العروس من هذه الجهة وكان فى الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب ولا ان يكون ذنب الفرس من اجل تشبيهه بالذيل ممايحكم على الشاعر ايضا انه قصد الى ان الفرس يسحبه على الارض وانما العيب فى قول البحترى ذنب كما سحب الردآء فافصح بان الفرس يسحب ذنبه ومثل قول امرء القيس قول خداش بن زهير

لها ذنب مثل ذيل الهدى * الى جؤجؤ أيد الزافر

الهدى العروس التى تهدى الى زوجها وأيد شديد والزافر الصدر لانها تزفر مته فانما اراد بذيل العروس طوله وسبوغه فشبه الذنب السابغ به وان لم يبلغ فى الطول الى ان يمس الارض ومما يصحح ذلك قولهم فرس ذيال اذا كان طويلا طويل الذنب فاذا كان قصيرا طويل الذنب قالوا ذائل وانما قالوا ذلك تشبيها للذنب بالذيل لاغير قال النابغة

بكل مدجج كالليث يسمو * الى اوصال ذيال رفن

رفن ورفل واحد وهو الطويل الذنب وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرء القيس فيما بينته من سهو ابى العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرء القيس من الغلط فى كتابه الذى جمع فيه سرقات الشعرآء وقال البحترى

هجرتنا يقظى وكادت على عا * داتها فى الصدود تهجر وسنى

وهذا عندى غلط لان خيالها يتمثل له فى كل احوالها يقظى كانت او وسنى والجيد قوله

ارد دونك يقظانا ويأذن لى * عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا

فصحح المعنى واتى به على حقيقته وكذلك قوله

اذا ما تباذلنا التغانس حلتنا * من الجد ايقاظا ونحن نيام

وقوله نعذب ايقاظا وننعم هجدا * جيد ايضا لانه جعلها على ان حالها مع خياله اذا نامت كحاله مع خيالها اذا نام وان كل واحد منهما ينعم مفردا مع خيال صاحبه لانهما ينعمان معا فى حال واحدة اذا نام احدهما فراى خيال الآخر وانما اخذ معنى بيته الاول وعليه بنى اكثر اوصافه للخيال من قول قيس بن الحطيم

انى سربت وكنت غير سروب * وتقرب الاحلام غير قريب

ما تمنعي يقظي فقد توتينه * في النوم غير مصرد محسوب

وما اظن احدا سبق قيسا الى هذا المعنى فى وصف الخيال وهوحسن جدا ولكن فيه ايضا مقال لمعترض وذلك هو الذى اوقع البحترى فى الغلط لان قيسا قال ما تمنعي يقظي فقد توتينه فى النوم فاراد ايضا انها توتيه نائمة وخيال المحبوب يتمثل فى حال نوم المحب ويقظته كما ذكرت وكان الاجود لو قال ما تمنعي فى اليقظة فقد توتينه فى النوم اى ما تمنعينه فى يقظتى فقد توتينه فى حال نومى حتى يكون النوم واليقظة معا منسوبة اليه الا انه يتسع من التاويل لقيس ما لا يتسع للبحترى لان قيسا قال فقد توتينه فى النوم فقد يجوز ان يحمل على انه اراد ما تمنعي يقظي وانا يقظان فقد توتينه فى نومى ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترى لان البحترى قال وسنى ولم يقل فى الوسن وقال البحترى فى مدح المعتز بالله

لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده

وهذا عندى من اهجن ما مدح به خليفة واقبحه ومن ذا يعنف الخليفة اويصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح وقال البحترى

تشق عليه الريح كل عشية * جيوب الغمام بين بكر وايم

وهذا ايضا غلط لانه ظن ان الايم هى الثيب وقد غلط فى مثله ابو تمام وذكرته فى اغاليطه وسها فيه ايضا بعض كبار الفقهاء فظن البحترى ان الايم هى الثيب فجعلها فى البيت ضد البكر والايم هى التى لا زوج لها بكرا كانت اوثيبا قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم اراد جل ثناؤه اللواتى لا ازواج لهن فالبكر والثيب جميعا داخلتان تحت الآية فتكون بكرا وتكون ثيبا وتكون بكرا ومعنسا وكعابا الا ان لفظة ايم لا تزول عن شى من هذه الاوصاف وليست عبارة الا عن التى لا زوج لها لاغير وقد شرحت هذا المعنى شرحا شافيا فى غلط ابى تمام

وقال البحترى

شرطى الانصاف ان قيل اشترط * وصديق من اذا قال قسط

وكان يجب ان يقول اقسط اى عدل وقسط بغير الف معناه جار قال الله تبارك وتعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقال ان الله يحب المقسطين

وقال البحترى

صبغة الافق بين اخر ليل * منقض شانه وآخر بقر
يصف فرسا اشقر او خلوقيا والحمرة لا تكون بين آخر الليل واول الفجر وهو عندى فى هذا غالط لان اول الفجر الزرقة ثم البياض ثم الحمرة عند بدوء قرن الشمس كما ان آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرة ثم البياض ثم الزرقة وهى آخر الشفق وقال البحترى

وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه * واول الغيث رش ثم ينسكب

وقال اخر

وان يسجع القمرى فيها اذا غدا * بركانه قرن من الشمس ازرق

وكان البحترى اراد ان يقول بين اخر ليل منقض شانه واول نهار فيكون قد قابل بين الليل والنهار والحمرة قد تكون بين اخر الليل واول النهار كما تكون بين اخر النهار واول الليل فقال واول فجر صفرة والجيد فى هذا قول ابى تمام يصف فرسا اشقر * كان قد كسفت فى اديم الشمس وقال البحترى

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها * وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها

هذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد لانه قال قد ادنى خطاها كلالها اى قارب من خطوها الكلال وهذا كانه لم يقف لسؤال الدار التى تعرض لان يشفيه سؤالها وانما وقف لاعياء المطى والجيد قول عنترة لانه لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بان شبه ناقته بالقصر فقال

فوقفت فيها ناقتى وكانها * فدن لاقضى حاجة المتلوم

قال ذلك ليعلم انه لم يقف بها ليريحها وقد كشف عن هذا المعنى ذو الرمة فاحسن واجاد فقال

انخت بها الوجناء لا من سآمة * لثنتين بين اثنين جاء وذاهب

يقول انخت بها لاصلى لا من سآمة بها وقوله لثنتين يريد اللتين يقصرهما المسافر بين اثنين جاء يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل فانما قال قد ادنى خطاها كلالها ليعلم انه قصد الدار من سقة بعيدة قيل العرب لاتقصد الديار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فيقول الرجل لصاحبه او صاحبيه قف وقفا وانما ذلك تعريج على الديار فى مسيرها وسأزيد فى شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار * وقال البحترى

غريب السجايا ما تزال عقولنا * مدلهة فى خلة من خلاله
اذا معشر صانوا السماح تعسفت * به همة مجنونة فى ابتذاله

قوله اذا معشر صانوا السماح معنى ردىء لان البخيل ليس من اهل السماح فيكون له سماح يصونه وسواء عليه قال صانوا السماح او صانوا السخاء او صانوا الجود اوصانوا الكرم فان هذا كله لا يملك البخلاء منه سيئا وهومنهم بعيد فكيف يصونونه فان قيل انما اقام السماح مقام الشئ الذى يسمح به وفى مجازات العرب ماهو ابعد من هذا قيل البحترى لا يسوغ مثل هذا ولايجوز له لانه متاخر ولاسيما ان ليست ههنا ضرورة لانه قد كان يمكنه ان يقول صانوا الثرى مكان صانوا السماح ﴿وهذا ماعيب به البحترى وليس بعيب﴾ وانما ذكرته ليلا يظن ظان انه صحيح وانى تخطيئته فن ذلك ما نعاه عليه اصحاب ابى تمام وهما بيتان وقد ذكرت احتجاج اصحاب البحترى فيهما فى الجزء الاول من هذا الكتاب وانا اعيد ذكرهما لزيادة عندى فى الاحتجاج يحتاج اليها * انكروا عليه قوله

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

وقالوا لوملئ الاناء دبسا لكانت هذه حاله والمعنى عندى صحيح لاعيب فيه ولا قدح وذلك ان الرجل قد دل بهذا الوصف على ان شعاع السراب فى غاية الرقة فاعتمد ان وصف الاناء ومافيه وصف الهيئة على ماهى عليه وانما اخذ المعنى من قول على بن جبلة

كان يد النديم تدير منها * شعاعا لاتحيط عليه كاس

الا ترى ان هذا ايضا قد دل على ان الكاس فى غاية الرقة ومثله قول الآخر

انما نحجتنا موسومة * ضمنت حمراء ترمى بالزبد
واذا ما نزلت فى كاسها * فهى والكاس معا شئ احد

وقد انشد ابو العباس ثعلب بيت البحترى هذا فى اماليه وقال انه اخذ المعنى من قول الاعشى

تريك القذى من دونها وهى دونه * اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

قال ابو العباس وهذا البيت اجود مافيل فى وصف الخمرة لانه جمع بين اللون والطعم ونحوه قول الآخر وهو الاخطل

ولقد تباكرنى على لذاتها * صهباء عاريه القذى خرطوم

يريد انها صافية فالقذى فيها لا يستتر ولم يعب ابو العباس البحترى ولا طعن فى بيته بل دلك انشاده وذكره فى موضع السرق على استجادته واستحسانه اياه وانكروا قوله

ضحكات فى اثرهن العطايا * وبروق السحاب قبل رعوده

وقالوا اقام الرعود مقام العطايا وانما كان ينبغى ان يقيم الغيوث مقام العطايا وهذا جهل ممن قاله بمعانى كلام العرب ومعنى التمثيل فى البيت صحيح لان الرعد مقدمة الغيث وقل رعد لايتلوه المطر واذا كان هذا هكذا فقد صار المعنى كانه اول له وانما اخذ البحترى المعنى من قول بشار

وعد الجواد يحث نائله * كالبرق ثم الرعد فى اثره

واظنهما جميعا اخذا المعنى من قول الاعشى

والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا

فاقام الرعد مقام الغيث ونحو قوله بشار

حلبت بشعرى راحتيه فدرتا * سماحا كما در السحاب على الرعد

وانشد ابن الاعرابى فى نوادره

فان لم اصدق ظنهم بتيقنى * فلا سقت الاوصال منى الرواعد

فجعل التى تسقى هى الرواعد وقال الكميت

وانت فى النسوة الجماد اذا * اخلف من انجم رواعدها

ومثل هذا كثير فى كلامهم لاينكره منكر وقال ابو تمام

وكذا السحائب قلما تدعوالى * معروفها الرواد ما لم تبرق

فجعل البرق عند الرواد دليل الغيث وقد يكون برق لامضرمعه كثيرا وبرق الخلب هذه حاله فالبحترى فى ان اقام الرعد مقام الغيث اعذر من ابى تمام لانه قد يرتفع سحاب وبرق لامطرفيه فاذا ارعد لايكاد يخلف ومن ذلك قول ابى تمام

يا هلالا اوفى با على قضيب * وقضيبا على كثيب مهيل

وقالوا هذا خطأ لان الكثيب اذا كان مهيلا فانه يذهب ولايستمسك وذلك مذموم من الوصف قالوا والجيد قوله

كالبدر غير مخيل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل

وقالوا قد تراه هنا كيف شرط فى الدعص لما مثل العجز به ان جعله غير مهيل

لان العرب اذا شبهت اعجاز النسآء بكثبان الرمل شرطت فيها ان تكون ندية وان تكون ممطورة كانها الكثبان غب سارية ناوية سمان من الني وهو التحسم كقول الاخر مثل الكثيب اذا ما بله المطر وكما قال مرداس بن ابى عامر السلمي

اذا هي قامت فى النسآء حسبت ما * فويق نطاق العقد صعدة مأسم

وانسفل منه ظهر دعص اصابه * نجاء السماك فى الكثيب المحسم

وقال الاخضر بن جابر الفزارى

بكرت اثناء اللفاع الاتحمى * بمثل دعص الرملة المديم

اراد الذى قد بلته الديمة وهى السحابة وقال جندل بن المثنى الطهوى

لا بل كدعصاء نفاها مثرى * عقرآ حفت برمال عفر

وقال امرؤ القيس

كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه * بما احتبسا من لين مس وتسهال

والحقف المستدير من الرمل لان الريح تنحله وتجمعه وقال يمشى الوليدان فوقه لان الندى اصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعمة وقد شبه امرؤ القيس ايضا كفل الفرس بالدعص الندى فقال

له كفل كالدعص لبده الندى * الى كاهل مثل الرتاج المضبب

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وان مال الضجيع بها فدعص * من الكثبان ملتبد مطير

قالوا هذا الوصف المجرد والمعنى الصحيح من معانى العرب ولو لا ان تشبيه ارداقه بالكثيب المنهال خطأ لما قال البحترى فى بيته الآخر والدعص غير مهيل وهذا المذهب الذى ذهبوا اليه لعمرى صحيح من مذاهبهم الا ان الشعرآء اذا شبهت اعجاز النسآء بكثبان الرمل ووصفتها بالانهيال فانما تقصد الى تحرك اعجازهن عند المشى كما قال رؤبة بن العجاج

اذا وصلن العوم بالهركل * رجرجن من اعجازهن الخزل

اوراك رمل واجّ فى رمل

فقال اوراك رمل واجّ فى رمل وولوجه تحركه ودخول بعضه فى بعض وكما قال الاعشى

ورادفة تثنى الرداء تساندت * الى مثل دعص الرملة المتهيل

فياف كعصن البان ترتج ان مشت * ديب قطا البطحاء فى كل منهل

فدل بقوله ترتج ان مشت على ان قوله الى مثل دعص الرملة المتهيل انما اراد تحرك عجزها فى حال مشيها وكذلك قول روبة

ميسالة مثل الكثيب المنهال * عزز منه وهو معطى الاسهال

صوب السوارى متنه بالتهتال

التهيال والهتان واحد فقال مثل الكثيب المنهال لما قال ميسالة اى انها تتثنى فى منبتها وتحرك روادفها وشرط انه عزز منه صوب السوارى اى شده ليمنع من سيلانه وذهابه وانما اراد حالا بين الحالين الا تراه قال وهو معطى الاسهال شدة صوب السوارى وهو مع ذلك يتهيل وقال ابن اخى سفيان الغامدى

ذات شوى عبل وخصر ابتل * وكفل مثل الكثيب الاهيل

فاراد بالاهيل الذى يتدحرج عند المشى وقال المقنع الكندى

اذا قامت تنوء بمرجحن * كدعص الرمل ينهال انهيالا

فجا بذكر الانهيال من اجل ذكره للقيام ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفا وقال عبد الرحمن بن الحكم

كان مابين قصراها وخنصرها * منها نقا دمث من عالج هار

فقصراها آخر الاضلاع وهى القصرى والقصيرى فدل بقوله هار على انه اراد تحرك روادفها فكذلك قول البحترى وقضيب على كثيب مهيل انما اراد تحرك اردافه وقد دل على المشى بقوله ياهلالا اوفى با على قضيب فالمعنيان لا يتناقضان لان الشاعر ان ذكر الانهيال فانه اراد الحركة عند المشى وان لم يذكر ذلك وشرط فى الكثيب الندى واصابة الغيث فانما قصد ان ينص على اجتماعه واستمساكه كما قال روبة ميالة مثل الكثيب المنهال ثم قال عزز منه وهو معطى الاسهال صوب السوارى متنه بالتهتال فانتظم الوجهان جميعا والذى شرح هذين المعنيين اتم الشرح وابر فى الوصف على كل محسن تميم بن ابى بن مقبل فى قوله يصف مشى النساء

يمشين هيل النقا مالت جوانبه * ينهال حينا وينهاه الثرى حينا

انما اراد بقوله ينهال حينا تحرك اعجازهن اذا مشين كما يتحرك جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب والرمل الندى وهذا لاشي

اوضح منه ومن ذلك قوله

متى اردنا وجدنا من يقصر عن * مسعاته وفقدنا من يدانيه

وقالوا ليس هذا بالجيد لانه وصف يشرك ممدوحه فيه البقال والمراق وباعة الدوآء ولقاط النوى لان هولآء ايضا متى شينا وجدنا من يقصر عن مسعاتهم وهو الحجام والكناس والنباش والبيت عندى صحيح وغرض البحترى فيه معروف ومثله قول الاعشى

واخو النسا متى ينسا يصرمنه * ويعدن اعدآء بعيد وداد

وهو لايشآء بذلك وانما اراد ان ذلك سهل موجود فى النسآء وكذلك قول البحترى متى اردنا وجدنا اى ان ذلك موجود سهل حاصل وان لم يكن هناك ارادة ولا طلب لان تلك حال قد علمت منه وقد صحح المعنى و وكد المدح بقوله و فقدنا من يدانيه والبقال والمراق وامثالهما غير مفقود من يدانيهم فجعل البحترى احد القسمين فى البيت معلقا بالآخر اى ذلك كله سهل موجود ولو اقتصر على النصف الاول كان لعمرى فيه متعلق ومن ذلك قوله

تهاجر ام لا وصل يخلطه * الا تزاور طيفينا اذا هجرا

قالوا والطيفان لا يهجران وانما اراد اذا هجرانا فقال اذا هجرا وقد سمعت من يحتج فيه بما لا يبعد عندى من الصواب وهو ان قال انه اراد الا تزاور نفسينا اذا هجرا فاقام الطيف مقام النفس وقال هجرا ولم يقل هجرنا للفظ الطيف وهو مذكر وقال ان النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فقيل له انفس لعمرى يطلق عليها النوم فاذا نامت رات خيالات الاشيآء التى ترى حقائقها فى اليقظة فالنفس غير الخيال وقد تمثل للنفس فى حال يقظتها وان لم ترها العين فليس النفس من الخيال فى شئ قال فاذا كانت النفس والخيال يلتقيان فى النوم فلم لا اسميهما خيالين وان كان احدهما خيالا والآخر نفسا على المجاز الذى تفعله العرب وهذا عندى احتجاج صحيح ويصح عليه معنى البيت ومما نسبوا فيه البحترى الى سوء التقسيم قوله

فكان مجلسه المحجب محفل * وكان خلوته الخفية مشهد

وقالوا انه ليس فى المصراع الثانى من الفائدة الا ما فى الاول لان مجلسه المحجب هى خلوته الخفية وقوله محفل كقوله مشهد والمعنى عندى صحيح لان المجلس

المحجب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم وفى الاكثر الاعم لا يسمى مجلسا الا وفيه قوم الا ترى الى قول مهلهل واستب بعدك يا كليب المجلس اى اهل المجلس على الاستعارة فجعل البحترى مجلسه الذى احتجب فيه مع ما يخصه كالمحفل والمحفل هو المجمع الكثير والخلوة الخفية قد يكون فيها منفردا وقد يكون معه محبوب فيها وبين المجلس والمحفل فرق فكانه اذا خلا خلوة خفية وفيها معه من يشاهده ومن يشاهده يجوز ان يكون واحدا او اثنين والمحفل لا يكون الا عددا كثيرا فهذا ايضا فرق صحيح وانما اراد البحترى انه لايفعل فى مجلسه المحجب الا ما يفعله فى المحفل ولايفعل فى خلوته الخفية الا ما يفعله مع من يشاهده ينسبه الى شدة التصاون وكرم السريرة ومثله قوله

امين الله دمت لنا سليما * ومليت السلامة والدوايا

قالوا وقوله دمت لنا سليما هو قوله مليت السلامة والدوايا فان هذا قبيح جدا وليس الامر عندى كذلك بل القسمة صحيحة لانه لما تقدم ذكر السلامة والدوام فى اول البيت قال فى عجزه ومليت السلامة اى اديمت لك تلك السلامة والملاوة بكسر السين وضمها وفتحها ذكر ابن السكيت انها ثلاث لغات وذلك الدوام وليس بمنكر ان يقول دام لك الدوام كما يقول طال طوالك وقر قرارك وضل ضلالك وزال زوالك وذلك كلام مستعمل حسن ومعنى مليت اطيلت واديمت مثل تمليت وهو مأخوذ من الملاوة والملاوة وهما الدهر والالوان الليل والنهار ومنه قولهم وقفت مليا وقال البحترى

اليوم اطلع للخلافة سعدها * واضاء فينا بدرها المتهلل
لبست جلالة جعفر فكانها * سحر تجلله النهار المقبل

وقالوا هذا معنى فاسد لان السحر طرة النهار واوله وبدء ضيائه والشئ فى مثل هذا لا يتجلل اوله لان التجلل هو ان يستمل عليه ويغطيه والسحر امام النهار ابدا فلايجوز ان يتغشاه لانه المتصل بالظلمة والمختلط بها والضارد لها فهو يدور حول كرة الارض دائما على صورة واحدة لايتغير وهذا عندى معارضة صحيحة الا ان هذا معنى يتجاوز فى مثله لان البحترى انما اراد تجلله النهار فى راى اعيننا وما نشاهده لان زرقة السحر لما استظار الضوء صار كانه شئ غطى عليها وان كانت حقيقتها انها تدلت الى قطر آخر من الارض

وقال البحترى

لم ار كالهجر لم يرحم معذبه * والوصل لم يعتمد معطاه بالجود

وهذا بعضهم كان يراه سهوا ويقول ان المعذب بالهجر مرحوم فاما الذى يواصله حبيبه فمغبوط ابدا ومحسود وقد قيل فى ذلك من الاشعار ماهو اشهر واكثر فمنها قول يزيد بن الطثريه

اعوذ تجديك الكريمين ان يرى * لنا حاسد فى غير الوصل مطمعا

وقول ابى صخر الهذلى

فقد تركتنى احسد الطير ان ارى * اليفين منها لم يروعهما النفر

وقول جرير

ويحسد ان يزوركم ويرضى * بدون البذل لو علم الحسود

وقول جميل بن معمر

لولا الوشاة لزرتكم ببلادكم * لكن اخاف مقالة الحساد

وقول عتبة بن مجر الحارثى

ايام تهجرنى ليلى واحسدها * واطيب العيش عندى مضغة الحسد

اى هى تهجرنى وانا احسد ها اى احسد عليها وليس الامر عندى فى هذا البيت ما تاوله المتاول وظنه وذلك ان البحترى لم يرد بقوله لم ار كالهجر لم يرحم معذبه حسن الهجر ولاحسن الوصل فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل يقال اهلك الناس الدينار والدرهم وانما اراد لم ار كالهجر لم يرحم معذبه اى كالهجر الذى هذه حاله ولم يرد كل الرجال وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول

وتحسد ان يسرى الينا من الهوى * عقائل يعتاد الهوى باعتيادها

فكم نافسوا فى حرقة اثر فرقة * تعجب من انفاسنا وامتدادها

فقد ترى كيف يزعم انه يحسد على الجوى وعلى الحرق فكيف على الوصل

وقال البحترى

اى ليل يبهى بغير نجوم * وسحاب يندى بغير بروق

عابه بعضهم بهذا وقالوا قد يكون برق ولاغيث معه وهو برق الخلب والرجل لم يقل لابرق الا ومعه مضر وانما قال لامطر الا ومعه برق وسمعت من يعيب قوله

كالروض موتلفا بحمرة لونه * وبياض زهرته وخضرة عشبه

ويقول النور هو الابيض والزهر هو الاصفر بلا محالة فاذا قلت فى هذا الروض انوار مختلفة جاز ذلك لانك تضم الى البياض غيره فيجرى الرسم على الجميع على سبيل المجاز كما تقول العمران لابى بكر وعمر رضى الله عنهما والقمران للشمس والقمر وما اشبه ذلك وكذلك اذا قلت فيها ازهار كثيرة جاز ذلك وان كان فيها ابيض واحمر وما سواهما من الصفرة توسعا ومجازا فاذا فصلت مقيدا لان تخص كل جنس باسم كما فعل البحترى لم يجز ان يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص فتقول حينئذ يعجبنى من هذا الموضع صفرة زهره وبياض نوره وحمرة شقائقه ولايجوز ان تقول يعجبنى حمرة نوره ولا بياض زهره كما قال البحترى لان ذلك خطا فى اللغة على ما استعملته العرب ولعمرى ان هذا هو الاشهر فى كلامهم والاغلب فى المأثور عنهم الا انهم قد جعلوا الزهر نورا والنور زهرا وجاء ذلك فى الشعر قال عدى بن زيد

حتى تهول مستكا له زهر * من التناوير شكل العهن فى اللوم

اللوم جمع لامة ولومة وهى متلع الرجل من الاشلة والولايا تكون موشاة بالعهن والصوف المصبوغ بالحمرة وغير ذلك من الالوان فقال زهر ثم قال من التناوير وقال شكل العهن وقال زهير بن مسعود

متور غدق الندى قريانه * مثل العهون من الخواطر مقمر

وقال ابو النجم

فالروض قد نور فى حوائه * مختلف الالوان فى اسمائه

نور تحار الشمس فى حمرائه * مكللا بالنور من صفرائه

فقال بالنور من صفرائه وقال حميد بن ثور

كان على اشداقه نور حنوة * اذا هو مد الجيد منه ليضعما

يصف فرخ الحمامة وصفرة اشداقه ويشبهها بصفرة نور الحنوة ولم يقل زهر حنوة وقال الاعشى

وشمول تحسب العين اذا * ضفقت وردتها نور الدبج

والدبج نبت ونوره احمر شديد الحمرة ويقال له الذبج وهذا كله دليل على ان هذه الاسماء تستعمل فى هذه الالوان كما ترى على اختلافها وسمعت من يعيب

قولـه

فجدل وموسـد ومرمـل * ومضرج ومضمخ ومخضب

ويقولون ان قوله مضرج ومضمخ ومخضب بمعنى واحد ذكر انه ان اراد رجلا واحدا انه مضرج ومضمخ ومخضب جاز لان لفظة تكون موكدة للاخرى قال ولكنه اراد منهم مضرج ومنهم مخضب كما فهم فى صدر البيت ولعمرى ان البحترى كذلك اراد وليس بمنكر لان التضرج من التضريج وهى الحمرة المشرقة التى ليسب بقانية والمضمخ يريد غلظ الدم وانه فى متانة الطيب الذى يتضمخ به والمخضب اراد ان الدم قد خضبه كما يخضب بالحناء ففى كل لفظة ما ليس فى الاخرى وان كانت الحمرة قد شملت الجميع لان المضرج يجوز ان يكون اراد به طراوة الدم اى منهم حديث عهد بالقتل والمضمخ من قد خثر عليه الدم كان قتله قد تقدم قبل الاخر والمخضب يجوز ان يكون مضى لقتله يوم واكثر فقد اسود عليه الدم وهذه معان كلها محتملة وقد يجوز ان يريد بقوله مضرج سائر جسده وبالمضمخ ان السيف اخذ عوارضه وتحت لحيته وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب واراد بالمخضب ان السيف اخذ فى راسه ويديه ورجليه وذلك مواضع الخضاب وقد يكون المضرج المقطع يقال ضرجته اذا قطعته وهذه معان لطيفة وقد يجوز ان يعتد بها والوجه القوى هو الاول وسمعت قوما ينكرون قوله فى وصف الخمر

وفواقع مثل الدموع ترددت * فى صحن خد الكاعب الحسناء

ويقولون ان الدموع لا تتردد فى الخد كما يتردد الحباب فى الكاس وانما الدمع يجرى ويتتابع والمعنى صحيح ولاعيب فيه لان التردد قد يكون الجولان وقد يكون التتابع والتواتر يقال قد تتابعت كتبى اليك وترددت بمعنى وتواترت كتبى وتتابعت والكتاب الاول هو غير الثانى وكذلك قد يكون الرسول الاول غير الرسول الثانى وانما حسن ان يقال تتابعت وترددت لان كل واحد من الرسل رسول فلما ضمهم اسم واحد حسن استعمال التتابع والتردد وان كانت اشخاصا متباينة وكل واحد غير الآخر فكذلك الدمع حسن ان يقال قد تتابعت دموعه على خده وترددت وان كانت كل دمعة غير الاخرى والحباب وان جال فى القدح حائرا فيه فانه ربما جرى فيه على جهة واحدة كما يجرى الدمع على جهة واحدة

وهذا من احسن التشبيه واليقه لان الخمر قد يكون منهـا احمر الى التورد الخفيف كحمرة الخد وخاصة اذا ارقت بالمـاء كما قال الشـاعر

كميت اذا قصت وفى الكاس وردة * لهـا فى عظام الشاربين دبيب

فاذا شبهت الحمرة بالخد وذكر الحباب فمن اليق ماشبه به واحسنه واصحه الدمع لان الدمع قد يقف فى الخد كوقوف الحباب فى صحن الكاس وباب اختلاف حركة الحباب اوحركة الدمع فليس كل شى يشبه بشئ يقع التشبيه فيه من جميع الجهـات حتى لا يغادر منهـا شى وقد يكون انمـا شبه به ببعض ما فيه لابكله

ورايت ممن عاب قوله

وصبغت اخلاق برونق خلقه * حتى عدلت اجاجهن بعذبه

وقالوا انمـا كان ينبغى لما ذكر الاجاج والعذب ان يقول فزجت لا ان يقول وصبغت اولما قال وصبغت ان يقول حتى عدلت الوانهن بحسن لونه وليست هذه المعـارضة بشئ والمعنى صحيح وذلك انه ليس هناك صبغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافىء المعنيان ولامشروب عذب ولا اجاج على الحقيقة فيستعمل بذكر المزاج وهذه استعارات ينوب بعضها عن بعض ويقوم بعضها مقـام بعض لانهـا ليست بحقائق فيمـا استعيرت له الا ترى انك تقول فلان قد شـارك فلانا وخالطه ومازجه وانصبغ به بمعنى واحد وان كان بعضها اوكد من بعض ولايكون هنالك مداخلة ولا ممازجة لجسم فى جسم ولامخالطة على الحقيقة

ومما عيب عليـه من التعسف والتعقيـد فى اللفظ قـوله

فتى لم يمل بالنفس منـه عن العلى * الى غيرهـا شئ سـواه مميلهـا

وكان بعض النـاس يرى انه لاحن ويقول انه انمـا اراد فتى لم يمـل بنفسـه عن العلى شئ مميل نفس سواه اى ما يميل النفس عن المعـالى اللهو واللعب والدعة وحب الراحة والضن بالمال ونحو هذا من الاشـياء الشاغلة عن السودد فقدم سواه وكنى عن النفس بقوله مميلها بعد ان حذفها قال وذلك غير جائز لانك اذا قلت لن يضرب هامة عمرو فقلت لن يضرب هامة عمرو واحد غير ضاربهـا وجعلت الهاء فى ضاربها كناية عن الهامة لتقدمها جاز لان البصريين من النحويين يقولون هامة غير ضاربها هو كما انه لو قال شى نفس سواه مميلهـا هو جاز فان فصلت الاضافة واسقطت هامة وقدمت غيره فقلت لن يضرب

هامة عمرو واحد غير ضاربها لم يجز لاسقاطك الهامة التى كنايتها الهاء فى قولك ضاربها ولايجوز الكناية عن غير مذكور مثل هذا فكذلك لايجوز فى البيت شئ سواه يميلها وهو يريد شئ نفس سواه يميلها لان الهاء فى قوله يميلها كناية عن النفس فلا يجوز اسقاط النفس وهذا لعمرى ان كان البحترى اراده فهو غالط غير انه والله اعلم انما اراد فتى لا يميل بالنفس منه عن العلى الى غيرها شئ يخفض شئ على ان الممدوح هو الذى لم يمل بنفسه عن العلى الى شئ غيرها ثم قال سواه يميلها على الابتداء والخبر اى لكن سواه من الناس يميلها فاضمر لكن وهذا سائغ وانشد سيبويه

على الحكم المأتى يوما اذا قضى * قضيته ان لايجور ويقصد

قال اراد ولكنه يقصد فاضمر لكن فلذلك رفع يقصد وعلى انه مستعمل كثير فاش فى الكلام ان تقول زيد لايقعد عن المكارم وعمرو يقعد عنها وانا لا اجفوك اما بكر الجافى لك فيكون الكلام مستغنيا بنفسه فلا يحتاج الى اضمار فان سلم البيت من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف ولست اعرف بيتا تعسف فى نظمه غير هذا ومن ردى التجنيس وقبيحه

أمنا ان تصرع عن سماح * والآمال فى يدك اصطراع

يقول امنا ان يغلبك غالب يصرعك عن السماح ويمنعك منه وللامال فى يدك اصطراع اى تنافس وتغالب وازدحام وقوله فى يدك لان العطاء اليها ينسب وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر فقال يصف اخلاق الممدوح

يتصرعن للرجاء دنو ال * مزن والودق خارج خلله

وهى ههنا اقل قبحا منها فى البيت الاول ولو قال يتدانين للرجاء دنو المزن كان احسن فى اللفظ واوفق من اجل التجنيس ولكن يتصرعن اوكد فى المعنى لانه يعنى يتساقطن ويتطرحن يريد الاسراع الى الرجاء من غير ترفق ولا توق للانحطاط والوقوع ليدل على الحرص والشهوة وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر واوقعها موقع الذم فقال

من يتصرع فى اثر مكرمة * فدأبه فى اتباعها دأبه

يريد من تساقط فى اثر مكرمة اذا سعى لطلبها ولم يكن له نهوض فيها فداب الممدوح دابه المعروف المشهور منه اى جده ولحاقه وحرك الداب الثانى وسكن

الاول ومعناهما واحد ويجوز ان يكون اراد فدابه فى اتباعها اى عادته فى اتباعها دابه اى سعيه وحركته وهو اجود ومن ردى التجنيس ايضا قوله

حييت بل سقيت من معهودة * عهدى غدت مهجورة ما تعهد

ويروى سقيت من معمورة يخاطب الدمن اى عهدى بها معمورة معهودة ومن روى معهودة عهدى اى عهدى بها معهودة فغدت معهودة ما تعهد وقد يكون تعهد من التعهد ويكون قوله ما تعهد اى قد نسيت وهذه شبه تجنيسات ابى تمام

﴿ باب فى اضطراب الاوزان ﴾

ومارأيت شيئا مما عيب به ابو تمام الا وجدت فى شعر البحترى مثله الا انه فى شعر ابى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل من ذلك اضطراب الاوزان فى شعر ابى تمام وقد جاء فى شعر البحترى بيت هو عندى اقبح من كل ما عيب به ابو تمام فى هذا الباب وهو قوله

ولما ذا تتبع النفس شيئا * جعل الله الفردوس منه بوآء

وكذلك وجدته فى اكثر النسخ وهذا هذا خارج عن الوزن والبيت من العروض هو البيت الاول من الخفيف سداسى فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

﴿ قلت وجدت على حاشية النسخة التى كتبها الشيخ عبد الكريم اعتراضا على قول المصنف وكذلك وجدته فى اكثر النسخ وهذا نص ما قاله

قوله وكذلك وجدته فى اكثر النسخ لا يلزم من وجدانه فى اكثر النسخ ان تكون لفظة الفردوس فى البيت من نظم البحترى لاحتمال انها من الكاتب الاول وقعت سهوا لان البحترى اجل من ان يجهل اوزان الشعر فلوكان الرواة رووا عنه هذا لامكن التاويل باحتمال السهو منه حال الرواية ثم قوله وجدته فى اكثر النسخ مشكل ومن اين له ان الذى وقف عليه من النسخ كان اكثر النسخ فان الاكثرية لا تعلم الا اذا علم عدد النسخ جميعها الموجودة فى ذلك الوقت وهو امر متعذر وان اراد بالنسخ النسخ التى وصلت اليه وان اكثرها كان هكذا والاقل منها مستقيم فالاعتراض حينئذ لامحل له لظهور ان الغلط من الكاتب الاول لبعض النسخ ﴾ وتقطيعه

ولما ذا * تتبعن * نفس شيئا * جعلل لاهل * فردوس من * هبوآء

فعلاتن * مفاعلن * فاعلاتن * فعلاتن * مستفعلن * فعلاتن

فحذف الف فاعلاتن الاولى والثانية والاخيرة فصارت فعلاتن وسين مستفعلن الاولى فصارت مفاعلن وذلك كله زحاف جائز وزاد فى البيت سببا وهو حرفان الهاء من اسم الله عز وجل واللام من لفظ الفردوس وهو اكفاء ولا اعرف مثل هذا البيت وقد رايت فى بعض النسخ جعل الخلد منه بوآء فان يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ويكون تقطيع البيت جعلالا هل خلد من هبوآء

وقال البحترى

حلأتنا عن حاجة ممنوع * مبتغاها وحاجة ممطوله

وهذا من العروض هو البيت الاول من الخفيف وتقطيعه

حلاتنا عن حاجتن ممنوعن * مبتغاها وحاجتن ممطوله

فاعلاتن * مستفعلن * مفعولن * فاعلاتن * مفاعلن * مفعولن

وكان يجب ان تكون عروض البيت وهى مفعولن الاولى فاعلاتن ولايجوز فيها مفعولن بل لوكان البيت مصرعا لجاز فى عروضه مفعولن كما جاز فى ضربه وهى القافية وذلك قوله ممطوله واما جعله مفاعلن فى موضع مستفعلن الثانية فى البيت فذلك جائز من الزحاف وقد غير قوم هذه اللفظة فى البيت وهى ممنوع فقالوا بمنوع مبتغاها اى حلاتنا عن حاجة منع مبتغاها من عائق وحال عليها ويكون مبتغاها فى موضع نصب بمنوع وهو محتمل

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى وانا اذكر باذن الله الآن فى هذا الجزء المعانى التى يتفق فيها الطائيان فاوازن بين معنى ومعنى واقول ايهما اشعر فى ذلك المعنى بعينه فلا تطلبنى ان اتعدى هذا الى ان افصح لك بايهما اشعر عندى على الاطلاق فانى غير فاعل ذلك لانك ان طلبتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد وان طالبت بالعلل والاسباب التى اوجبت التفضل فقد اخبرتك فيما تقدم بما احاط به علمى من نعت مذهبيهما وذكر مطلوبيهما فى سرقة معانى الناس وانتحالهما وغلطهما فى المعانى والالفاظ واساآة من اساآ منهما فى الطباق والتجنيس والاستعارة وردآة النظم واضطراب الوزن وغير ذلك مما اوضحته فى مواضعه وبينته وما سيعود ذكره فى الموازنة من هذه الانواع على مايقوده القول وتقتضيه الحجة وما ستراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعهما فانى اوقع

الكلام على جميع ذلك وعلى سائر اغراضهما ومعانيهما فى الاشعار التى ارتبها فى الابواب وانبه على الجيد وافضله على الردى وابين الردى وارذله واذكر من علل الجميع ما ينتهى اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى مالم يمكن اخراجه الى البيان ولا اظهاره الى الاحتجاج وهى علة ما لايعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل اهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد ان يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج والا لايتم ذلك وأكملك بعد ذلك الى اختيارك وما تقضى عليه فطنتك وتميزك فينبغى ان تتم النظر فيما يرد عليك ولن ينتفع بالنظر الا من يحسن ان يتامل ومن اذا تامل علم ومن اذا علم انصف ثم ان العلم بالشعر ان خص بان يدعيه كل احد وان يتعاطاه من ليس من اهله فلم لايدعى احد هولاء المعرفة بالعين والورق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وانواعه ولعله قدلابس من امر الخيل وركوبها ولسلاح والعلم بذلك والرقيق واقتنائه والثياب ولبسها والطيب واستعماله اكثر مما عاناه من امر الشعر وروايته فلا يتهم نفسه فى المعرفة بالشعر تهمته اياها بالمعرفة ببعض هذه الاشيآ مما عاناه وتناوله وما باله وقد ركب الخيل كثيرا لما راقه من الفرس ملاحة سبيبه واستدارة كفله وبريق شعره وحسن اشرافه وعنقه وموضع نتاجه وصحة قوائمه وسلامة اعضآئه وبرآئه من العيوب الظاهرة والباطنة وكذلك السيف لما بهره جلآوه وصقاله وصفآ حديده لم يمض فيه اختياره على غيره من السيوف حتى ساور من يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفرنده ومضآءه وكذلك لما اعجبه من ثوب الوشى حسن طرزه وكثرة صوره وبديع نقوسه واختلاط الوانه لم يبادر الى اعطآ ثمنه حتى رجع الى اهل العلم بجوهره وكثرة ماآئه وجودة رقعته وصحة نساجته وخلاص ابريسمه فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راءه حسن وزنه وقوافيه ودقيق معانيه ومايشتمل عليه من مواعظ وادب وحكم وامثال فلم يتوقف عن الحكم له على ماسواه حتى يرجع الى من هو اعلم منه بالفاظه واستوآ نظمه وصحة سبكه ووضع الكلام منه فى مواضعه وكثرة ماآئه ورونقه اذ كان الشعر لايحكم له بالجودة الا بان تجتمع هذه الخلال فيه الا ترى انه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ويكون احدهما افضل من الآخر بفرق لا يعلمه الا اهل

الخبرة والدربة الطويلة وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال المتقاربتان فى الوصف السابقتان من كل عيب قد يفرق بينهما العالم بامر الرقيق حتى يجعل فى الثمن بينهما فضلا كبيرا فاذا قيل له وللنخاس من اين فضلت انت هذه الجارية على اختها ومن اين فضلت انت هذا الفرس على صاحبه لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما وانما يعرفه كل واحد منهما بطبعه وكثرة دربته وطول ملابسته فكذلك الشعر قد يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم اهل العلم بصناعة الشعر ايهما اجود ان كان معناهما واحدا اوايهما اجود فى معناه ان كان معناهما مختلفا وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سلام الجمحى وابوعلى دعبل بن على الخزاعى فى كتابيهما وحكى اسحاق الموصلى قال قال لى المعتصم اخبرنى عن معرفة النغم وبينها لى فقلت ان من الاشياء اشياء تحيط بها المعرفة ولاتوديها الصفة قال وسالنى محمد الامين عن شعرين متقاربين وقال اختر احدهما فاخترت فقال من اين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان فقلت لوتفاوتا لامكننى التبيين ولكنهما تقاربا وفضله هذا بشى تشهد به الطبيعة ولا يعبرعنه اللسان وقد قيل لخلف الاحمر انك لا تزال ترد الشئ من الشعر وتقول هو ردى والناس يستحسنونه فقال اذا قال لك الصيرفى ان هذا الدرهم زائف فاجهد جهدك ان تنفقه فلاينفعك قول غيره انه جيد فمن سبيل من عرف بكثرة النظر فى الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له ان يفضى له بالعلم بالشعر والمعرفة باغراضه وان يسلم له الحكم فيه ويقبل منه ما يقوله ويعمل على تمثاله ولاينازع فى شى من ذلك اذكان من الواجب ان يسلم لاهل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها ولا ينازعهم الا من كان مثلهم نظرا فى الخبرة وطول الدربة والملابسة فانه ليس فى وسع كل احد ان يجعلك ايها السائل المعنت والمسترشد المتعلم فى العلم بصناعته كنفسه ولايجد الى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده ومن هو اخص الناس به سبيلا ولا ان ياتيك بعلة قاطعة ولاحجة باهرة وان كان ما اعترضت فيه اعتراضا صحيحا وما سألت عنه سؤالا مستقيما لان ما لا يدرك الا على طول الزمان ومرور الايام لا يجوز ان تحيط به فى ساعة من نهار * ثم ان العلم الذى لا يعلم به فى اكثر احواله الا بالروية والمشاهدة لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة وقد قيل ليس الخبر كالمعاينة وعلة ذلك بينة واضحة ومعلوم ظاهر هى انه لا يمكن ان يشاهد بك جميع المعلومات التى احتواها

وعلم عمله بملابستها فى السنين الطويلة فمن المحال ان يقدر ان يصف لك عشرة الاف جارية اوعشرة الاف سيف مختلفات الاجناس والجواهر فيجعلك مشاهدا لذلك كله فى لحظة واحدة ووقت واحد ومخبرا لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس فى تلك الساعة وهو انما علم ذلك على مرور الايام وطول الزمان وهذا مجال لا يمكن ولايسوغ ولا يقدر عليه الا خالق الخلق وبارئ البشر وبعد فلم لا تصدق نفسك ايها المدعى وتعرفنا من اين طرأ لك الشعر امن اجل ان عندك خزانة كتب فتستمل على عدة من دواوين الشعرآء وانت ربما طلبت ذلك اوصحفته او حفظت القصيدة والخمسين منه فان كان ذلك هو الذى قوى طنك ومكن نفتك بمعرفتك فلم لا تدعى المعرفة بثياب بدنك ورحل بيتك ونفقاتك فانك دأبا تستعمل ذلك وتستمتع به ولاتخلو من ملابسته كما تخلو فى كثير من الاوقات من ملابسة الشعر ودراسته وانشاده حتى اذا رمت تصريف دينار بدراهم او تصريف دراهم بدينار او ابتياع ثوب او شى من الآلة لم تثق بفهمك ولاعلمك حتى ترجع الى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ولم لما خفت الغبنة فى مالك فاذعنت وسلمت واقررت بقلة المعرفة ولم تخش الغبنة والوكس فى عقلك فتسلم العلم بالشعر الى اهله فان الضرر فى غبن العقل اعظم من الضرر فى غبن المال فان قلت وما العلم بالخيل والبز والرقيق والذهب والفضة التى لم يطبع الانسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طبع على الكلام فكان كل احد متكلما وليس كل احد صيرفيا ولا بزازا ولانخاسا قيل ولا كل احد يكون شاعرا ولاخطيبا ولا منطيقا بليغا ولابارعا ولوكان ذلك كذلك لما رايت احدا يتكلم فيضحك منه فالانسان المتكلم يعلم معانى الفاظ لغته ولايعلم جيدها من رديئها ومتخيرها من مرذولها كما انه يعلم ايضا انواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ويميز بين اجناسها ولا يعلم جيد كل جنس من رديئه وارفعه من دونه فكما ان المعرفة بكل جنس من هذه صناعة فكذلك المعرفة بكل جنس من اجناس الكلام والخطابة صناعة فاذا رجعت فى المعرفة بتلك الى اهلها فرجع ايضا بهذه الى اهلها وبعد فانى ادلك على ما تنتهى اليه البصيرة والعلم بامر نفسك فى معرفتك بامر هذه الصناعة او الجهل بها وهو ان تنظر ما اجمع عليه الائمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعرآء على بعض فان عرفت عله ذلك

فقد علمت وان لم تعرفها فقد جهلت وذلك بان تتامل شعر اوس بن حجر والنابغة الجعدى فتنظر من اين فضلوا اوسا وتنظر فى شعر كثير بن بشر بن ابى حازم وتميم بن ابى مقبل فتنظر من اين فضلوا كثيرا واخبرنى بعض الشيوخ عن ابى العباس ثعلب عن ابى الاعرابى عن المفضل ان سائلا ساله عن الراعى وذى الرمة ايهما اشعر فصاح عليه صيحة منكرة اى لايقاس ذو الرمة بالراعى وكذلك غير المفضل لا يقيسه به ولا يقارب بينهما فتامل ايضا شعرى هذين فانظر من اين وقع التفضيل فهذا الباب اقرب الابواب لك الى ان تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده فان علمت من ذلك ما علموه ولاح لك الطريق التى بها قدموا من قدموه واخروا من اخروه فثق حينئذ بنفسك واحكم يستمع حكمك وان لم يتسه بك التامل الى علم ذلك فاعلم انك بمعزل عن الصناعة ثم ان كنت شاعرا فلا تظهر سعرك واكتمه كما تكتم سرك فان قلت انك قد انتهى بك التامل الى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والاسباب فان لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودليله من اختياراتك وتميزك بين الجيد والردى ثم انى اقول بعد ذلك لعلك اكرمك الله اغتررت بان شارفت شيا من تقسيمات المنطق وجملا من الكلام والجدال او علمت ابوابا من الحلال والحرام او حفظت صدرا من اللغة او اطلعت على بعض مقاييس العربية وانك لما اخذت بطرف نوع من هذه الانواع بمعاناة ومزاولة ومتصل عناية فتوحدت فيه وميزت ظننت ان كل ما لم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى وانك متى تعرضت له وامررت قريحتك عليه نفذت فيه وكشفت عن معانيه هيهات لقد ظننت باطلا ورمت عسيرا لان العلم اى نوع كان لا يدركه طالبه الا بالانقطاع اليه والاكباب عليه والجد فيه والحرص على معرفة اسراره وغوامضه ثم قد يتاتى جنس من العلوم لطالبه ويسهل ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر لان كل امرء انما يتيسر له ما فى طبعه قبوله وما فى طاقته تعلمه فينبغى اصلحك الله ان تقف حيث وقف بك وتقنع بما قسم لك ولا تتعدى الى ما ليس من شانك ولا من صناعتك (باب من فضل ابا تمام) وجدت اهل البصرة من اصحاب البحترى ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكلفه لا يدفعون ابا تمام عن لطيف المعانى ودقيقها والابداع والاغراب فيها والاستنباط لها ويقولون انه وان اخطل فى بعض مايورده فان الذى يوجد فيها من النادر

المستحسن اكثر مما يوجد من التسخيف المسترذل وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة وانه اذا لاح له اخرجه باى لفظ استوى من ضعيف اوقوى وهذا من اعدل كلام سمعته فيه واذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشئ الذى هو ضالة الشعراء وطلبتهم وهو لطيف المعانى وبهذه الخلة دون ماسواها فضل امرء القيس لان الذى فى شعره من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعرآ من الجاهلية والاسلام حتى انه لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة من ان تشتمل من ذلك على نوع وانواع ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرء القيس فيها واقباله عليها لما تقدم على غيره ولكان كسائر سعرآء اهل زمانه اذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ولا لالفاظه من الجزالة والقوة ما ليس لالفاظهم الا ترى ان العلمآء بالشعر انما احتجوا فى تقديمه بان قالوا هو اول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير واول من قال قيد الاوابد واول من قال كذا وقال كذا فهل هذا التقديم له الا لاجل معانيه وقالوا واذا كان قد اضطرب لفظ ابى تمام واختل فى بعض المواضع فهل خلا من ذلك شاعر قديم او محدث هذا الاعشى يحيل لفظه كثيرا ويسفسف دائما ويرق ويضعف ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة والفاظ النابغة فى الغاية من البراعة والحسن عديلا زهير الذى صرف اهتمامه كله الى تهذيب الفاظه وتقويمها والحقوه بامرء القيس الذى جمع الفضيلتين فجعلوهم طبقة وصار فضل كل واحد من غير الوجه الذى فضل منه صاحبه ولو ان ابا تمام حى يخلو من كل فضل جيد البتة او لو انه قال بالفارسية او الهندية

واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف فضل عرف العود

اوقال

هى البدر يغنيها تودد وجهها * الى كل من لاقت وان لم تودد

او ما اشبه هذا من بدائعه حتى يفسره لنا مفسر بكلام عربى منثور اما كان هذا يكون شاعرا محسنا باعثا شعرآ زمانه من اهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه فكيف وبدائعه مشهورة ومحاسنه متداولة ولم يات الا بابلغ لفظ

واحسن سبك (باب فى فضل البحترى) ووجدت اكثر اصحاب أبى تمام لا يدفعون البحترى عن حلو اللفظ وجودة الوصف وحسن الديباجة وكثرة الماء فانه اقرب ماخذا واسلم طريقا من ابى تمام ويحكمون مع هذا بان ابا تمام اشعر منه وقد شاهدت وخاطبت منهم على ذلك عددا كثيرا وهذا رجل مايراعيه من امر الشعر دقيق المعانى ودقيق المعانى موجود فى كلامه وكل لغة وليس الشعر عند اهل العلم به الا حسن التاتى وقرب الماخذ واختيار الكلام ووضع الالفاظ فى مواضعها وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله وان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحترى قالوا وهذا اصل يحتاج اليه الشاعر والخطيب صاحب النثر لان الشعر اجوده ابلغه والبلاغة انما هى اصابة المعنى وادراك الغرض بالفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف لاتبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ولاتنقص نقصانا يقف دون الغاية وذلك كما قال البحترى *

والشعر لمح تكفى اشارته * وليس بالهذر طولت خطبه

وكما قال ايضا

ومعان لو فصلتها القوافى * هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ الغريب فادركن به غاية المرام البعيد

فان اتفق مع هذا معنى لطيف او حكمة غريبة او ادب حسن فذلك زائد فى بهاء الكلام وان لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى بما سواه قالوا واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان او حكمة الهند او ادب الفرس ويكون اكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب وان اتفق فى تضاعيف ذلك شئ من صحيح الوصف وسليمه قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فان شئت دعوناك حكيما اوسميناك فيلسوفا ولكن لا نسميك شاعرا ولاندعوك بليغا لان طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فان سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغا ولا المحسنين الفصحاء وينبغى ان تعلم ان سوء التاليف وردى اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه الى تأمل وهذا

مذهب ابي تمام في عظم شعره وحسن التاليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كانه قد احدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحترى ولذلك قال الناس لشعره ديباجة ولم يقولوا ذلك فى شعر ابي تمام واذا جاء لطيف المعانى فى غير غرابة ولاسبك جيد ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق او نقش العبير على خد الجارية القبيحة الوجه * وانا اجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ اهل العلم بالشعر زعموا ان صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لاتجود وتستحكم الا بأربعة اشياء جودة الآلة واصابة الغرض المقصود وصحة التاليف والانتهاء الى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهذه الخلال الاربع ليست فى الصناعات وحدها بل هى موجودة فى جميع الحيوان والنبات * ذكرت الاوائل ان كل محدث مصنوع محتاج الى اربعة اشياء علة هيولانية وهى الاصل وعلة صورية وعلة فاعلة وعلة تمامية فاما الهيولى فانهم يعنون الطينة التى يبتدعها البارى تبارك وتعالى ويخترعها ليصور ماشاء تصويره من رجل او فرس او جمل او غيرها من الحيوان او برة او كرمة او نخلة او سدرة او غيرها من سائر انواع النبات والعلة الفاعلة هى تأليف البارى جل جلاله لتلك الصورة والعلة التمامية هو ان يتمها تعالى ذكره ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها وكذلك الصانع المخلوق فى مصنوعاته التى علمه الله عز وجل اياها لاتستقيم له وتجود الا بهذه الاربعة وهى آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار وفضة الصائغ وآجر البناء والفاظ الشاعر والخطيب وهذه هى العلة الهيولانية التى قدموا ذكرها وجعلوها الاصل ثم اصابة الغرض فيها بقصد الصانع صنعته وهى العلة الصورية التى ذكرتها ثم صحة التاليف حتى لايقع فيه خلل ولا اضطراب وهى العلة الفاعله ثم ان ينتهى الصانع الى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهى العلة التمامية فهذا قول جامع لكل الصناعات المخلوقات فان اتفق الان لكل صانع بعد هذه الدعائم الاربع ان يحدث فى صنعته معنى لطيفا مستغربا كما قلنا فى الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد فى حسن صنعته وجودتها والا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية بما سواها* وقد ذكر برزجمهر فضائل الكلام ورذائله وبعض ذلك دليل فى الشعر فقال ان فضائل الكلام خمس ان نقص منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرها وهى ان

يكون الكلام صدقا وان يوقع موقع الانتفاع به وان يتكلم به فى حينه وان يحسن تاليفه وان يستعمل منه مقدار الحاجة قال ورذائله بالضد فانه ان كان صدقا ولم يوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه وان كان صدقا واوقع موقع الانتفاع به وتكلم فى حينه ولم يحسن تاليفه لم يستقر فى قلب مستمعه وبطل فضل الخلال الثلاث منه وان كان صدقا ووقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه واحسن تاليفه ثم استعمل منه فوق الحاجة خرج الى الهذر او نقص عن التمام صار مبتورا وسقط منه فضل الخلال كلها وهذا انما اراد به بزجهر الكلام المنثور الذى يخاطب به الملوك ويقدمه المتكلم امام حاجته والشاعر لايطالب بان يكون قوله صدقا ولا ان يوقعه موقع الانتفاع به لانه قد يقصد الى انه يوقعه موقع الضرر ولا ان يجعل له وقتا دون وقت وبقيت الخلتان الاخريان واجبتان فى شعر كل شاعر ان يحسن تاليفه ولا يزيد فيه شيئا على قدر حاجته فصحة التاليف فى الشعر وفى كل صناعة هى اقوى دعائمه بعد صحة المعنى وكلما كان اصح تاليفا كان اقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تاليفه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم ﴾

وقد انتهيت الان الى الموازنة وكان الاحسن ان اوازن بين البيتين او القطعتين اذا اتفقنا فى الوزن والقافية واعراب القافية ولكن هذا لايكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى اليها المقصد وهى المرمى والغرض وبالله استعين على مجاهدة النفس ومخالفة الهوى وترك التحامل فانه جل اسمه حسبى ونعم الوكيل وانا ابتدى باذن الله من ذلك بما افتتحابه القول من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والاطلال والسلام عليها وتعفية الدهور والازمان والرياح والامطار اياها والدعاء بالسقيا لها والبكا فيها وذكر استعجامها عن جواب سائلها وما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش وفى تعنيف الصحابة ولومهم على الوقوف بها ونحو هذا مما يتصل به من اوصافها ونعوتها واقدم من ذلك ابتداآت قصائدهم فى هذا المعانى ان شاء الله تعالى

الابتداآت بذكر الوقوف على الديار قال ابو تمام

ما فى وقوفك ساعة من باس * تقضى حقوق الاربع الادراس

وهذا ابتدآء جيد صالح وقوله الادراس جمع دارس وقليل مايجمع فاعل على افعال ومثله شاهد واشهاد وماجد واماجد وصاحب واصحاب

وقال ايضا

قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد * وان هى لم تسمع لنشدان ناشد

اراد لنشدان الناشد الذى يقول اين اهلك يادار كما ينشد الناشد الضالة اذا طلبها وقال ايضا

قف بالطلول الدارسات علاثا * اضحت حبال قطينهن رثاثا

علاثة اسم صاحبه اراد قف ياعلاثه وهذان ابتدآن صالحان

وقال ايضا

قف نؤبن كناس هذا الغزال * ان فيها لمسرحا للمقال

التابين مدح الهالك والكناس هنا الربع وانما يريد الخيمة او البيت من بيوتهم سماه كناسا لانه جعل المرأة غزالا اى قف بنا نندبه فان المقال يتسع فيه وهذا ايضا بيت جيد ومعنى حسن مستقيم وقال

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل * وابلل غليلك بالمدامع يبلل

وهذا معنى ظريف وقد جآء مثله فى الشعر قال الاصم الباهلى واسمه عبد الله ابن الحجاج ولا اعرف غيره واظن ابا تمام عثر به واحتذى عليه لانه كان مولعا بغرائب الالفاظ والمعانى

اتنزل اليوم بالاطلال ام تقف * لا بل قف العيس حتى يمضى السلف

السلف المتقدمون وانما قال ذلك لان الوقوف على الديار انما هو وقوف المطى ولايكادون يذكرون نزولا وانشد منشد قول كثير وكثير يسمع

وقضين ماقضين ثم تركتنى * بفيفا جريبا قاعدا اتلدد

فقال كثير انا ما قلت كذا اترانى قاعدا اصنع ماذا قيل فجالسا قال ولا هذا جالسا كنت ابول قيل فما قلت قال واقفا يريد واقفا على مطيته فهذا هو المعروف من عاداتهم وقد قال كثير

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

والقلوص لا يعقلها راكبها الا اذا نزل عنها والعقل فوق الركبة

وقال البحترى

ما على الركب من وقوف الركاب * فى مغانى الصبا ورسم التصابى

التصابى التفاعل من صبا يصبو اذا استاق واذا فعل فعل الصبا

وقال ايضا

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا * مقصرا عن ملامتى او مطيلا

وهذان ابتدآن فى غاية الجودة وقال

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها * وسل دار سعدى ان سفاك سوالها

وهذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد لانه قال ادنى خطاها كلالها اى قارب من خطوها الكلال وهذا كانه لم يقف لسوال الديار التى تعرض لان يشفيه وانما وقف لاعياء المطى والجيد قوله عنترة

فوقفت فيها ناقتى وكانها * فدن لاقضى حاجة المتلوم

فانه لما اراد ذكر الوقوف احتاط بان سبه ناقته بالفدن وهو القصر ليعلم انه لم يقفها ليريحها وقد كتف ذو الرمة هذا المعنى واحسن فيه واجاد فقال

انخت بها الوجناء لا من سآمة * لثنتين بين اثنين جاء وذاهب

يقول انختها لان اصلى لا من سآمة هكذا فسروه وقوله لثنتين يعنى اللتين يقصرهما المسافر بين اثنين جاء يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل انما قال ادنى خطاها كلالها ليعلم انه قصد الدار من سفة بعيدة قيل العرب لاتقصد الديار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فان كانت على سنن الطريق قال الذى له ارب فى الوقوف لصاحبه او اصحابه قف وقفا وقفوا وان لم تكن على سنن الطريق قال عوجا وعرجا وعوجوا وعرجوا كما قال امرءالقيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكى الديار كما بكى ابن حذام

واذا عرجوا كان التعريج اسق على الركب والركاب لان لها فى الوقوف حيث انتهت راحة والتعريج فيه زيادة فى تعبها وكلالها وان قلت المسافة كما قال ابوتمام

وما بك اركابى ممن الرشد مركبا * الا انما حاولت رشد الركائب

لان هذا القول منه دل على التعريج والتردد فى الرسوم وان اصحابه ارادوا ان يستمر فى السير ولا يترفق فى الوقوف فيعود عليها ذلك بضرر وان اكسبها راحة ما فى

الوقوف فقال له ابو تمام انما حاولت رشد الركائب لا رشدى فاما الاصمعى فانه يرى التعريج ايضا وقوف لاعدول قال ابو حاتم قلت له ما معنى عرج قال وقف فقلت يقال عرج اذا عدل فقال لا وانشد بيت ذى الرمة

يا حاديى نبت فضاض اما لكما * حتى نكلمها هم بتعريج

اى هم بوقوف وهذا لا يمنع ان يكون هم بعدول ونفس الاستفاق يدل على العدول والله اعلم وقال كثير يصف السيل

فطورا يسيل على قصده * وطورا يعرج الا يسيلا

فلو كان هناك قصدا الى الدار من جماعتهم ومنهم وحده لما لاموه ولا عنفوه على احتباسه واطالته ولا استعجلوه وهو دائبا يسألهم التلوم عليه والتوقف معه هذه طريقة القوم فى الوقوف على الديار ولهم فيها من الاشعار ما هو اشهر واكثر من ان احتاج الى ذكره وتلك سبيل سائر المحدثين وطريقة الطائيين ما عدلا عنها ولا خرجا الى غيرها الا ترى الى قول ابى تمام

مافى وقوفك ساعة من باس * تقضى ذمام الاربع الادراس (تقدم برواية تقضى حقوق)

كيف سأل صاحبه ان يقف ساعة ثم قال بعد بيت آخر

لا يسعد المشتاق وسنان الهوى * يبس المدامع بارد الانفاس

وقوله

لا تمنعنى وقفة اشفى بها * دآء الفراق فانها ما عون

وقال البحترى

يا وهب هب لاخيك وقفة مسعد * يعطى الاسى من دمعه المبذول

وقال ايضا

خلياه ووقفة فى الرسوم * يخل من بعض بثه المكتوم

ثم انا ما علمنا احدا قصد دارا عفت من سقة بعيدة واحدا كان او فى جماعة للتسليم عليها والمسألة لها ثم انصرفوا راجعين من حيث جآوا وان هذا ما سمع به ولا هو من اغراضها وليس فيه جدوى ولايودى الى فائدة لان المحبوب ان كان حيا موجودا فقصد رباعه ومواطنه التى هو قاطنها والالمام به فيها اولى واحرى وان كان ميتا فالالمام بناحية الارض التى فيها حفرته اولى واحرى وعسى نهم لايكادون يزورون القبور وانما وقفوا على الديار وعرجوا عليها عند الاجتياز بها

والاقتراب منها لانهم تذكروا عند مشارفتها اوطارهم فيها فنازعتهم نفوسهم الى الوقوف عليها والتلوم بها وراوا ان ذلك من كرم العهد وحسن الوفاء الا ترى الى قول ابى تمام

امواطن الفتيان نطوى لم نزر * شوقا ولم تندب لهن صعيدا

ويروى لم نزر سعفا اى هذه كيف نطوى الرسوم والدمن التى هى مواقف اهل الفتوة يريد الكرام ولم نزر حزنا لها ولاسهلا لانه اراد بالسعف ما ارتفع من الارض وعلا واراد بالصعيد ما اطمان من الارض وسفل والصعيد انما هو وجه الارض الذى فيه التراب واكثر مايكون فيما اطمأن من الارض لا فيما علا فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروة وان طيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسو العهد وما احسن ما قال ابو نواس

واذا مررت على الديار مسلما * فلغير دار امية الهجران

على طريقة القوم وقال البحترى يخاطب نفسه او صاحبا معه

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها * وسل دار سعدى ان سفاك سؤالها

فمن زعم ان البحترى بهذا القول كان قاصدا للدار وغير محتاز احتاج الى دليل من لفظ البيت يدل عليه ولاسبيل له الى ذلك فان قيل لم لايكون للمطية حق على من بلغته منازل الاحباب يوجب ان يكرمها و يريحها كما قال ابو نواس

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الحصى * فلهما علينا حرمة و ذمام

قيل هذا اصل آخر طريقه غير طريق الوقوف على الديار ولايقاس اصل على اصل وانما يقاس على الاصل فروعه التى تتفرع منه وهذا الشرط فى كل علم وقال ابونواس فى موضع آخر يخاطب ناقته ايضا

فلم اجعلك للغربان نحلا * ولم اقل اشرقى بدم الوتين

يريد قول الشماخ والشماخ انما قال

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوبين

لانه راى ناقته قد سفها السير وهزلها وانضاها حتى دبرت وذلك قوله

اليك بعثت راحلتى تشكى * كلوما بعد محفدها السمين

فيقول اذا بلغتنى عرابة فلا ابالى ان تهلكى وهذا ليس بدعاء عليها وانما اراد انك

اذا بلغتنيه فقد بلغت الغنى وادركت الغرض منك فهذا معنى وقول ابى نواس معنى آخر وليس بضد لقول الشماخ وانما يضاده قول المراة التى قالت يارسول الله نذرت ان بلغتنى نافتى هذه اليك ان انحرها فقال رسول الله صلى عليه وسلم لبئس ما جزيتها لان هذه قصدت ان جعلت جزآء التبليغ النحر فهذان المعنيان يتضادان وقول الشماخ خارج عنها فانه اصل ثالث والوجه الذى جآ به البحترى فى الوقوف على الديار وتحرز منه عنترة وذو الرمة وجهه غير هذه الوجوه وطريقه غير هذه الطرق و لم اقل انه خطأ وانما قلت ان المعنى غير جيد فان التمست العذر للبحترى قلنا انه وصف حقيقة امر العيس عند الوصول الى الدار وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى ان يصفوا الشئ على ماهو وعلى ما شوهد من غير اعتماد لاغراب ولا ابداع وانما وقع فيه مثل هذا الخلل لقلة التجوز وسترى للبحترى وغيره فى هذا الكتاب من هذا النوع فى مواضعه ما هو اجود من كل جيد ان شا الله وقال البحترى

عرج بذى سلم فثم المنزل * فيقول صب ما اراد ويفعل

وهذا ابتدآ جيد وقد رواه قوم ليقول صب ما اراد ويفعل والنصب اجود والرفع له وجه والمتاخرون لا يسلمون من اللحن وهو فى اسعارهم كثير جدا وقال

كم من وقوف على الاطلال والدمن * لم ينف من برحآ الشوق ذا شجن

وهذا ايضا ابتدآ جيد وقال ايضا

استوقف الركب فى اطلالهم وقفا * وان اجد بلى مانورها وعفا

يقال اجد فى امره من الانكماش وجد وهذا ابتدآ صالح

قفا فى مغانى الدار نسال طلولها * عن النفر اللائين كانوا حلولها

وهذا الابتدآ ليس بالجيد من اجل قوله اللائين لانها لفظة ليست بالحلوة وليست مشهورة فهذا ما ابتدأ به من ذكر الوقوف واجعلهما فيه متكافئين من اجل براعة بيتى البحترى الاولين وانهما اجود من سائر ابيات ابى تمام ولان البحترى فى الباب القصير الذى ذكرته له وليس لابى تمام مثله

﴿ التسليم على الديار قال ابو تمام ﴾

دمن الم بها فقال سلام * كم حل عقدة صبره الاكلام

هذا المصراع الاول فى غاية الجودة والبراعة والحسن والحلاوة وعجز البيت ايضا

جيد بالغ وقال

سلم على الربع من سلمى بذى سلم * عليه وسم من الايام والقدم

وهذا ابتدآ يس بجيد لانه جا بالتجنيس فى ثلاثة الفاظ وانما يحسن اذا كان بلفظين وقد جآء مثله فى اشعار الناس والردى لا يؤتم به وقال الابيرد بن المعذل الرياحى

جزعت ولم تجزع من البين مجزعا * وكنت بذكر الجعفرية مولعا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت اول قصيدة لامرء القيس على هذا الوزن وذلك باطل وماينبغى للمتاخر ان يحتذى الاخذ الا للجيد المختار لسعة مجاله وكثرة امثلته وقال البحترى

هذى المعاهد من سليم فسلم * واسأل وان وجمت ولم تتكلم

وقال ايضا

أمحلتى سلمى بكاظمة اسلما * وتعلما ان الهوى ما هجتما

وهذان ابتدآن جيدان وقال ايضا

حيتما من مربع ومصيف * كانا محلى زينب وصدوف

وهذا ابتدآ صالح وقال ايضا

ميلوا الى الدار من ليلى نحييها * نعم ونسالها عن بعض اهليها

وهذا البيت ردى لقوله نعم وليس بالمعنى اليها حاجة جآ بها حشوا ومن الحشو ما لا يقبح ونعم ههنا قبيحة وقد اولع بها كثير بن عبد الرحمن فى ابتدآآته فقال

امن آل عمرو بالحريق ديار * نعم دارسات قد عفون قفار

وقال

امن آل سلمى الركب ام انت سائل * نعم والمغانى قد درسن مواثل

وقال

اهاجتك ليلى اذ اجد رحيلها * نعم وثنت لما احزألت حولها

احزالت انتصبت وارتفعت وقال

ابائنة سعدى نعم ستبين * كما انبت من حبل القرين قرين

وهى فى كل هذه الابيات ردئية وموضعها من هذا البيت الاخير اصلح لان اسقاطها من الجميع يحسن ولا يحتاج الاستفهام فيها الى جواب الا هذا البيت فان الاستفهام

فيه يقتضي ان يكون نعم جوابا له ومع هـذا فليس لهـا حلاوة ولاحسن ولكثير استفهامات لاجواب لها على عادات الشعرآء المحسنين ومنها قوله

امن ال قيلة بالدخول رسوم * وبحومل طلل يلوح قديم

وكل ابيات كثير اجود من بيت البحترى لان نعم فيهـا جواب وهى فى بيت البحترى حشو وقال البحترى فى بيته نحيها والاجود نحيها لانه جواب الامر وقد يكون نحيها رفعا على الحـال والجواب ههنا اجود من الحال فهذا ما وجدته من تسليمهما على الديار وابو تمام عندى فى قوله دمن الم بها فقـال سلام اشعر من البحترى فى سـائر ابياته وما سمعت من التسليم على الديار احسن من قول ابى نواس

واذا مررت على الديار مسلما * فلغـير دار امية الهجران

﴿ ما ابتدأ به من ذكـر تعفية الدهور والازمان للديار قال ابوتمام ﴾

لقد اخذت من دار ماوية الحقب * انحل المغانى للبلى هى ام نهب

اراد انحل المغـانى للبلى فحذف التنوين والحقب الدهر وجمعـه احقـاب والحقب السنون واحدتها حقبة وقال لقد اخذت فانث الفعل والحقب مذكر واظنه اراد ايام الدهر ولياليه ويقال الحقب ثمانون سـنة فعلى هذا قال اخذت وقال ايضا

قد نابت الجزع من ماوية النوب * واستحقبت جدة من ربعها الحقب

قوله واستحقبت اى جعلت الحقب وهى السنون جدة الربع فى حقيبتها والحقيبة ما يحتقبه الراكب وهو وعآء يجعله خلفه اذا ركب ويحرز فيه متاعه وزاده وهذه استعارة حسنة وانمـا يريد ان الحقب سلبت الربع جدته وذهبت بها

وقال البحترى

ارسـوم دار ام سـطور كتاب * درست بشـاشتهـا على الاحقـاب

اى على مر السنين وهذا البيت ابرع من بيتى ابى تمام لفظا واجود سبكا واكثر ماء ورونقا وهو من الابتدآات النـادرة العجيبة والمشبهة لكلام الاوائل فهو فيـه اشعر من ابى تمام وفى اقوآء الديار وتعفيها قال ابو تمام

طلل الجميع لقد عفوت حميدا * وكفى على رزئى بذاك شهيدا

اراد وكفى بانه مضى حميدا شاهدا على انى رزئت وكان وجه الكلام ان يقول وكفى رزئى شـاهدا على انه مضى حميدا وقد استقصيت الكلام فى هذا فيمـا تقدم من غلط ابى تمام وقال ايضا

اجل ايها الربع الذى بان آهله * لقد ادركت فيك النوى ما تحاوله .

وهذا ايضا ابتدآ جيد وقال ايضا

شهدت لقد اقوت مغانيكم بعدى * ومحت كما محت وشائع من برد

وهذا بيت ردى معيب لان الوشيعة والوشائع هو الغزل الملفوف من اللحمة التى يداخلها الناسج بين السدى والبرد الذى تمت نساجته ليس فيه شى يسمى وشيعة ولا وشائع وقد ذكرت هذا فى اغاليطه وقال البحترى

تلك الديار ودارسات طلولها * طوع الخطوب دقيقها وجليلها

وقال ايضا

يامغانى الاحباب صرت رسوما * وغدا الدهر فيك عندى ملوما

وقال ايضا

لم يبق فى تلك الرسوم بمنعج * اما سالت معرج لمعرج

وقال ايضا

هلا سالت بجو شهد * طللا لميـة قد نأبد

هذه كلها ابتدآات جياد بارعة اللفظ صحيحة المعنى وابيات ابى تمام ايضا رائعة ولكن فيها ما ذكرته ﴿ تعفية الرياح للديار قال ابو تمام ﴾

عفت اربع الحلات للاربع الملد * لكل هضيم الكشح مغربة القد

الحلات جمع حلة وهو الموضع الذى يحلونه يقال حلة ومحلة والاربع الملد يريد اربع نساآء ملد من قولهم غصن املود وهو الناعم واملود لا يجمع على ملد وانما هو جمع املد وهضيم الكشح يريد ضامرة البطن وقوله مغربة القد يريد اغرب قدها اى لها قد غريب فى الحسن وانما اراد عفت اربع حلال اى مواطن لاربع نسوة وهذا تكلف شديد وقد جآت بلفظ غير حسن ولاجيل وكذلك مغربة القد من قول الشعرآء المتاخرين غريب الحسن وغريب القد والكلمة اذا لم يوت بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت وقوم يروونه اربع الحلات جمع ربع وذلك غلط وانما اراد الرجل العدد اى عفت اربع لاربع ولا اعلم لابى تمام ابتدآء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت وهو ردى اللفظ قبيح النسج وقال البحترى

بين الشقيقة فاللوى فالاجرع * دمن حبسن على الرياح الاربع

وهذا من ابتدآاته الحسنة النادرة واحسانه فيه الاحسان المشهور وقوله بين الشقيقة

فاللوى كقول امرء القيس بين الدخول فحومل والاصمعى يرويه بالواو واهل العربية يقولون الدخول مواضع متفرقة وقال البحترى

اصبا الاصائل ان برقة نهمد * تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

مازلت اسمع الشيوخ من اهل العلم بالشعر يقولون انهم ما سمعوا لمتقدم ولا متاخر فى هذا المعنى احسن من هذا البيت ولا ابرع لفظا ولا اكثر ماء ولا رونقا ولا الطف معنى وقال البحترى

لا ارى بالعراق رسما كجيب * اسكتت آية الصبا والجنوب

وهذا ابتداء صالح

﴿ وفى البكاء على الديار قال ابو تمام ﴾

على مثلها من اربع وملاعب * اذيلت مصونات الدموع السواكب

قد انكر مصونات الدموع السواكب بعضهم وقال كيف يكون من السواكب ماهو مصون وانما اراد ابو تمام مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ولفظه يحتمل ما اراده والبيت جيد لفظا ومعنى ونظما وقال ايضا

اما الرسوم فقد اذكرن ما سلفا * فلا تكفن من سانيك او يكفا

هذا ابتدأ حسن وقال ايضا

ازعمت ان الربع ليس يتيم * والدمع فى دمن عفت لايسجم

وقال ايضا

قرى دارهم منى الدموع السوافك * وان عاد صبحى بعدهم وهو حالك

وهذان ابتدآن جيدان وقال ايضا

تجرع اسى قد اقفر الجرع الفرد * ودع حسى عين يحتلب ماءه الوجد

الجرع والاجرع والجرعآ ارض ذات رمل وحجارة مختلطة خشنة وقد قيل رملة سهلة والحسى ماء المطر نغمض فى الرمل قليلا ثم يصير الى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب وجمعه احساء وقال البحترى

منى لاح برق او بدا طلل قفر * جرى مستهل لا بكى ولا نزر

وهذا بيت حسبك به جودة وبراعة وفصاحة ونحوه قوله

لها منزل بين الدخول فتوضح * متى تره عين المتيم تسفح

هذا مثل قول امرء القيس بين الدخول فحومل وهذا ايضا بيت جيد وليس كالاول

وقال ايضا

اقى كل دار منك عين ترقرق * وقلب على طول التذكر يخفق

وهذا ايضا غاية فى جودته و براعته وكثرة مائه وقال ايضا

الما يكف فى طللى زرود * بكاؤك دارس الدمن الهمود

وقال ايضا

اعن سفه يوم الابرق ام حلم * وقوف بربع او بكآء على رسم

هذه الابيات الثلاثة كانه منكر على نفسه البكا وقد احسن فيما اعتمد من ذلك واجاد وهو ضد ما ذهب اليه ابو تمام فى ابياته

وقال البحترى وهو حسن جدا

وقوفك فى اطلالهم وسؤالها * يريك غروب الدمع كيف انهمالها

وقال

عند العقيق فماثلات ديارة * شجن يزيد الصب فى استعباره

وقال

يابى الحلى بكاء المنزل الخالى * والنوح فى دمن اقوت واطلال

وقال

ابكآء فى الدار بعد الدار * وسلوا عن زينب بتوار

وهذا من البحترى وصف فى البكآء على الديار حسن ومعان فيه مختلفة بجيد كلها جيد نادر وابو تمام لزم طريقة واحدة لم يتجاوزها والبحترى فى هذا الباب اشعر

﴿ سؤال الديار واستعجامها عن الجواب قال ابو تمام ﴾

الدار ناطقة وليست تنطق * لدثورها ان الجديد سيخلق

وقال فى مثل معناه

وابى المنازل انها لسجون * وعلى العجومة انها لتبين

وهذا معنى شائع على السن العرب ان تقول لمن يعقل وابيك لقد اجلت وكثر على الالسن حتى صمدوا بها الى ما لا يعقل قسما وغير قسم وكذلك قالوا لام الهبل ولابيك الويل ثم قالوا ذلك لما لا ام له وقال محرز بن المكبر يرثى بسطام بن قيس

لام الارض ويل ما اجنت * بحيث اضر بالحسن السبيل

يجعل للارض اما وقد قال البحترى

لعمر ابى الايام ماجار حكمها * على ولا اعطيتها ثنى مقولى

يجعل للايام ابا وقوله شجون جمع شجن وما اقل مايجمع فعل على فعول قالوا اسد واسود وليس هو بابه والتجن الحاجة والشجن الهم والحزن وقال ابو تمام

من سجايا الطلول ان لاتجيبا * فصواب من مقلتى ان تصوبا

هذا البيت صدره جيد وقوله فصواب ليست بالجيدة فى هذا الموضع وانما اراد التجنيس وقال البحترى

لا دمنة بلوى خبت ولاطلل * ترد قولا على ذى لوعة يسل

وهذا ابتدآ جيد لفظه ومعناه وقال

ضيف يخاطب مقحمات طلول * من سائل بالك ومن مسئول

اراد انه بالك والطلول باكية وهذا ابتدآ صالح وقال

عزمت على المنازل ان تبينا * وان دمن بلين كما بلينا

اى عزمت عليها ان توضح لنا ويكون تبيين بما تفصح هى فى نفسها بقبال بان الشئ وابان وقوله وان دمن بلين كما بلينا اى عزمت عليها ان تبين لنا القول وان كانت قد بليت كما بلينا نحن وهذا بيت ردى العجز وقال

اقم علها ان ترجع القول او على * اخلف فيها بعض مابى من الخبل

وهذا ايضا بيت ردى الصدر لفظه ومعناه لانه اراد ان يقول قف لعلها ان ترجع القول او لعلى فقال اقم مكان قف وليست هذه اللفظة نائبة عن تلك لان الاقامة ليست من الوقوف فى شئ والدليل على انه اراد ان يقول قف قوله بعد هذا

فان لم تقف من اجل نفسك ساعة * فقفها على تلك المعالم من اجلى

وقال علها وعلى وهما وان كانتا لفظتين عربيتين فلعل احسن من عل وابرع وزاد فى تهجينها انه كررها فى مصراع وقوله اخلف فيها بعض مابى من الخبل عجز حسن اى اطرحه عنى اى لعلى ابكى فاخفف بعض مابى من البكا والى هذا المعنى ذهب وان لم يكن البكا فى البيت فقد ذكره من بعد وقال

بالله يا ربع لما زدت تبيانا * فقلت لى الحى لما بان لم بانا

وقال ايضاً

هب الدار ردت رجع ما انت سائله * وابدى الجواب الربع عما تسائله

وهذا بيت غير جيد لان عجز البيت مثل صدره سواء فى المعنى وكانه بنى الامر على ان الدار غير الربع وان السؤال ان وقع وقع فى محلين اثنين والبيت ايضا لايقوم بنفسه لانه جعله معلقا بالبيت الثانى وهو قوله

افى ذاك برء من جوى الهب الحشا * توقده واستغزر الدمع سائله

وقال

هل الربع قد امست خلاء منازله * مجيب صداه او يخبر سائله

وهذا ابتداء صالح وقال ايضا

عفت دمن بالابرقين خوالى * ترد سلامى او تجيب سؤالى

وهذا ابتداء حسن فهذا ما وجدته لهما من الابتداآت فى الباب وليس لهما فيه بيت بارع والجيد للبحترى قوله * لادمنة بلوى خبت ولاطلل * وقوله * عفت دمن بالابرقين خوالى * والجيد لابى تمام بيتاه الاولان ومعناهما غير معنى هذين البيتين وبيتا البحترى اجود لفظا واصح سبكا وهما فى هذا الباب متكافئان

* ما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وما يقارب معناه قال ابو تمام *

اطلالهم سلبت دماها الهيفا * واستبدلت وحشا بهن عكوفا

وهذا بيت جيد لفظه ومعناه وقال ايضا

للطلال هند ساء ما اعتضت من هند * اقايضت حور العين بالعين والربد

العين بقر الوحش والظباء والربد النعام وقايضت ابدلت وهذا بيت ليس بالجيد ولا بالردى وقال ايضا

ارامة كنت مألف كل ريم * لو استمتعت بالانس القديم

وهذا بيت جيد وقال البحترى

ربع خلا من بدره مغناه * ورعت به عين المها الاشباه

وهذا بيت حسن حلو وقال البحترى ايضا

عهدى بربعك مأنوسا ملاعبه * اشباه آرامه حسنا كواعبه

وهذا بيت فى غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه وقال ايضا

عهدى بربعك مثلا آرامه * يجلى بضوء خدودهن ظلامه

وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى ولفظ الاول احلى وابرع وقوله يجلى بضوء خدودهن ظلامه حسن جدا * وقال ايضا

ارى بين ملتف الاراك منازلا * مواثل لو كانت مهاها مواثلا

وهذا ايضا بيت من ابرع ابتدآ اته فهذا ما وجدته لهما فى هذا النحو والبحترى فى ابياته اشعر من ابى تمام فى ابياته

﴿ وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها قال ابو تمام ﴾

اقشيب ربعهم اراك دريسا * وقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

وهذا بيت من جيد الابتدآات وبارعها وقال البحترى

مغانى سليمى بالعقيق ودورها * اجد الشجى اخلاقها ودثورها

وهذا بيت فى جودة بيت ابى تمام وبراعته وقال

اعمر المغانى يوم صحرآء اربد * لقد هيجت وجدا على ذى توجد

وقال ايضا

ما جوخبت وان نأت ظعنه * تاركنا اوتشوقنا دمنه

وقال ايضا

كلما شاقت الرسوم المحيله * هيجت من مشوق صدر خليله

وهذه كلها ابتدآات جياد وهى مع بيت ابى تمام متكافئه

﴿ الدعآء للدار بالسقيا قال ابو تمام ﴾

اسق طلولهم اجش هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم

وقال ايضا

سق عهد الحمى صوب العهاد * وروى حاضر منهم وبادى

وهذان ابتدآان جيدان وقال ايضا

يا برق طالع منزلا بالابرق * واحد السحاب له حدآء الاينق

قوله طالع لفظة رديئة فى هذا الموضع قبيحة وقوله راحد السحاب له حدآء الاينق لفظه ومعناه جيدان فصيحان وانما خص البرق لانه دليل الغيث وقال ايضا

ايها البرق بت باعلى البراق * واغد فيها بوابل غيداق

البراق جمع برقة مثل برمة وبرام وهى الارض ذات الطين والحصى تكون ذات الوان مختلفة وهذا بيت جيد ووصله ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نا تى به

ان شا الله تعالى فى بابه وقال

يادار دار عليك ارهام الندى * واهتز روضك فى الثرى فتزأدا

يقال ارهمت السمآء اذا اتت بالرهمة وهو المطر اللين يقال رهمة ورهام كاكمة واكام فان قلت ارهام الندى كان ذلك سائغا فتزأد تثنى لكثرة ما نه وغضاضته ومنه امرأة رود الشباب اى غضة وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسج وقال البحترى

نشدتك الله من برق على اضم * لما سقيت جنوب الحزن فالعلم

وهذا بيت بارع اللفظ جيد المعنى وزاد فى جودته قوله نشدتك الله وقال ايضا

سقيت الغوادى من طلوع واربع * وحييت من دار لاسماء بلقع

وهذا ايضا بيت جيد اللفظ والمعنى ويدخل فى باب التسليم على الديار لقوله حييت من دار وقال ايضا

اناشد الغيث هل تهمى غواديه * على العقيق وان اقوت مغانيه

وهذا بيت جيد وقال ايضا

اقام كل ملث الودق رجاس * على ديار بعلو النام ادارس

ملث دائم كثير ورجاس مصوت يريد الرعد وهذا بيت كثير المآء والرونق وقال ايضا

لا ترم ربعك السحاب تجوده * تبتدى سوقه الصبا او تقوده

وقال ايضا

سق دار ليلى حيث حلت رسومها * عهاد من الوسمى وطف غيومها

وهذان ابتدآان جيدان وليسا مثل ما تقدم وقال ايضا

سق ربعها سح السحاب وهاطله * وان لم تخبر آنفا من يسائله

وهذا البيت ردى العجز من اجل قوله آنفا لانه حشو لا حاجة للمعنى به فهذا ابتدآء من الدعاء للديار بالسقيا وهما عندى متكافئان

﴿ فى لوم الاصحاب فى الوقوف على الديار قال ابوتمام ﴾

اراك اكثرت ادمانى على الدمن * وحملى الشوق من باد ومكتمن

وقال ايضا

ما عهدنا كذا نجيب المشوق * كيف والدمع آية المعشوق

هذا بيت ردئ جدا وقد ذكرت مافيه فى باب ما ذكر له فى وسط الكلام فى تعنيف الاصحاب على الوقوف على الديار وهذا البيت ابتدآ وانما ذكرته هناك لان معناه يتضح بالابيات التى بعده فجعلته فى ذلك الباب وليس لابى تمام ابتدآء صالح فى لوم الاصحاب غير هذين البيتين فاما البحترى فانه تصرف فيه فى ابتدآآت جياد حسان بارعة حلوة فمن ذلك قوله

فيم ابتدارك الملام ولوعا * ابكيت الا دمنة وربوعا

وهذا بيت حسن وفيه سؤال وهو ان يقال انما لاموه على بكائه على الدمنة والربوع فما وجه اعتذاره بانه لم يبك الا دمنة وربوعا والجواب انه اراد ابكيت الا ما مثله يبكى وقد تقدمنى الناس فيه ولم ينكر ذلك على احد وقوله

خذا من بكائى فى المنازل او دعا * وروحا على لومى بهن او اربعا

وهذا بيت جيد وقوله ايضا

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا * مقصرا فى ملامتى او مطيلا

وهذا بيت جيد حسن بارع اللفظ والمعنى وقد ذكرته ايضا فى باب الوقوف على الديار وقوله

احرى الخطوب بان يكون عظيما * قول الجهول الا تكون حليما

وقوله

ما انت للكلف المشوق بصاحب * فاذهب على مهل فليس بذاهب

وقوله

فى غير سأنك بكرتى واصيلى * وسوى سبيلك فى السلو سبيلى

وقوله

بعض هذا العتاب والتفنيد * ليس ذم الوفآء بالمحمود

﴿ ولهما فى تأنيب العذال فى غير الوقوف على الديار ابتدآآت ليس بضائر ذكرها ههنا فمن ذلك قول ابى تمام ﴾

تبى جهاتى لست طوع مؤنبى * وليس جنبى ان عذلت بمجنبى

وقوله ايضا

دأب عينى البكآء والحزن دابى * فاتركينى وقيت مابى لما بى

وقوله ايضا

كفى وغاك فانني لك قالى * ليست هوادى عزمتى بتوالى

وقوله ايضا

لامته لام عشيرها وحيها * منها خلائق قد ابر ذميمها

وقوله ايضا

متى كان سمعى خلسة للوائم * وكيف صغت للعاذلين عزائمى

وقوله ايضا

قدك اتئب اربيت فى الغلواء * كم تغذلون وانتم شجرآتى

وهذه كلها ابتدآات صالحة الا هذا البيت الاخير فان الناس عابوه وذكر ابوعبدالله محمدبن داود بن الجراح فى كتابه ان ما عيب من ابتدآات الطآى قوله كذا فليجل الامر وليفدح الامر * وقوله * خشنت عليه اخت ابن خشير فاما قوله خشنت عليه فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة وعهدت مجان البغداديين يقولون قليل تورة يذهب بالخشونة واما قوله كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس بعيب عندى وقد ذكرته فى ابتدا آت المرائى واخبرت بمعناه واما قولهم قدك اتئب اربيت فى الغلواء فانها الفاظ صحيحة فصيحة من الفاظ العرب مستعملة فى نظمهم ونثرهم وليست من متعسف الفاظهم ولا وحشى كلامهم ولكن العلمآء بالشعر انكروا عليه ان جمعها فى مصراع واحد وجعلها ابتدآء قصيدة ولم يفرق بينها الا بفواصل فقال قدك اتئب اربيت فى الغلوآء فصار قوله قدك اتئب كانها كلمة واحدة على وزن مستفعلن وضم اليه اربيت فى الغلوآء فاستهجنت ولو جآء هذا فى شعر اعرابى لما انكروه لان الاعرابى انما ينظم كلامه المنثور الذى يستعمله فى مخاطباته ومحاوراته ولوخاطب ابوتمام بهذا المعنى فى كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه الا حسبك استحى زدت وغلوت وهذا كلام حسن بارع قال فمن شان الشاعر الحضرى ان ياتى فى شعره بالالفاظ المستعملة فى كلام الحاضرة فان اختار ان ياتى بما لا يستعمله اهل الحضر فمن سبيله ان يجعل من المستعمل فى كلام اهل البدو دون الوحشى الذى يقل استعمالهم اياه وان يجعله متفرقا فى تضاعيف الفاظه ويضعه فى مواضعه فيكون قد اتسع مجاله بالاستعارة ودل على فصاحته وعلمه وتخلص من الهجنة كما ان الشاعر الاعرابى اذا اتى فى شعره بالوحشى الذى يقل استعماله

اياه فى منثور كلامه وماجرى دائما فى عادته هجنه وقبحه الا ان يضطر الى اللفظة واللفظتين ويقلل ولا يستكثر فان الكلام اجناس اذا اتى منه شئ مع غير جنسه باينه ونافره واظهر قبحه وقد تصرف البحترى فى هذا الباب احسن تصرف وابلغه واعجبه فمن ذلك قوله

اتاركى انت ام مغرى بتعذيبى * ولائمى فى هوى ان كان يردينى

وقوله ايضا

يفندون وهم ادنى الى الفند * ويرشدون وما العذال فى رشد

وقوله ايضا

انما الغى ان تكون رشيدا * فانقصا من ملامتى او فزيدا

وقوله ايضا

الم يك فى وجدى وبرح تلددى * نهاية نهى للعدو المفند

وقوله ايضا

مرنت مسامعه على التفنيد * فقضى الملام لاعين وخدود

وقوله ايضا

شغلان من عذل ومن تفنيد * ورسيس حب طارف وتليد

وقوله ايضا

اقصرا ليس شأنى الاكثار * واقلا لن يغنى الاكثار

وقوله ايضا

قلت للائم فى الحب افق * لاتهون طعم شئ لم تذق

وقوله ايضا

اما كان فى تلك الربوع السوائل * بيان لتساء اوجواب لسائل

وقوله ايضا

اكثرت فى لوم المحب فاقلل * وامرت بالصبر الجميل فأجمل

وقوله ايضا

رويدك ان شانك غير شانى * وقصرى لست طاعة من نهانى

وقوله ايضا

يكاد عاذلنا فى الحب يغرينا * فالجاجك فى لوم المحبينا

وقوله ايضا

عـذيرى فيـك من لاح اذا ما * شكوت الحب قطعنى ملاما

وقوله ايضا

طفقت تلوم ولات حين ملامه * لا عنـد كـرته ولا اجامه

ولاخفـآء بفضل البحترى فى هذا البـاب على ابى تمـام وقد مضت الموازنة بين الابتدآات بذكر الديار والآثار واما الان فاذكر ماجآء عنهمـا من ذلك فى وسط الكلام

﴿ ما قالا فى اوصاف الديار والبكاء عليهـا قال ابو تمام ﴾

طلل الجميل لقـد عفوت حميدا * وكفى على رزئى بذاك شهيدا

ذمن كـان البين اصبح طالبـا * دينـا لدى آرامهـا وحقودا

قربت نازحة القلوب من الجوى * وتركت شأو الدمع فيك بعيدا

خضلا اذا العبرات لم تبرح لهـا * وطنـا سرى قلق المحل طريدا

وقوله وكفى عـلى رزئى بذاك شـهيدا ليس بالجيد وقد ذكرت معنـاه فى باب الابتدآات عنـد ذكر البيت وقوله قربت نازحة القلوب من الجوى يريد القلوب التى بعد عهدها بمرض الحب فاريتهـا من ذلك عند الوقوف عليـك يخـاطب الدمن وقوله وتركت شـأو الدمع فيك بعيـدا اى دائما طويلا وقوله خضلا اذا العبرات لم تبرح لهـا وطنا سرى قلق المحل طريدا اى من كان انما يبكى فى وطنه على الحوادث التى تحدث عليه فيه سرى هذا الدمع قلق المحل اذا عسف المسير لطوله حتى يحل بهذه الدمن وهذا نحو من قوله

فما وجدت على الاحشـآء ابرد من * دمع على وطن لى فى سوى وطنى

فقوله على وطن يعنى الرسـوم والطلول التى يقف عليهـا وهذا من جيد الفـاظه وصحيح معـانيه وغرضه فيمـا وصف من الدمع غرض صحيح واحسن منه واغرب قوله

اما الرسوم فقد اذكرت ماسـلفا * فلا تكفن من شـانيك اويكفـا

لاعـذر للصب ان يفنى السلوولا * للدمع بعد مضى الحى ان يقفـا

حـتى يظـل بمـاء سـافح ودم * فى الربع يحسب من عينيه قد رعفا

وهذا المعنى ليس له وانما اخذه من قول ابى وجزة

عيون ترامى بالرعاف كانها * من الشوق صردان تدب وتلمع

قيل فى تفسيره شبه الدمع وقد عصفره الدم بالرعاف وشبه العيون وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه اخرى بالصردان تنتفض تارة وتظهر عرضا من الارض تارة وبيت ابى تمام اجود لفظا ونظما ولا اظن البحترى ذهب الى مثل هذا المعنى ولا للمعنى الذى قبله ولكنه يعتذر مدة بقلة دمعه ومرة بذكر كثرته ويفتخر بغزره وفى كل ذلك يحسن ويجيد فمن اعتذاره قوله فى قصيدته التى اولها

فيم ابتداركما الملام ولوعا * ابكيت الا دمنة وربوعا

يادار غيرها الزمان وفرقت * ايدى الحوادث شملها المجموعا

لوكان لى دمع يحسن لوعتى * خليته فى عرصتيك خليعا

لاتخطبى دمعى الى فلم يدع * فى مقلتى جوى الفراق دموعا

قوله فى ابتداء القصيدة ابكيت الا دمنة وربوعا قد اخبر انه بكى ثم قال لوكان لى دمع يحسن لوعتى اى لوكان لى دمع غزير يليق بلوعتى وينبئ عنها وكذلك قوله فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعا اى دموعا كافية ارضاها او دموعا تسعنى لانه استقل دمعه واستنزره وان يكون انقطع دمعه ولله در كثير اذ يقول

وقضين ما قضين ثم تركننى * بفيفا جريم واقفا اتلدد

ولم ارمثل العين ضنت بما بها * على ولامثلى على الدمع يحسد

وقال ابوتمام

اقنيب ربعهم ارالـ دريسا * تفرى ضيوغك لوعة ورسيسا

ولئن حبست على البلى لقد اغتدى * دمعى عليك الى الممات حبيسا

وارى رسومك موحشات بعدما * قدكنت مألوف المحل انيسا

وبلاقعا حتى كأن قطينها * حلفوا يمينا احلقتك غموسا

وهذا كلام رصين وقوله حلفوا يمينا احلقتك اى كانهم حلفوا يمينا ان لا يعودوا اليك فاحلقك ذلك ومن حلو معانيه وجيد الفاظه فى البكاء على الديار قوله

دمن لوت عزم الديار ومزقت * فيها دموع العين كل ممزق

وقال ايضا

سقى عهد الحمى سيل العهاد * وروض حاضر منه وبادى

نزحت به ركى العين انى * رايت الدمع من خير العتاد

وهذا البيت فى غاية الجودة لفظه ومعناه الا انه وصله بكلام غليظ فقال

فياحسن الرسوم وما تمشى * اليها الدهر فى صور البعاد

وهذا بيت فى غاية الرداءة والسخافة ومعناه فياحسن الرسوم ولم يمش اليها الدهر اى لم يصبها الدهر ببعد اهلها عنه فاخرجه هذا المخرج القبيح المستهجن

﴿ ومن احسان ابى عبادة المشهور فى هذا قوله ﴾

امحلتى سلمى بكاظمة اسلما * وتعلما ان الهوى ما هجتما

هل ترويان من الاحبة هائما * او تسعدان على الصبابة مغرما

ابكيكما دمعا ولو انى على * قدر الجوى ابكى بكيتكما دما

﴿ ومن جيد شعر ابى تمام ايضا فى هذا الباب قوله ﴾

ارامة كنت مألف كل ريم * لو استمتعت بالانس القديم

ادار البؤس حسنك التصابى * الى فصرت جنات النعيم

لئن اصبحت ميدان السوافى * لقد اصبحت ميدان الهموم

ومما ضرم البرحاء انى * شكوت بما سكوت الى رحيم

اظن الدمع فى خدى سيفنى * رسوما من بكائى فى الرسوم

وهذا من اسهل الكلام واسلس نظمه ومن ابعد قول من التكلف والتعسف واشبهه بكلام المطبوعين واهل البلاغة وقوله فصرت جنات النعيم معنى حسن ولكن فيه اسراف ان يجعل دارا خلت من اهلها دار بؤس وهو بالك فيها جنات النعيم وقد اتى البحترى بهذا المعنى متبعا فيه ابا تمام ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال واجتنب افراطه فقال

يامغانى الاحباب صرت رسوما * وغدا الدهر فيك عندى ملوما

الف البؤس عرصتيك وقد كنت بعينى جنة و نعيما

فقال الف البؤس عرصتيك ثم قال وقد كنت بعينى جنة ونعيما فجعلها جنة ونعيما فيما مضى ومع هذا فانى اقول ان بيت ابى تمام احسن وهو فى سائر ابياته اسعر وقال البحترى

لعمرك ان الدارسات لقد غدت * بريا سعاد وهى طيبة العرف

بكينا فمن دمع يمازجه دم * هناك ومن دمع نجود به صرف

وهذا حسن جدا وانما اخذ قوله بريا سعاد وهى طيبة العرف من قول الآخر

انشده الاخفش عن المبرد

واستودعت نشرها الديار فما * تزداد الا طيبا على القدم

وهذا اجود من بيت البحترى لما فيه من الزيادة الحسنة وهى قوله فما تزداد الا طيبا على القدم

وقال البحترى

ترى الليل يقضى عقبة من هزيعه * او الصبح يجلو غرة من صريعه

او المنزل العافى يرد انيسه * بكاء على اطلاله وربوعه

اذا ارتفق المشتاق كان سهاده * احق بجفنى عينه من هجوعه

وهذا معنى لحل ومعان فى غاية الصحة والاستقامة وللبحترى فى وصف الديار والبكاء عليها مذهب اخر وهو قوله

ابكاء فى الدار بعد الدار * وسلوا بزينب عن نوار

لا هتاك النغل الجديد بحزوى * عن رسوم برامتين قفار

ما ظننت الاهواء قبلك تمحى * من صدور العشاق محو الديار

نظرة ردت الهوى الشرق غربا * واماتت نهج الدموع الجوارى

وهذا غرض حلو ومعنى لطيف ومثله قوله ولكن ليس فيه ذكر البكا

ابيت باعلى الحزن والرمل دونه * مفان لها مجفوة وطلول

وقد كنت ارجو الريح غربا مهبها * فقد صرت اهوى الريح وهى قبول

وذلك لان القبول هى الصبا ومهبها من مطلع الشمس ونحوه قوله

كفتنى اريحيات الصبا * كلفا فى الحب ممتد الرسن

نقلتنى فى هوى بعد هوى * وابتغت لى سكنا بعد سكن

وقوله

ما ظننت الاهواء قبلك تمحى * من صدور العشاق محو الديار

معنى حسن وانما اخذه من قول ابى تمام

زعمت هواك عفا السداة كما عفت * منها طلول باللوى ورسوم

وبيت البحترى احلى وابدع وقال البحترى فى وجه آخر وهو ايضا حسن لطيف

فى كل يوم دمنة من حبهم * تقوى وربع بعدهم يتأبد

او ما كفانا ان بكينا غردا * حتى شجتنا بالمنازل همد

ومثله

هو الدمع موقوفا على كل دمنة * تعرج فيها اوخليط تزايله
تراقبهم خفض الزمان ولينه * وجادهم طل الربيع ووابله

وانما حذا البحترى هذا المعنى على حذو قول كثير

وكنت امرءا بالغور منى صريمة * واخرى بنجد ما لعينيك ما تبدى
فطورا اكر الطرف نحو تهامة * وطورا اكر الطرف كرا الى نجد
وابكى اذا فارقت هندا صبابة * وابكى اذا فارقت دعدا على دعد

وهذا ما لا مزيد فيه على حسنه وطلاوته ومثله قول جرير

الخالد قد علقتك بعد هند * فنسيبنى الخوالد والهنود
هوى بتهامة وهوى بنجد * فتلتنى التهائم والنجود

• قال

احب ثرى نجد وبالغور حاجة * ففار المعنى عبد قيس وانجدا

﴿ وهذا باب فى وصف اطلال الديار وآثارها قال ابوتمام ﴾

قفوا نعطى المنازل من عيون * لها فى الشوق احساء غزار
عفت آياتهن واى ربع * يكون له على الزمن الخيار
اثاف كالحدود لظعن حزنا * ونؤى مثل ما انفصم السوار

قوله احساء جمع حسى وهو الماء يغيض فى الرمل فاذا وصل الى الصلابة وقف فيحفر عنه ويشرب

وقال البحترى

عوض منهم خسيس وقد حلوا اللوى منزل بوجرة عافى
لم تدع منه مايات الليال * غير نؤى تسفى عليه السوافى
واثاف اقت لها جمح دو ن لظى النار مثل كالا نافى

وقوله مثل قائمة بابتة كالانافى يريد الكواكب التى عند الفرقدين وهى ثلاثة قيل لها اثاف لشبهها بالاثافى فشبه البحترى الاثافى بها لثبوتها وانها مثل على مر الدهر قال ابوحنيفة الدينورى فى كتابه فى الانواء ان تثليثها طولا ولو سبهها البحترى بالسمر الواقع لانه اشهر واظهر واقرب سمها لكان ذلك احسن واكشف للمعنى من ان يشبهها بشئ انما استعير له اسمها وليس يعرفه كل احد ولكنه جاء

من اجل القافية وقال البحترى

لهـا منزل بين الـدخول فتوضح * منى ثم عين التيم تسفح
عفا غير نؤى دارس فى فنائه * ثلاث اثاف كالحمائم جنح

وهذا جيد حسن على منهج الشعراء واظنه اخذه من قول عدى بن زيد

وثلاث كالحمامات بها * بين مجثاهن توشيم الحمم

وابن الاعرابى قال لايكون مجثاهن انما هو مجراهن او من قول ابى نواس

كما اقترنت عند الممر حمائم * كبيرات تمسى بينهن وكون

وهذا اجود من بيت عدى ومن بيت البحترى وقد شبه الاثافى بالحمائم غير واحد من الشعراء والبالغ النادر فى وصف الاثافى قول كثير

امن ال قيلة بالدخول رسوم * ويحومل طلل يلوح قديم
لعب الزمان برسمه فاجده * جون عواكف فى الرماد جثوم
سفع الخدود كانهن وقدمضت * حجج عوائد بينهن سقيم

قوله فاجده جون عواكف يعنى الاثافى لان الريح لما كنفت عنها ظهرت سودآ شبهها بالعوائد والجون الاسود والجون الابيض وهو من الاسماء المترادفة (لعله المتضادة) قال الاصمعى ويقال غابت الجونة وطلعت الغزالة يعنى مغيب الشمس وطلوعها وهما اسمان من اسماء الشمس وانما سميت الشمس جونة عند الغروب لانه يعرض فيها من تغير اللون الى السواد

كمل كتاب الموازنة بين شعرى ابى تمام وابى عبادة البحترى الطائيين
مما الفه ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى
رحمه الله تعالى والحمد لله وحده

To: www.al-mostafa.com

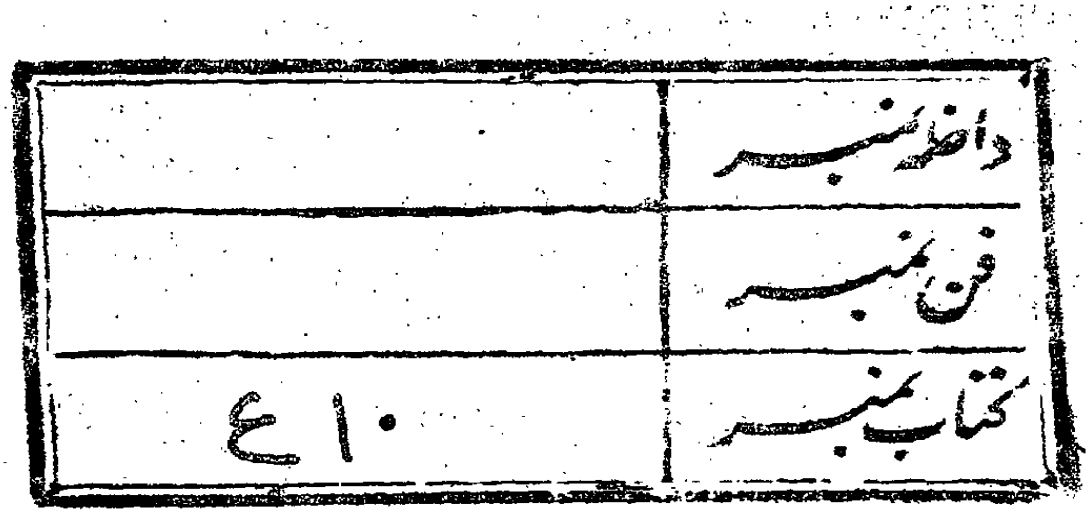
داخلہ نمبر
فن نمبر
کتاب نمبر
۱۰ ع

الكتب الآتية جارى الآن طبعها فى مطبعة الجوائب

كتاب كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب

قد باشرنا بحول الله تعالى فى جمع ما فى الجوائب من الفصول اللطيفة والمقدمات الظريفة و المقالات السياسية التى نشرت فى ايام حرب جرمانيا مع فرنسا وغيرها والفوائد التاريخيه والوقائع الدوليـة التى حصلت فى الممالك السلطانية والدول الاجنبية وسائر الفرامين التى صدرت منذ سبعة عشر سنة اعنى منذ انشاء الجوائب وما فى الجوائب ايضا من النظم من انشاء محرر الجوائب وغيره فجاء بحمد الله تعالى كتابا يحتاج اليه كل اديب اريب ويرتاح اليه كل مواف لبيب وقسمناه على ستة اجزاء كل جزء يباع وحده

الجزء الاول يحتوى على بعض ما فى الجوائب من الفصول اللطيفة و المقامات الظريفة و المقالات الادبية

الجزء الثانى يشتمل على تفصيل ذكر حرب جرمانيا مع فرنسا من اولها الى آخرها

الجزء الثالث يشتمل على بعض القصائد التى نظمها محرر الجوائب فى الاستانة وهى التى اشتهرت بالجوائب وهى جزء من ديوانه

الجزء الرابع يشتمل على القصائد التى نظمها افاضل العصر من العلماء والادباء فى مدح محرر الجوائب

الجزء الخامس يشتمل على جميع ما فى الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية التى حدثت فى الممالك العثمانية وفى الدول الاجنبية من جملتها [illegible] السلطانية وغير ذلك من المعاهدات التى صدرت فى الخطاب السامى

الجزء السادس يشتمل على ما فى الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية التى حدثت فى الممالك العثمانية وفى الدول الاجنبية ولا سيما البراءة التى صدرت من سدة السلطنة السنية والاوامر والفرامين السلطانية وغير ذلك من المعاهدات التى صدرت فى الخطوب الشهيرة وذلك من يوم صدور [illegible] الى الخامس

كتاب بديع الانشا والصفات في الكتابات والمراسلات تأليف الشيخ الامام
المبرز الهمام العالم العلامة الاصل الدهقان الشيخ مرعي ابن يوسف
الاسم يوسف بن ابي بكر ابن احمد الكرمي الحنبلي رحمه الله تعالى

طبع بمطبعة الطالب وسنية الراغب المعروف بالقهوجي امام جامع ذي
حا ٣٣٨ صفحة لمن راجعه

To: www.al-mostafa.com